أشهر الأساطير الإغريقية

حسن عبد الغفار



أشهر الأساطير الإغريقية

أشهر الأساطير الإغريقية

تأليف

حسن عبد الغفار

الناشر

دار مشارق

أشهر الأساطير الإغريقية

حسن عبد الغفار

رقم الإيداع : ٣٣٨٧ / ٢٠٠٨

دار طيبة للطباعة - جيزة

الطبعة الأولي ٢٠٠٨

كل الحقوق محفوظة

دار مشارق للنشر والتوزيع

١٥ شارع الفاروق عمر بن الخطاب - طالبية - فيصل

ت : ٣٧٧٢٤١٨٠٣ - ٠١٢٢٦٨٧٧٩٠٦ - ٠١٠٥٥٩٣٣١٧

E – Mail : Mshareq @ Hotmail . com

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

اندثرت معظم الحضارات القديمة وهال عليها الزمن غبار السنين ولم يبق منها سوى أطلال ونحوت متناثرة وقوارير مدفونة، وقليل منها التى تركت موروث ثقافي يمد الإنسان بأسباب بقائه ويساعده على الرقى والتحضر.

والحضارة الهلينستية (الأغريقيه) كغيرها من الحضارات كادت أن تندثر بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية ودخول أوروبا إلى أحلك عصورها المظلمه، وذلك عند سيطر زعماء الكنيسة على كل مناصب الحياة، واعتبروا أن أى كلام أو حديث خارج نطاق العهد القديم والحديث درب من الزندقة والسحر ويجلب على صاحبه أشد الوان العذاب والموت حرقاً، وانتشرت محكاكم التفتيش فى طوال أوروبا وعرضها تطارد كل مفكر أو عالم وتقضى عليه.

فى القرن السادس الميلادى تمكن الغرب من السيطره على جزر اليونان وقبرص وردوس أصبح البحر الأبيض لمتوسط بحيره عربيه وبحلول القرن الثامن تمكن العرب من دخول الأندلس وجنوب فرنسا ، وأحتكت الثقافة العربية بالثقافة الغربية وكانت الثقافة الغربية تنحصر فى الفلسفه اليونانية، وعرف العرب قيمة هذا الموروث الثقافى العظيم وقام عرب الأندلس بإحياء هذا التراث وإبراز خصائصه الفلسفية وبعثها من جديد، ولولا اهتمام العرب من أمثال ابن رشد ما انتبهت أوروبا إلى هذا التراث الفكرى الذى كان فى سبيله إلى الاندثار للأبد، فى ظل ظلام العصور الوسطى الذى كان يعم أوروبا ويحصب عنها سبيل التقدم والرقى.

قام العرب بثورة معرفية ودينية اجتاحت العالم بشطريه الشرقى والغربى وعملوا على صقل المعادن القديمة حملوها من أرض إلى أخرى يضيئون بها العقول ويهدون

النفوس ويبعثـوا الحياة فى أفكار أرسطو وأفلاطون وغيرهم من فلاسفـة اليونان وكما برع العرب فى علم الكلام خاضوا غمار الفلسـفة اليونانية وبرز عندهم المنطق وفلسفة التاريـخ، ولكنهم لم يلتفـتوا إلى الأدب الأغـريقى لما به من مظاهر الشـرك والإلحاد وعبادة الأصنام وتعدد الآلهة.

اعتمد عصر النهضة فى أوروبا على التراث الفكرى اليونانى والذى صقل بأيدى عربيه وفكر أسلامى يحـترم حرية الإنسـان فى الفكر والإبداع فكانت الثورة الصناعـية التى انتقلت بأوروبا من عصور الظلام والتخلف إلى عـصر التنوير والتقدم وللأسف اعتنق العقل العربـى وحصر الفكر الإسلامى وتوقف الاجتـهاد فخار الجـسد وتمزقت الأمة ووقعت تحت نير الاستعمار الغربى.

تقديم

«عندما يصبح الواقع عبثيا ويتحول الحلم إلى مستحيل تولد الأسطورة»

مر العالم الإسلامى بعصور من القهر والكبت ووقع تحت حكم ظالم واستعمار غاشم وعندما تخلص من الاستعمار بدء حركة ثقافية تنشد سبل التقدم والرقى وتهذيب الأخلاق دينيا وثقافيا وأدبيا، فى محاولة جادة للحاق بركب التقدم، وبدأ بعضهم متسلحين بصحيح الدين وقوة العقيدة والثقافة العربية الأصيلة، فدرسوا الأدب اليونانى من باب المعرفة والثقافة والتذوق وإعاده الروح إلى الجسد المتفسخ، والنبض للقلوب الميتة لقد ظهرت فى الثقافة العربية عده أساطير منها كليلة ودمنة، ونسب للشرق عدداً منها السندباد ورحلة العجائب وعلاء الدين والمصباح السحرى ولص بغداد وغيرها، وهى أساطير تسىء إلى الشرق وتغمسه فى الرذائل والموبقات والتواكل وتثبط من عزيمته وابتعدت عن القيمة الحقيقة للأسطوره التى تبرز جمال الطبيعة وصفاء النفس وإعمال الفكر وتذوق الشعر والأدب.

الأسطوره:

الأسطورة هى عمل خفى إبداعى يمتزج فيه الأدب بالدين والحقيقة بالخيال بصورة خارقة للعادة وتكون مرآه للمجتمع، تعبر عن ظروفه الحياتية (سياسياً واقتصادياً واجتماعياً) وقد تكون متنفثاً بضغوط حاكمة فى عصور الآستبداد والظلم، أو مظهراً من مظاهر تغيير الحاضر واستشراف المستقبل بغيره.

لقد أفرزت جميع الحضارات أساطير تحفظ موروثها الثقافى والأدبى والدينى، وتعتمد الأسطوره فى الأساس على الخيال وخصوبة الفكر لإيجاد قوه منفذه تنسب لآلهه متعددة متجانسة أو متصارعة تهيمن على قوى الطبيعة تتحكم فى الصراع الأبدى بين الخير والشر.

مرت الأسطورة بمراحل البناء الحضاري فمن الهمجية والصراع إلى الترويض وإعمال الفكر، ثم التذوق الأدبي والشعر والبناء الدرامي ومن ثم فقد عنيت الأسطورة بتفسير المظاهر الكونية بدءاً من التأمل في العالم الطبيعي وصولاً إلى عناصر المادة (الماءوالهواء - التراب والنار) ثم البحث في ماهية القوة المبدعة الخالقة للكون سان وصولاً إلى الألوهية وتعدد الأرباب،ثم الإنسان والفكر والمعرفة وصولاً: النفس والأخلاق والنسق الاجتماعي ومسالك الحكم والسيطرة.

كان المصرى القديم أول من ابتدع الأسطورة بحكم تكوينه الحضارى السابق لجميع الحضارات المعروفة قبل ستة آلاف عام وقد ظهرت الأسطورة فى الحضارات الصينية والهندية والفارسية والبابلية والأغريقية، ومن الطبيعي أن يكون للبيئة تأثير مباشرعلى الإنسان مبدع الأسطورة فتكون أسطورة ساكنة بسكون مبدعها واستقراره، أو تكون أسطوره متحركة يتحرك مبدعها وكثره ترحاله، فالأسطوره فى الشرق القديم حكم وأمثال والآلهة عندهم محددة العدد قوية متسلطة، ويعود سكون الأسطورة إلى الهدوء النسبي في مظاهر الطبيعة، وتدور حول ارتباط الإنسان بالأرض ومظاهر بعث الحياة، أما الأسطورة فى الغرب فهى متحركة ومرتبطة بثورات الطبيعة من حيث الرياح وشدتها والأمطار وغزارتها والأعاصير وقوتها والزلازل ورجفتها والبراكين وثورتها وكذا كثرة تحرك مبدعها وركوبه البحار التى تمثل جانب كبير من بيئته ساحلية.

ورغم سكون الأسطورة فى الشرق إلا أن الأساطير المصرية القديمة كانت منهن لكثير من الحضارات بفعل الغزوات التى تعرضت لها مصر واستقبالها لفلاسفة وعباقرة كل زمان، والذين ساحوا فى أرضها يتعلمون وينقلون عنها إلى الشاطئ المقابل، واليونان أقرب السواحل الأوروبية لمصر، وعليها قامت الحضارة الأغريقية والتى كانت ذات تأثير مباشر على الفكر الإنسانى من الغرب، بعد أن تمكن العرب من بعثها من مرقدها، لتأخذ بيده ويعبر أزمان الظلام والجهل والهمجية، وعمدت

إلى ترويضه وأبعـاده عن شريعة الـغاب الحيوانـية والانتقـال به إلى المدنية والتحـضر وأعمال الفكر وقد وضح أن الحضارة الأغريقية قد خلفت تراثاً ضخماً خلاقا يستهوى أى قارئ ويستـدعى كل مثقف ويعين كل باحث وذلك إمـا للمعرفة والثـقافة والعلم والدراسة أو البحث والإسهام.

وفى هذا الكتاب تلقى بغض الضوء على عالم الأساطيـر الأغريقية، أساطير الحب والجمال والحكم والأمثال يفجر الحس الذاخـر بعناصر الخيال والمديح الحسيه والفكرية للاطلاع على جذور ثقافـة الآخر ولبيان الفكرى القائم على المادة وتأليـه الجسد وتمرد الفكر، وقـد نجد فى هذه الثـقافـة جانبـاً إيجابـيا إلى قـبس إلاهى يطلق فينا القـوه الإبداعية الكامنة فى المجتـمع الإسلامى فتمرره من جمود الفـكر تصلبا للرأى وفتور العزيمة، وذلك لبعث روح المنافسة وحب المغامرة والاكتشاف ولرتياد المجهول.

عالم الأساطير يتمـيز بالغموض والقصص المتداخلة والمتشعبـة وتنتقل عبر الأزمان مختـرقة العصـور والدهور دون عناء، وتطوى الأرض دون شقاء وتعرج إلى السـماء دون جناح فتعيش فوق النجـوم تزلف بنا إلى سراديب الأرض لنرى الجحيم ونغوص فى أعمـاق المحيطات نفـرح ونرى تحت نعرف ونفرق بين الخـير والشـر والحق العدل والجور والظلم لنتقرب من طيب الفعل والقول، ونبتعد عن الخبيث منهم، ونحن على قناعة كاملة بأنها درب من الخيال وأضغاث أحلام ومتنفث لضغوط الحياة.

والله المستعان.

تعريف

قامت الحضارة الأغريقية على الأرض اليونانية، وهى شبه جزيرة تتبعها عدة جزر ومحاطة بمياة بحر أيجه فى الشرق والبحر المتوسط فى الجنوب البحر الآيونى فى الغرب وجبال البلقان والألب الدينارية من الشمال فكان لهذه البيئة الساحلية لبلاد اليونان أثر كبير فى تحفير شعب اليونان على أن يجوب البحار والاشتغال بالتجارة فى المساعدة على ازدهار البلاد وثرائها وأدى أيضاً إلى قيام دويلات المدينة الواحدة وحرصت كل مدينة على استقلالها وسيادتها، وفى مثل هذه البيئة يغلب على الإنسان حب المغامرة والسيطرة بالمال أو الكلمة الأمر الذى أدى إلى سرعة التنوير وازدهار الفكر الذى بدأ فى البحث عن أصل العالم الطبيعى وكائناته وقضية الوجود الإنسانى والخالق لهذا الوجود وعلل الإنسان الكائن الأعظم على الأرض وأسقام النفس البشرية والقوة المسلوبه المهنية على قوى الطبيعة والمسيره للإنسان فاهتمت الأسطورة بالطبيعة والإنسان والأوهية.

بدأت الأسطورة بالبحث عن الألوهية مع الشاعرين «هرميروس» وهزيود» وقد صورا الآلهة كالبشر وهم يعيشون فوق حبال الأولمب يتخاصمون ويتصارعون ويتزوجون وينجبون ويقيمون علاقات مع البشر ويعجبون منهم ويقدمون يد العون لهم فى صراعهم ومعاركهم ويستعينون بهم فى صراعهم العلوى، وهى صورة هزلية لعلاقة الربوبية والمخلوق بخالقه. ثم انتقل الفكر اليونانى من المرحلة الأسطورية إلى مرحلة أكثر عقلانية وهى التوفيق بين الفكر الأسطورى الخيالى وإلصافة بالدليل العقلى وبدء الفكر المادى القائم على البحث عن أصل العالم الطبيعى ثم جاء الاتجاه والانتقال من التفسير المادى إلى التفسير المنطق العقلى المثالى.

وقد تأرجح الفكر اليونانى بين الانطواء والبعد عن الحياة العامة، والاندماج فيها والعمل على الارتقاء بمستوى البشر وتنظيم المدينة (الدولة) اجتماعياً واقتصادياً

وسياسياً وتنافسوا وغالباً ما يؤدى التنافس إلى رواج الفكر، ويمهد تلاقى الثقافات إلى بعث حضارة قوية، وهذا ما حدث للحضارة الأسلامية عندما حملت على الأستفاده بالموروث الثقافى اليناني، وكذا فعلت أوروبا عندما أستغلت ما وصل إليه العرب وما أضافوه إلى الحضارة الأغريقية، فتلاقت الثقافات وتمكنت أوروبا من دخول عصر النهضة، وما زالت تمتطى صهوة التقدم والإبداع، فهل يبعث فينا من يمسك لجام المعرفة والعلم والثقافة لينطلق بنا إلى عالم نحتاجه ويحتاجنا فإذا ما قامت حضارة تعتمد على موروث دينى قوى يدفع إلى العلم والاجتهاد وأعمال العقل فستكون أقوى بكثير من حضارة مادية ترفض المشاركة وتعمد إلى الاستغلال.

إنه حلم ولكنه قابل للتحقيق بيد بعض نفر يغمدون السيف ويرفعون القلم ويعظمون فريضة التعلم ويحولون جهادهم إلى ميادين تعود على المسلمين بالتقدم والاستقرار وينبذون فكرة عدم قبول الآخر وأن يعملوا على تجميع الثقافات العربية وتوحيدها ثم الالتقاء بالثقافات الأخرى.

والآن نبدأ الحلم مع طائفة من الأحلام اليونانية الرائعة التى ترهف المشاعر وتبدد السقم دون الدخول فى تاريخ الأسطورة وإضفاء نوع من الفلسفة عليها، لتقرأها فتأخذ منهاما نأخذ وننبذ ما تنبذ، فقد تراها نصف حقيقة أو رمزاً لواقع أو مرآه لمجتمع أوتوثيق لحال أمة.

زيوس
بداية الخلق

بلا مأوى غير كهوف الجبال ولا طعام إلا كلأ الأرض وقطف الثمار، راح الإغريقي القديم يهيم على وجهه بين الأحراش فى مواجهة قوى الطبيعة الغاشمة، فراح ينشد قوة خارقة تعينه على مواجهة المجهول وتنظم شئون الكون.

الأساطير اليونانية

زيوس

بداية الخلق

هام اليونانى الإغريقى القديم على وجهه فى مواجهه قوى الطبيعة الهائلة والتى لا يمكن السيطرة عليها، يتفكر فى أمر وجوده فى هذا العالم النسيج القاسى، بلا مأوى غير كهوف الجبال ولا طعام إلا كلأ الأرض وقطف الثمار، فراح ينشد قوة خارقة تعينه على مواجهة المجهول وتنظم شئون الكون، فأوجد لنفسه كبير الألهة وأسماه «زيوس» وجعله مالك الأرض والسماء وصانع الأقدار لكل المخلوقات، وصنع منه مقاتلاً صنديداً قهر أعداءه من المردة ذوى العين الواحدة والمسوخ أصحاب المائه ذراع وخمسين رأساً والتى تثير الفزع فى القلوب والهلع فى النفوس وخاض معارك قاسية ضد والده ليقيم العدل بين التياتن وكانوا اثنى عشر، ستة من الذكور وستة من الإناث وتزاوجوا ليعمر الكون، وجعلوا له أرباباً يعينوه على إدارة الكون وتكفل كل رب بمظهر من مظاهر الطبيعة أو طبع فى خلق الإنسان، كالفضائل والرذائل، والحب والشعر والشجاعة واغيها.

كانت هيرا زوجة زيوس وإله الأمومة وإله السماء وظواهرها من رعد وبرق وإله القدر، وبوسيدون إله العجاز والجياد والزلازل والبراكين، وهيلوس إله الشمس والضوء، وهستيا إله النار المقدسة وحامية الديار، وديميز إله الزراعة والخصب والنماء، وهاديس إله الخصوبة والموت وإله العالم الآخر، وأفروديت إله الحب والجمال والنسل، وأديس إله الحرب، وهيفايستوس إله النار والبراكين والحدادة والصناعة، وهرميس رسول زيوس كبير الآلهة والأرباب وإله التجارة والأسواق والطرق وإله المكر والخديعة، وديونيسوس إله الخمر والإخصاب والرعى والصيد،

وآثينا إله الحكمة والحرب، راعية الأبطال، أبولون إله الشباب والرياضةس والموسيقى وأخيراً أرتميس إله الصيد البرى والأرض الفلا والأحراش، وقد يكون لذات الآلهة أسماء أخرى فى بعض المصادر، وكان الاعتقاد الأغريقى بأن الكون نشأ من عدم «سديم» يسبح فى ظلام دامس (البوس) ذكروليل بهيم (نوكس) أنثى، وتزاوجا وأثمر هذا الزواج عن فقس خرج منه أيروس الطفل ذو الأجنحة الذى يجوب الكون يحمل مهمام الحب والعشق ويجرع القلوب للتزاوج والإنجاب، فتزاوج الذكر أورانوس «السماء» بالأنثى جايا «الأرض» لينجبا مخلوقات ذات أشكل وخصائص مختلفة، منها المردة المسوخ والتياتن.

انفصلت الأرض عن السماء، فكانت الشمس والقمر والنجوم رموز الضياء ومصادر النور من السماء وظلت الجبال والأشجار والماء رواسى فى الأرض وهى مفرخ الإنجاب والتناسل، وعندما بدأ الصراع بين أورانوس (السماء) وجايا (الأرض) وفرق أورانوس بين أبنائه فجعل حياة المسوخ فى باطن الأرض وغيرهم من الآباء ينعمون بظاهرها، لم تقف جايا مكتوفة الأيدى أمام استبداد زوجها فحرضت ابنها كررنوس (الابن) الذى طعن أباه طعنة قاتلة فغظت دماؤه الأرض وامتزجت بها لتنجب نسلا جديداً هم المردة والعمالقة والجوريات ليفسدوا الأرض ومن الزبد المجترع حول عضو الذكورة من أدرانوس والذى ألقى فى البحر كانت نشأه أفروديت إله الحب والجمال .

تزاوج التياتن ذكوراً وإناثاً لتعمر الأرض من التياتن فتزوج كرونوس قاتل أبيه من ريا لم يكن كرونوس على أبنائه رحيما فأخذ يلقم الذكور من أبنائه فور ولادتهم فى جوفه خوفاً من نبوءه بأن سيلقى حتفه على يد أحد أبنائه وسيفعل به كما فعل هو بأبيه، خشيت ريا من اندثار نسلها، فألقمته حجراً بدلا من ابنها، وأرسلت الطفل الذكر إلى جبل إيدا وعهدت برعايته إلى جوريات الجبل، وقامت العنزة أمالثيا مقام

الأم فى الرضاعة حتى كبر وشب الفتى زيوس والذى أصبح كبير الآلهة رب الأرباب.

بلغ زيوس مبلغ الشباب وكبرت معه غريزة الانتقام من ذلك الأب الجاحد قاتل أبيه وأبنائه، وتسلل إلى قصر أبيه وعمل ساقى، وعندما استتب له الأمر أعد لأبيه شرابا من عسل الفحل المخلوط بالملح والخردل، تقيأ كرونوس ما فى جوفه من أبناء، خرج الأبناء من جوف أبيهم تحركهم غريزة الانتقام من أبيهم فجعلوا من أخيهم زيوس قائداً لهم فى معركتهم ضد أبيهم.

بدأ الأب كرونوس الاستعداد للمعركة بأن ضم إليه إخوته من التياتن والمردة وانشق عنه اثنين هما بروميثيوس لتيتن الماكر الداهية والصانع الماهر والمفكر البارع بعيد النظر، وإبيميثوس التيتن المخلص الوفى لشقيقه الأكبر بروميثوس ولكنه ليس بقدر أخيه من المكر والدهاء جيش كرونوس أعوانه من التياتن والمسوخ والمردة والكوكلوبيس، وعقد اللواء الأطلس وجعل من جبل أوتريس مقراً له.

أعد زيوس جيشه لخوضه معركه الخلاص واستعان بأخوته هاديس وبوسيدون وهستيا وديميتر وهيرا وأنضم إليهم ثلاثة من المسوخ ذوى المآئه ذراع والخمسين رأساً والأخوين بروميثيوس وأبيميثيرس وساعدهم الكيلكوبيس الذين رهبوا زيوس قوة الصاعقة وجعل زيوس جبل أوليمبوس مقراً له.

التقى الجيشان فى معركة (التياتن) والتى دامت عشر سنوات، وكانت فيها الغلبة لزيوس الذى تمكن من قتل أبيه وتحقيق النصر فألقى بأعدائه التياتن فى جحيم الأرض وانفرد بالحكم فى الأرض والسماء وكون جيلا جديداً من الآلهة والأرباب وجعل من قمة جبال الأوليمبوس مجمع الآلهة ومقراً له ولمعاونيه.

هكذا اعتقد الإغريق فى أسطورة بداية الخليقة والخلق وقد نصب زيوس كبيراً للآلهه وجعل له معاونين يصرفون شئون الكون، وبدأ ويضيفون لمجمع الآلهة أرباب

من خلال أساطير وصور ونحوت تصور حياة الآلهة وصراعهم وتصارعهم وما يقدمونه من عون وما يلتقونه من مساعده،وتفصل رغباتهم وشهواتهم وغرائزهم وطبائعهم التى هى أقرب إلى المخلوق منها إلى الخالق.

* * * *

باندورا
هبة السماء

الجنة وإن دانت قطوفـها وغـمرت موائـدها وتجردت بساتينهـا وازدانت حدائقها وسـالت أنهارها من اللبن والعـسل لا يتم نفـعـهـا ولا يكمل بهـاؤها إلا بطيـب عطرها وتذوق ثمارها وعبق النسيم وحـفيف الشجر وخـرير المياة وتغـريد البلابـل وأنيس تهيم به وتهـواه وأمل لا ينقطع رجاه.

باندورا
هبة السماء

تمكن زيوس من اغتصاب عرش الكون بعد معارك ضارية مع أبيه وأعوانه وتمكن من القضاء على شرور المردة والمسوخ والتياتن، وفى مجرع الآلهة على قمة جبل أوليمبوس جلس كبير الآلهة ينظم شئون الكون ويوزع المهام على كل رب من الأرباب،وقد هيئى النعيم ليسكنه من يطيعه ويرضيه، وسعر الجحيم يردى فيه من يعصيه ونقم عليه، ولم يبق إلا إعمار الأرض من جنس البشر والحيوانات ويمدهم بسبل الحياة.

كان زيوس يحدد ذكاء إبيميثيوس وولاء بروميثيوس ومساندتهما له فى معركته الشرسة فلم يجد خيراً منها لإتمام هذه المهمة.

قبل بروميثيوس المهمة بسعادة بالغة وكذلك إبيميثيوس الذى طلب من أخيه أن ينفرد بهذا العمل الجليل،فبدء بخلق الحيوانات البرية وجعل فيهم الجسارة والدهاء ووفر لهم سبل الحماية من الطبيعة فكساهم بالفراء والجلد السميك وقوهاجسم والحوافر والأنياب وسرعه الحركة، وجعل الطيور الريش والمخالب والقدرة على الطيران وذلك للدفاع عن النفس والقدرة على المقاومة لبقاء النوع وجعل للحيوانات البحريه الحراشيف والأصداف وكثرة التناسل.

وعندما جاء خلق البشر لم يكن هناك ما يضيفه من خصائص تميزه عن الحيوان، توقف وقد أعياه التفكير حتى لحق به أخوه بروميثيوس، فأشار عليه بالحمأ المسنون، فخلط الطين بالماء وشكل إنسان على هيئة آدم وجعله يمشى قائماً وفيه من صفات الآلهة الكثير، فجعل بشرته ملساء لا ريش ولا أصداف، لا مخالب ولا أنياب، ونفخ فيه فأحياه، وكاد أن يهبه خلود الآلهة، إلا أن ذلك لم يرض زيوس فقدر على البشر الفناء وأذاقهم الموت.

أصبح الإنسان فى الميثولوجيا الأغريقية نصف إله، وصارت أقداره بيد الآلهة، رضى الإنسان بهذه الأقدار ولكن ولاءه كان لصانعه بروميثيوس الذى أخذ لنفسه مكانا فوق ربوه عالية يشرف منها على مخلوقاته الصالحين وقد غرتهم السعادة والعيش فى سلام فى مجتمع ذكورى لا فساد فيه ولا أحقاد ولا جور وظلم، لم يعرف الألم ولا تثيره نوازع وقنع البشر بهذه الحياة الهادئة الرتيبة التى تنقصها حرارة الحياة ودفئها، فسكن الكهوف وشعاب الجبال وهام فى الوديان ولكنه سعيد بخلقه وخالقه.

على قمه جبال الألومبوس كانت الآلهة والأرباب ترصد سعادة الرجل وتمده بسبل الحياة من ماء المطر ونسيم الهواء وإنبات الزروع وتعينه على صيد الحيوانات وثورات الطبيعة.

كان بروميثيوس يعيش على الأرض بين البشر ولا يسرح له بالحياة فوق جبال اولومبس مع الآلهة فلم يكن إلهاً كاملا ولا بشرا كاملا، فظل هو وأخوه يتنقلون بين ملكوت السماوات والأرض، وكانت الأرباب تخشى دهاء بروميثيوس وقربه من زيوس، فى حين كان البشر يرون فيه المعلم الناصح والأب الحنون وراعى شئونهم، يحبونه ويجلونه ويقدمون له فروض الولاء والطاعة، ولكنهم يعيشون يلهبهم صقيع الأرض، لا يعرفون معنى الدفء ويأكلون لحوم الصيد نيئه.

كان بروميثيوس يأسى لحال مخلوقاته وهو يعرف سرالنار المقدسة التى ينعم بها الآلهة فوق قمه الأوليمبس فتشع عليهم الدفء وتنضج لهم الطعام وتلين لهم الحديد وغير ذلك من منافع فأراد بروميثيوس أن ينعم على البشر بنعمة تكون لهم أعظم النعم، فلماذا لا يأتيهم بقبس من النار المقدسة، ولكنها محرمة على البشر وكيف يشاركون الآلهة أنعمها.

مازال بروميثيوس يفكر ويعلم أن كل من استباح النار المقدسة من غير الآلهة تعرض لغضب زيوس وعقابه، ولكنه يريد أن ينعم على البشر بشئ يخلده عندهم ويرفع مقداره، فرأى ذلك فى النار التى ينعم بها الأرباب ويحرم منها البشر.

جلس زيوس ينادم أربابه ومحاظيه منهم بروميثيوس ينعم الجميع بدفء النار المقدسة ويتناولون ما لذّ من الطعام الناضج واللحوم الطرية وقد شُيتْ على النار فطاب مذاقها ولان مضغها فزاده ذلك إصراراً على أن ينقل هذه النعمة وما يليها من أنعم لعباده من البشر.

استغل بروميثيوس أنشغال زيوس ببعض الأمور وأنصرافه عن المجلس فاختلس قبسا من النار المقدسة بين طيات ملابسه، وعاد كالبرق الخاطف إلى مكمنه على الأرض وجمع حوله البشر وأهداهم الدفء الذى سرقه، وانتشر لهيب النار على الأرض ووصلت ألسنتها إلى عنان السماء، فلوح لزيوس ببوادر المعصية ومحاولة البشر صنع أقدارهم بأنفسهم.

غضب زيوس كما لم يغضب من قبل وثار ثورة عظيمة اهتزت لها السماء والأرض وأعلن عن رغبته العارمة فى الانتقام من جنس البشر فينزع عنهم نعمه الدفء ويجعلهم فى زمهرير يقضى عليهم ويدمرهم وأخذ يفكر كيف يكون الانتقام من بروميثيوس سارق اللهب ومبدل الأقدار، وقرر أن يبدأبه وأمر فأتيا به مكبلاً بالأصفاد الثقيلة التى جعلته غير قادر على الحركة لثقلها، فحمل إليه سلطنا بكل خبيث وآسن، وقف أمام الإله الأعظم مرتعد الفرائص،عبثاً يحاول تبرئة نفسه من هذا الذنب العظيم، ولكنه لم يتمكن من أن يثنى زيوس ويهدئ من غضبه.

أمر زيوس أن يحمل مقيداً بما عليه من أقذار وأوساخ إلى قمه جبال الثلج بين الأعاصير والرياح الباردة ويصلب فى أعلى قمة، وسخر عليه رخا حاد المخالب والأظافر لينهش فى جسده الضخم، يهتك بنيانه ويمزق أحشاءه حتى يصل إلى كبده فيلقمه من الصباح إلى غروب الشمس وفى الليل يعود هذا الجسم فتلتئم جراحه وينبض قلبه ويعمل كبده وينتظم نفسه، ومع مطلع الشمس يمد بروميثيوس بصره فى الأفق يرقب جزعاً ورعباً اقتراب الرخ لينهش من جديد ويمزق ويهتك، وظل

بروميـثيوس كل يوم يلقى من العذاب أقـصاه ومن الهوان أدناه ومن الرعب متـهاه، دهوراً وأحقاباً.

كـان هرقل ابن زيوس الذى أوتى من القـوة أعظمـهـا ومن المكانة أعـلاها، وهو نصف الإله فهدته إنسانيته إلى مكان بروميثيوس فذهب إليه وعرف حاله فأشفق عليه وتمكن من القضـاء على الرخ وفك قيـده وعاد به إلى أبنائه وعبـيده من البـشر الذين فرحوا بعـودته وعرفوا قصـته وما عاناه من أجلهم، وعاد لهم المـعبود الأول وبنوا له المعابد وقـربوا له القرابين، وزاد استـمتاعـهم بمباهج الحياة، اسـتعرت النار فـأدفئت الأبدان وأنضجت الطعـام وألانت الحديد، غير أن قلوبهم مازالت باردة ومـشاعرهم جامدة.

نظر زيوس من عليائه إلى أولئك البشر الذين يعيشون حياة ظاهرها السعادة والرضا فليس هناك موبقات ولا آلام وأمـراض ولا علل وأسقام، لا أحقاد وانتـقام، فأراد أن ينغص عليـهم هذه الحياة وأن يجـعل من بروميثـيوس وأبيـمثيـرس وقد كان مـصدر سعادتهم هما مصدر شقائهم.

تفتق ذهن زيوس فى أنيكون مصدر شتاة البشـر من جنسهم فيشغل قلوبهم ويبدل مشاعرهم ويثـير أحقادهم، وكان مجـتمع البشر من الرجال فى حين مـجتمع الآلهة ذكوراً وأناثاً وهو الأعلم بطبيعة الأنثى.

جمع زيوس مجتمع الآلهة وعرض عليـهم الأمر، ورغبته فى أن يرسل إلى البشر هدية تغير من طبيعتهم وتشغل عقولهم عن عبادة الخارج ميثيوس وتسوق هذا المجتمع الهـادئ إلى هرج ومرج ويشـعل بداخلهم ناراً هى أشـد وأقـوى من تلك النار التى سرقها بروميثيـوس، لكن زيوس ابنه هيفستوس إله الفن والنار أن يبدع أنثى من طين للرجـال على أن يضفى عليـها آيات الجمـال ومظاهر الفتـنة من رقة الكلام ونعـومة الملمس، فجعلها غـادة هيفاء ممشوقة القوام كاملـة الأوصاف، وجعلها بين يدى زيوس الذى بهر بها أنثى على ابنة عمه.

دعى زيوس جميع الآلهـة والأرباب وطلب منهم أن ينفثوا فيهـا أجمل ما عندهم وأروع ما يكنون من أسـرار، لتكون أجمل وأبهى وأفتن من ذلك الـرجل الذى خلقه بروميثيوس.

فأقبلت عليـها فينوس وأضفت عليها من مـفاتن حسنها ما يجذب إليـها الرجال، وهالت عليها منيرفا من مستودع الحكمة ما يجعلها تـير حياة الرجل، وعلمتها ولاتونا الحياء الذى يثـير غرائز الرجال، ومـشقتهـا دانا فأكسبـتها الرشاقة والخفة التي تلفت الانتباه، وكانت حيرا إله الثرثرة فأمتلها سحـر الكلام، أما كيد بيد فجعلها فى عينيها لحظ الحب وسهام الغرام وزا أبوللو فجعل على لسانها طلاوه وفى نيراتها حلاوة وفى صوتها موسيقى وألحان.

وعندما انتهت الآلهة من أصباغ ذلك المخلـوق البديع بكل ألوان الجمال ونفث فيه الأثارة والجاذبية، جاء دور هرمـز رسول الآلهة للبشر، فأراد أن يجعل فيـها الشراسة والجراءة، والخبث فوضع فـيها قلب جر وناكر ونفس لص ماهر وعـقل ثعلب ماكر، ثم جاء زيوس ونفخ فدبت فيـها الحياة، نبض قلبها وزفرت أنفاسـها، وأبصرت فزاغ بصرها وهى ترى الآلهه مندهشين بجمالها وكمال حـسنها ورقه طبعها، وظهر حياءها فتوارت عن أنظارهم.

بهر الآلهـة بما صنعوا وفتنوا بما وضـعوا واستحـسنوا ما فعلوا وتحـيروا فى الاسم يطلقونه على هذا المخلوق البديع، نظر زيوس إليهم وقـال: لقد وضع كل منكم فيها أجمل ما عنده من طيب وخبـيث لنهديها إلى أولئك البشر فأجذعت فـيها كل الهدايا فليكن اسـمها باندورا (كل الهـدايا) وأمر هرمـز أن يحملها هدية بـروميثـيوس وكل البشر.

كان برومـيثيـوس يعلم أن زيوس لن يرضى عنه ولن يسامـحه على فعـلته فكيف يرسل له هديه، وأيقن أن بهـا أسراراً لا يعـلم كنههـا، وفتنة يصـعب الإفلات منهـا وغواية لابد واقع فيـها فرفضـها غير آسف ولا نادم، وبين الرفض والإلحـاح بالقبول

حضر بيميثيوس فوقع بصره عليها فارتجف رجـفه العاشق وجذبته مفاتنها فاشتعل قلبه بحسنها وتبدل حاله بلحظها وسجد لزيوس شاكراً على هذه الهبة العظيمة التى طغت على الدنيا بروعتها والزهور بعبرها والنار ودفئهـا والشمس بشروقها وأصيلها، والقمر ببهائه واستولت على حواسه وملكت دنياه فطلب من هرمز أن يهبه أياها.

نظر بروميثيوس إلى أخيه مشفقا على حاله، وحذره من أن زيوس لم ينس لهما ما فعلا وأن هذا المخلوق فتنة ستفسد حياتهم وخدعة ستغير أحوالهم.

لم يسمع أبيميثوس نصح أخيه بعد أن مال فؤاده وذاغ بصره واجترقت مشاعره فما زال يتوسل إلى هـرمز أن يهبـه إياها ولا يلتفت إلى مـا قاله أخـوه، ذلك الذى عمى بصره وجمد فؤاده ومات حسه.

تردد هرمز فالهدية مرسلة لبروميـثيوس ويجب أن تسلم إليه وهم أن يعود بها إلى السمـاء، إلى أن تذكر لما صنعت وعـلام جبلت وأن مكانها الأرض لتـغير من حـياة الرجال، فتـسعر فيهم نار الرغـبة، وتذيقهم السعادة والشـقاء ، الجود والعناء وتكون لهم الداء والدواء.

اقترب هرمز من أبيـثيموس وقال له: هذه الهدية مـا كانت لك ولكنى أجدك أحق بها وأولى فلتسعد بها وتهنأ ولتكن لك الحلم الذى تحقق والجنة الموعودة.

تغيرت حياة أبيميثيـوس فعرف دفء الحديث وجلاء الأنس وجمال العشرة، وذاق طيب الطعام وهمس الكلام وأبحر فى زرقة العيون، وتعطر بأنفاسها وهام من جدائل شعرها، وتنعم بملمسها الحريرى فغـاب عن الدنيا وغابت عنه الوحشة والوجدة والهد وعاشا حياة الآلهة ينهلان من لذه الحياة وسعادة الفردوس.

قال زيوس لهرمز: أما آن الأوان لنبعث لباندورا هدية زواجـها السعيد ولينفذ فيمن فكرونى وعبـدوا بروميثيوس وأقـاموا التماثيل والمعـابد قدرى وليحل عليهـم غضبى لتأخذ اليهم هذا الصندوق وتوصله إلى باندورا دون أن تعبث به وتفتحه.

في ضوء القمر وقد توسد ابيمثيوس صدر بادورا في شرفه قصرهما المنيف، بغزلان من خيوطه الفضيه آيات العشق وتتراقص أحلامها على مياه البحيرة الصافية التى اكتسبت برقائق من اللجين المذاب ويعطرهما عطر الورد المتنشرة فى الحديقة ويداعبهما نسيم عابر يربت عليهم بحنو يذيب القلب ويرهف الحس اريقت السماء وظهر فى الأفق طيف هرمز وظل هذا الطيف ينساب مع ضوء القمر حتى مثل أمامها وقد بدى عليه اهتمامه بما يحمله.

تقدم هرمز نحوهما وعلى وجهه ابتسامه الماكر وفى عينيه بريق المخادع وعلى هيئته تواضع المنافق وطلب منهم أن يستريح من طول السفر وجهد العمل وثقل الخبر.

كتمت باندورا إعجابها بذلك الصندوق الذهبى المرصع بالأحجار الكريمة والمحكم غلقه وتمنت أن تحوذه وأن يكون لها.

رأى هرمز عينى باندورا وقد لمعت وحكمتها وقد ذهبت ونفسها وقد ذهلت، فأطمأن إلى نجاح مهمته وأنها لابد وأن تأتى بثمارها.

أقترب هرمز من باندورا وقال لها لقد كنت سببا فى سعاده هذا المخلوق فأراد زيوس الآله الأعظم أن يهبك السعادة وأن يهديك بهديه تكون لك خالصة وتتفردين بها دون مخلوقاته ولكنه يشرط عليك ألا تفتحى هذا الصندوق إلا بإذنه ليريك بديع صنعه وعظيم خلقه ولكن حبه فلا تغفلى قدره ولا تخلفى أمره وتركها وذهب من حيث جاء.

أوشك شعاع الشمس أن يجلى ظلام الليل وقد غط أبيميثيوس فى النوم هانئاً بأحلامه السعيدة، أما باندورا فقد جفاها النوم وعرفت عيناها السهر واعتراها الأرق فانشغل بالها وتبدل حالها منذ أن وقعت عيناها على هذا الصندوق الغامض.

ترى ماذا فى هذا الصندوق الجميل من منظره العجيب من خبره ماذا يحوى من كنوز ودرر وتيجان ولماذا أغلق بإحكام وظلت على حالها حتى أعياه التفكير واستسلمت لأحلام بين اليقظة والمنام.

لقدأحسنت الآلهة فى وصفى وكان من بديع صنعهما وضعى فكيف تكون هداياهم وكريم عطاياهم، لابـد وأن يكون ما بالصندوق خيـر عظيم تكتمل به سـعادتى ويتم هنائى.

أشرقت الشمس إيذانا بيوم جديد، أفاق زبيمـيثوس من النوم متمنياً يوم جديد من السعادة والمرح والحب فـوجد باندورا وقد جلست القرفصـاء تحملق فى الصندوق وقد وضعته أمـامها، وقد احمرت عـيناها من السهر وشرد ذهنها وأشـعث شعرها وذهب بهاءها.

اقترب منهـا. بداعبها فذهلـت عنه، تحدث إليها فلم تلتفت إلـيه، ثم عادت تنظر إليه وقالت:

ترى .. ماذا فى هذا الصندوق العـجيب وماذا يحـوى من أسرار إننى أشعـربقوة غريبة تجذبنى إليه وتردنى نفسى أن أفتحه لأعرف ما به.

قال أبيميثيوس دعينا نعود إلى سعـادتنا وفرحنا ولهونا نستمتع بمباهج الدنيا وجمال الطبيعة حتى يأذن لك زيوس وتعـرفين ما به.. هلم معى واتركى الصندوق فأنا انتظر منه خيراً.

رفضت بانـدورا التحرك من أمـام الصندوق ولم يتمكـن من أن يثنيهـا عن رأيها، ولأول مرة منذ أن تلاقت أنفاسـهما يخرج من القصـر وحده وترك باندورا تحدق فى الصندوق وقد تغيـرت طبيعتهـا فلا تنام إلا وقد احتضنت الصـندوق الذى سلب لبها وأذهل عقلها وصلب جنونها.

مرت الأيام وباندورا على حالها، لم تترك غرفتـها وزادت هواجسها وطاش خيالها ومات حلمها وهى تنتظر أمرالسماء بأن تفتح الصندوق.

نفذ صبر باندورا فأقدمت على فتح الصندوق غـير عابئة بأمر السماء وغضب الإله وحاولت أن تقض عنه غطاءه وتكسر مخبـه لتجلى مـا به لتهدئ نفسها ويسكن قلبها

وتقرعينها، ولكنها لم تتمكن لأحكام غلقه وصعوبه فتحه، فضاق صدرها وزاد حنقها ودفعت به ليرتطم بالحائط وتتصدع زواياه وتسمع أصواتاً تخرج منه وهي تناديها.

باندورا. . . باندورا. . . أنت خلاصنا. . أخرجينا من هذا الجب السحيق وخلصينا من هذا السجن المظلم الكئيب. . أنقذينا من هذا الهول العظيم. . .باندورا. . . باندورا. . . خلصينا من هذا العذاب الأليم.

ذهلت باندورا لما سمعت ورق قلبها لهذه التوسلات فقامت إلى الصندوق ترجه وتهزه، ترفعه وتنزله، وكلما عصى عليها فتحه وكشف سره ازدادت عندها الرغبة فى معرفه مابه وما هى مصادر تلك الأصوات المكلومة وفك قيودها وأخلاقهما محبسها.

ذهب جهدها كلت يداها فركلته حانقه، أنقلب الصندوق عدة مرات، فإذا بالقفل ينكسر والمزاج ينزلق ويكشف النقاب ويفتح الغطاء، وانطلقت منه خفافيش سوداء تنعق كالبوم وتعوى كالذئاب وتنبح كالكلاب، فملأت الحجرة وراحت تحوم حول باندورا التى ارتعدت فرائصها وأسرعت تغلق الصندوق وسكنت فى ركن مظلم من الغرفة.

هجمت الخفافيش على باندورا تنشب فيها مخالبها تمزق جسدها وتشوه وجهها، ومع كل زفرة ألم وقطعة لحم تنهش تسمع باندورا أصوات الخفافيش . . أنا الألم. . أنا المرض والسقم أنا الجوع والنهم. . أنا القحط والعدم. . . أنا الفجل والشح. . . أنا النفاق والشقاق. . أنا. . . أنا الخوف والوجل وانطلقت الخفافيش من الغرفة لعملاء دنيا البشر بشتى أنواع الرذائل والموبقات لتتحول حياتهم من السعادة إلى الشقاء ومن الهدوء والراحة إلى الصخب والعناء ومن البراءة والصدق والإخلاص إلى الخبث والمكر والخديعة والنفاق.

باتت باندورا طريحة الأرض تسخنها الجراح، تلملم ما تمزق من جسدها، وتئن قسوة الآمها وتلعن طيشها ونزقها وتلعن الهدية التى أرسلتها الآلهة وظلت على حالها

حتى جاءها أبيمثيوس تؤلمه جراحه ويعتريه الجهد والتعب ورقد جوار باندورا ينعيان حظهما التعس، وكلما أنت وتألمت من جراحها وسخطت على الآلهة، ذكرها بأنه نصحها بأن هذا الصندوق لن يأتى منه خير.

وبينما هما على هذه الحالة من الجوع والسقم والسخط والألم فإذا بهم يسمعون صوتاً ضعيفاً يخرج من الصندوق يناديها.. بنادورا لماذا تركتنى .. أنا لك الرحمة لماذا أغلقت على الباب.. أنا لك الشفاء من الألم والبراءة من السقم والخلاص من الندم.

فاتت بإندورا تحاول الوصول إلى الصندوق فسقطت مغشياً عليها، أخذ أبيميثوس يحبو حتى وصل إلى الصندوق ففتح الصندوق فإذا بفراشة جميلة بياضها شاهق وحركتها دائبة وصوتها رخيم تقول: أنا روح الأمل وجاءت تحوم حول الجسد المسجى يئن من وطأة الألم ونادت باندورا أنا لك الترياق والدواء أنا لك النجاة وحطت على جسدها ترفرف بجناحيها فالتئمت الجراح فعاد للجسد البض ملمسه الناعم وعادت للعيون بريقها وللوجه نضارته وللصوت حلاوته وعذوبته وعادت الابتسامة وهى ترى روح الأمل ترفرف على كل جراح البشر تزيل آلامه وتشفى جراحه وتبرئ أسقامه وتزيل وحشته وتؤنس وحدته.

وما زالت هذه الروح هى الملاذ الأخير فما دام الأمل بقيت الحياة مهما عبثت بالبشر الأقدار وزادت الآثام وساءت الأحول وزلزلت الأرض وغضب السماء. مازال الأمل هو طوق النجاة وملاذ الإنسان.

* * * *

نركسوس
زهره النرجس

عندما تعلو الأنا فى النفس البشرية وتصاب بالكبر والخيلاء، تتراجع كل الصفات النبيلة والفطرة السليمة فتزول النعم وتكثر النقم ويتحول الأمل والرجاء إلى يأس وشقاء.

نركسوس
زهره النرجس

انسلت من ثنايا الفجر قطرات الندى تلثم جبين الزهور البرية فوق التلال الخضراء على الربوة العالية توقظها من سباتها العميق.

تفتحت الزهور لتستقبل شعاع الشمس الذى رسم على الوادى قوس قزح بألوانه فبدى للناظرين بساطاً أخضر وقد ترصع بحبات من اللؤلوء والياقوت والمرجان.

مع النسيم فاح العطر وتناثر الشذى وتحول الوادى إلى روضة من رياض الجنة، ترهف الحس وتهدهد النفس، تسر العين وتزيل الهموم. تذهب الدهشة وتلهب الخيال تسمو بالروح وتحرك كوامن العقل.

ومثل هذه الرياض تكثر فى بلاد اليونان، فقد جبتها الطبيعة دفئ الشمس، وغزاره الأمطار والجبال المرتفعة والتلال المتدرجة والأرض المنبسطة والأنهار والجداول، فتزينت الجبال بالزنابق والزهور البرية واكتست التلال بالخضرة وجاءت الأرض بالبساتين والزروع فكان صفاء الذهن وسمو الروح وسعة الإدراك وحب الحياة.

امتزجت هذه الطبيعة الخلابة بهواء البحار المحيطة بالجزر اليونانية فانعكس ذلك على الإغريقى القديم فولد فيلسوفاً وعاش حياته حالماً ومات مقاتلاً وخلد علماً.

فكانت الملاحم والأساطير والأناشيد والأشعار وجعل لكل مظهر من مظاهر الطبيعة رب من الأرباب لكل منبت أصل وفصل، وأصبحت الحياة البرية تسير حياته وتسيطر على مشاعره، وصار تفكيرهم أعمق وخيالهم متدفقاً وجعلوا لكل ظاهرة أسطورة ولكل كلمة مقولة ولكل زهرة نسجا من الخيال جاعلا من الأسطورة مذهباً لأعلام فضيلة وذم رزيلة.

زخرت الطبيعة الجبليه بأنواع الزهور البرية بمناظرها الخلابة وطبيعتها الجذابة وتعتبر زهره النرجس من أكثر هذه الزهور البريه المنتشره فى بلاد الأغريق منذ أقدم العصور فنسجوا حولها الأساطير التى ترمز إلى ذم الكبر والخيلاء وإعلاء الأنا فى النفس البشريه. ومآ لها من الندم والحسره.

أراد كفيسوس إله النهر أن يكون له نسل من جنس البشر، جميل المنظر متدفق الحياة بهى الطلعة ممشوق القوام تهفو إليه القلوب وتهيم به الحور ويسبى من ينظر إليه ويعشقه.

جدكفيسوس فى أن يجد رحماً لنسله، فسال فى مجاريه بين البساتين والحقول والمروج حتى وجد أندى المروج وأخضبها (اليريوبى) فقذ فيها مياهه المتدفقه الدافئة، فكان نبته الجميل «نركسوس» ووهبه الآلهه جمالاً أخاذاً وبهاءاً أسراً قداً ممشوقاً وعيوناً ساحرة ولكنه جعل مشاعره جامده وتلافيفه باردة لا يحب فى الدنيا إلا نفسه ولا يعجبه إلا رسمه ولا يعلو إلا اسمه.

ترعرع نركسوس فى أحضان الطبيعة فوهبته من جمالها أحسنه ومن بهائها أجمله ونفحته مياه الجداول ليونتها وأصبغت المروج الخضراء عيناه، وكان وجهه فى بياض الثلج وشعره أخذ لونه من شعاع الشمس، وصار جماله حديث الآلهة ومعشوق كل عين تراه.

كلما كبر نركسوس ازداد جمالاً وحسنا، أحبه الرجال والإناث وكثر أصحابه وأصدقاؤه والجميع يتلهفون للقائه والجلوس معه ومصاحبته.

بدء نركسوس يشعر بتهافت الناس عليه ويعرف مقدار جماله وماهيته الطبيعة من جاذبية جعلت من حوله يلتفون حوله، فعظمت نفسه، وغلبه العجب وسيطر عليه الكبر والخيلاء فمض يدب على الأرض ويطأ المشاعر ويتجاهل نظرات الأعجاب.

كانت إيكو (الصدى فى اللغة اليونانية) فتاة أخذت من الطبيعة كل مفاتنها، أنفاسها عبير وصوتها جميل، مرمرية القد ممشوقة القوام، يسبح شعرها الأقحوانى مع نسمة

الهواء فـينثر شذاها فى البـساتين والمروج لســانها طلق، حديثـها حلو تسبى العـقول وتشغف القلوب تقـضى يومها تجول بين البـساتين والحقول، تتـوسد الزهور وتطرب الصوت البلابل والطيور.

تسلل شعاع الـشمس يخترق الحجب ليلـقى بدفئه على جسد ايكـو المشوق على ضفة إحدى الجداول، أفاقت ايكو تزيح عنها ما تلفحت به من زهور وتفتحت عيناها تستقبل الفجر الجديد.

جلست إيكو فى خمـيلتها التى تشـرق على التلال الخضـراء ترشف العـسل وتغب اللبن وترمق الثمار والورود.

تفتح السـماء أبوابهـا ويهل زيوس الإله العظيم ينزل من عليان يسـير بين الحـقول ويدلف إلى جداول الأنهار ويبـحث عن إحدى الحور يقضى منهـا وتراً ويصيب منها غزلا ويقضى منها غريزة ويبث فيها غرامه.

تبرق السمـاء ويتفرق السحـاب وتهبط هيرا زوجة زيوس وقـد أعمتها الـغيرة تمتم ساخطة وتزمـجر. غـاضبة تبـحث عن زوجهـا ذلك الإله الماجن الذى تسيـره غريزته وترديه عواطفه.

عرفت إيكو سبب غضب هيرا وأرادت أن توارى سوءة زيوس، قلادتها تسألها عن سبب غضبها وسر ثورتها.

قـالت هيرا: ذلك الإلـه الماجن نزل إلى الأرض يبـحث عن إحدى الحـوريات لا يوخذه ضمير ولا يوزعه مقام.. ألم تريه يا فتاتى فى هذا الجوار.

قالت إيكو: لم يطأ هذا الجوار غيرى أنس ولا جان ولا رب الزمان والمكان لهدوء نفسك وتقـر عيناك وليطمـئن قلبك واسمعى مـنى ما يشرح صـدرك ويذهب كدرك وهمك.

كانت إيكو فى حـديثها حـلاوة وعلى لسانهـا طلاوة فاستـمعت هيرا إلى سـماع حديثـها وظلت هيـرا تسمع إلى رواياتها وحكـاياتها حتى لملمت الشـمس خيـوطها

الذهبية ولم تفق هيـرا من سحر كلام إيكو إلا عندما نظرت أمواج اللجـين المتلاحقة على صفـحة النهر تـترقرق وضـوء النجوم يلمع فى عينى إيكـو ولمحت زيوس بريقاً كالسهم فى طريقه إلى عليائه.

شبت نار الغيـره تأكل من جديد قلب هيرا وأيقنت إن إيكو ما فعلت مـا فعلته إلا محاباة لزيوس ولإلهائها عنه، فـصبت عليها غضبها وأظهرت قـسوتها وأحلت عليها لعنتها بأن تفقد إيكو حلو حديثها وطلاءه لسانها وجاذبيتها، فصارت إيكو غير قادرة.

على الحديث واقتـصر نطقها على ترديد آخر الكلام الذى تسـرعه وصارت صدى لكل صوت يطلق من الخلاء وبين سفوح الجبال.

لم تعد إيكو قادرة على إبداء الحـديث فغلب الصمت حياتها وغـابت عنها حلاوة اللسان وحسن البيان وأرادت أن تنسحب من الحياة.

كيف ومعشوقها نركسـوس يغدو ويروح بين هذه المروج وقد تعلق قلبها به وأصبح هو سلوتها ونشوتها وأملها فى الحياة، واكتفت برؤيته مع أصدقائه فى رحلات الصيد والقنص تتبعه كظله لا يفـارق عيناها كما لا يفارق قلبها وخيـالها، وأصبح هو أملها فى الحياة.

مازال قلبها ينبض محبه ويزداد تعلقها به ومازالت تحتل ربوتها تنظر الغادى والرائح وفيهم حبيـبها، تردد المقطع الأخير من كلام الناس وتمنى نفسها بيـوم لقائه والسباحة فى عينيه وغنوة بين أحضـانه ولم يزبل جمالها وزاد حسنها ولكن امتلأ قـلبها حسرة أرقها السـهاد واعتصرتها لوعة الحب.

كيف السبيل إليه.. كيف أخطب وده وأسـر قلبه وأبث إليه غرامى وولهى وعذاب قلبى، كيف وكنت أمتلك حلو اللسان ولم أتمكن من مواجهته .. كيف وقد أصبحت غير قادرة إلا على ترديد ما يقوله بغير ذكره كـله أنا آخره.. لقد عقد قلبى كما عقد لسانى.. سأكـتم حبى وأخفى لوعتى ، وكـفانى أن أنظر إليه من بعـيد، عزائى فى أسمع صوته وأرى خياله ورسمه.

خرج نركسوس ذات يوم مع رفاقه وأصـدقائه فى رحله صيد، وانطلقت معه إيكو تتبع خطاه وتظل سماه وتسمع لغاه.

ظهر أمـام الرفاق عدة فـرائس انطلق كل منهم خلف فريسـته يقـضيهـا،تفرقت الصحبه وطـالت المطاردة، ظل نركسوس يطارد فريسته وهى تقـفز به وتحط ، تتوارى عنه وتظهر وهو يطـلق سهامه فـلا يصيب منهـا مقتلا، ومـازالت إيكو تلهث وراءها يكبحها الهوى ويقيمها الأمل، تعـدو وكأنها تعتلى بساط الريح، لا يضنيها جوع ولا يثبطها عطش، لا يثنيها كلل ولا يرجعها ملل.

ضيق نركـسوس الخناق على فريسـته وحصـرها وأطلق من جعبـته سهـما أرادها تخوض فى الدماء، فأقبل عليها وقد انفرجت أساريره وذهب عنه عناء أكبد من جهد وهو يحمل بين يديه دلائل النصر.

أفاق نركسوس من فرحته على وحـده ووحشه فى وادى ضيق بين شرائح الجبال لا يدرى مكانه ولا زمانه ولا يعرف من أين جاء وما هو سبيله إلى العودة.

حمل نركسوس الفـريسة وسار فى اتجاه مغرب الشمس حـتى كلت قدماه، وكانت إيكو تنتقل من قمة جـبل إلىآخرى ترمقه عن بعد غير قـادرة على إرشاده أو مواساته جلس نركسوس وقـد أعياه التعب ينظر حوله فـلا طير يؤنس وحدته ولا دابة تذهب وحشته، فـأطلق زفرة ألم وصرخة استغاثة. . يارفـاق الدرب. . أصابنى الظمأ إلا من جدول أو غدير.

قفز قلب إيكو وكاد يخرج من صدرها فـرددت بصوتها الدرب . . الظمأ . . الغدير الغدير. . سمع نركسوس صوتها فى صوته يقول الدرب . . العدير. . الغدير فذهبت وحشته واطمأن قلبـه وشعر أن بقربه أنسـا وأنيسا فهب واقفا وحـملته قدماه إلى غدير ينساب من بين شعاب الجبال فردى ظمأه وعلى صوته ينادى.

أنا نركسوس.

فترد إيكو: نركسوس، فظن أن معه صحبه خلف أكمة الجبال فصاح.

ياصاحبى أين أنت.

فسمع: أين أنت.

أنا هنا بجوار الغدير.

ترد إيكو بجوار الغدير.

هل تسمعنى؟

تسمعنى؟

أحضر إلى فوراً

إلىّ فوراً

أنا محتاج إليك.

محتاج إليك.

وهكذا ظل نركسوس يطلق صيحات النجدة الاستغاثة وظلت إيكو تردد المقطع الأخير من كلامه، ضاق صدره ولان طبعها وأشفقت عليه وقررت أن تنزل إليه عسى أن تتمكن من أن تفضى إليه بحبها يرحم ضعفها وتنعم بلقائه وترتمى بين أحضانه.

بسطت يدها ومدت ذراعيها وهى تهبط عليه كالملاك القادم من السماء، محمل بالأريج ومفعم بالحب، اتجهت إيكو نحو نركسوس تمنى نفسها بحرارة اللقاء وطول العناق ابتعدى من أنت.

من أنت.

أنا تائه أتوسل إليك.

أتوسل إليك.

لا تقتربى منى.

اقترب منى

لا أريدك.

أريدك

أموت قبل أن أكون بين يديك.

بين يديك.

لا تهفو إليك روحى.

إليك روحى.

مازالت إيكو مندفعة نحوه وهو جالس على صخرة، اقتربت منه. .أغمضت عيناها تفتح قلبها ضمت شفـتيها غلبتها النشوة قفز نركسوس بيتـعد عنها وتركها تهوى على الأرض تحتضن الصخرة يالها من قسوه وياله من غرور وصلف وكبرياء.

جراح الجسد تلتئم مع الأيام ولكن جراح القلوب تدمى مهما طال الزمان، لم يعبأ نركسوس بما سبب لإكو من الألم والجراح، ولم يلتفت إليها وتركها تذرف الدمع ولا تقوى على أن تلملم شتات نفسها، كانت طعنة نافذة قتلت فيها الروح وتركتها جسداً يهيم فى الوديان وشعاب الجبال تتـجرع الحسرات وتذرف الآهات وتنزف الدماء وتردد المقطع الأخير مما تسمع.

ترك نركسوس فريسته إكو تجذ ألامها بعد أن بدد أملها وقضى على أحلامها تركها دون التفاتة ولا شفقة وعاد إلى حياته يمرح ويلهو يقنص ويصيد يزهو ويختال ويزداد عنده العجب والغرور والكبر والخيلاء.

وجاءت إكو تحتل مجلسها فوق الربوة بقلب كسير ونفس ذليلة ودمعة حزينة عالمها الصمت وفـضارت سـخرية البشـر مثار غـضب الآلهة والربات وفـارقتهـا الصحـبة والحوريات ذهب جـمالها وذبل جـسدها ونحل عودها وصارت شـبحاً يلفظ أنفـاسه الأخيرة وأوشكت على الاحتضار.

أقبلت أفروديت إلهة الحب والعشق على إكو تمد لها يد الحب وتمنيها بعودة الحبيب.

فتحت إكو عينيها الغائرتين وقد ذهب بريقها ونظرت إلى أفروديت ولم تنطق وانسابت من عينيها دمعة دافئة تشكوحالها وتشيع غرامها وحبها وفاضت روحها وتحول جسدها إلى رماد.

قامت أفروديت وذرت هذا الرماد على سفوح الجبال وبين الأودية ومن كل خلاء لتصبح إكو صدى لكل صوت وليصبح ذكرى خالدة لقلب قتله العشق وجسد فنى بعد أن وطأه الغرور والصلف والكبرياء وقد عزمت أفروديت على أن تنتقم لشهيدة الغرام.

لم يكن نركسوس يدرى ما قدرته عليه الآلهة، وكانت حياته على هواه يصبح ويمسى كما يشاء يغدو ويروح كما يحلو له، يصاحب من يريد ويصادق من يحب.

ذات يوم وفى إحدى رحلات الصيد أخذ يتتبع فريسته بين الأشجار وخلف الكثبان وفوق التلال إلى أن تمكن منها، وكانت الشمس قد توسطت كبد السماء ونفذ ما معه من ماء وأصابه العطش فأخذ يبحث عن زرع أو غدير أو جدول صغير.

اقترب نركسوس من صديقة غناء يفوح منها عطر الياسمين وصوت خرير المياه يطرب أذنه ويروى ظمأه والأشجار وارفة الظلال والنسيم يرطب وجنتيه ويلطف جسده من حرارة الشمس أسرع الخطى نحو الغدير وترك كل ما كان يحمله وألقى بنفسه يغترف الماء ليرتوى ويغتسل وصفحة مياه الغدير تجف بين يديه.

طابت نفسه وذهب عطشه، وإذا بصوت البلابل يعلو وحفيف الشجر يخبو فنظر إلى السماء فإذا هى صافية وزرقتها لامعة والشمس تلقى بأشعتها فوق صفحات الغدير فجعلته يترقرق ويومض فى عينى نركسوس الذى افترش البساط الأخضر وأخذته سنة من النوم.

أفاق نركسوس مع الأصيل وقد سكن كل شئ حوله وصارت صفحة الغدير كمرآة لامعـة، أراد نركسوس أن يزيل عنه أثر النعـاس فمد يده يغتـرف بعض الماء، فإذا به يرى وجهه جمـيلا وظهرت على الوجه ابتسـامة فبادل الوجه تلك الابتسـامه وشعر يتمايل وعينان نجلاوان وتنظره من تحت الماء.

اعتـرته الدهشة وتوقف قلبه وتصلبت يداه وتحـجرت مقلتاه، لقـد سمع عن بنات الحور ولكنه لم يكن يتـخيل هذا الجمال، لم يكن ليـغمض عينيه حـتى لا يغيب عنه ذلك الوجه الصبوح البـاسم ولكنه أغمض عينيه دلكهم بيده ليـتأكد أنه ليس بحالم، اعاد النظر إلى صفحة الماء.

ما زالت العـينان تنظره والبسمه توخـذه عاد قلبه ينبض بشدة جـسدة يرتجف يداه ترتعشان وجبـينه يتصبب عرقا رغم رطوبة الجو وهم أن يلقى بجـسده فى ماء الغدير وتردد ابتعـد الوجه غابت الابتـسامة. . اخـتفت العينان وسـحب الشعر الجـميل إلى أعماق الغدير وحل محله بريق النجوم التى بدأت تظهر فى السماء وضوء القمر الذى يعلن جناب الشـمس وأرض الليل سدوله فـحمل نركـسوس جسـده وهو لا يريد أن يبتعد عن الغدير وعاد إلى أهله.

ألقى نركسوس بجسده المرهـق يريد أن ينال قسطا من النوم بعد رحلة طويلة سرى فيها بجسـده وترك روحه على ضفاف الغدير،بعد أن ملك هذا الوجه عليه كل حواسه ولم تفارقـه ابتسامتهـا وإشراقتهـا ولم يغب عنه بريق عينيهـا ونضارة جبينهـا وسحر شعرها.

لم يغمض له جـفن وقد أرقه السهاد وبات لـيلته يستعجل بـزوغ الفجر ومع أول ضوء للشمس كان يسـرع الخطى فى اتجاه الغدير أطل بوجهه على صفـحة المياة، فإذا بذات الوجه ينظر إليه، فعلت وجهه ابتسامة فـتبسم له الوجه، أقبل عليه فاقترب منه الوجه. . ابتعد فابتعد الوجه،لوح له بيده يلقـى عليه التحية فرد عليه الوجه بمثلها. . ما أجملها من حورية لم تقع عينى على هذا الجـمال من قبل لم أر هذه الأبتسامة لك

ينبض قلبى ، لقد اختلف وجه الحيـاة. . ما أجمل الزهور وما أبدع الطيور، كل شئ حولى أصبح جميلا وظل على حـاله إلى أن غربت الشمس فلم يعد يرى هذا الوجه وعاد إلى منزله.

جلس نركسوس أمام المنزل وقـد جافاه النعاس. . .السماء صافـية. . البدر مكتمل . . الهدوء يخيم على المكان.

لماذا لا أذهب الآن إلى الغـدير لألقى محـبوبتى لأهـدى من قلبى المفعم بالعـشق وأنهل من نبع الغرام وأشبع عينى من السحر والدلال.

اقـترب نـركسـوس من الغـدير، ضـوءالقمـر جـعل صـفـحة الميـاه بسـاطاً من اللجين. .صوت قلب نركسوس يعلو عن صوت خطى قدمه لا يريد أن يقلق محبوته النائمة وحين دنا من الغدير صار يحبو على يديه وقـدميه حتى أطل على صفحة المياة فإذا بالوجه الجميل ينظر إليه من تحت الماء.

يالها من معـشوقة تهيم بى حباً إنهـا ساهرة مثلى وقد أرقهـا السهاد ونهش الحب قلبها فلم تنو على بعادى وما زالت تنتظرنى.

ابتسم نركسـوس وهالته ابتسامتـها، لوح إليها فبادلتـه التحية. . مد يده ليلمـسها فمدت يدها وعندما اقـتربت يده من صفحة المياه ولمس يدها اهتزت الميـاة وسارت فيه رعدة فـجذب يده وابتـعد ما تبـعد الوجـه، زاد وجله وزاد بعده فـزاد وجل الوجه، واختفى عن صفحة المياة.

هجر نركسـوس أصـحابه وأقلع عن عـاداته وغاب عن رحلاته، فلم يـعد القنص متعته والصيـد فرحته وترك متاع الدنيا خلفه وأصبح الغديـر مأواه ورؤية الحبيب أكبر مناه وظل على ذلك يتردد على الغدير صـباح ومساء ترضيه منهـا النظرة والأبتسامة، وبدء يسمعـها عبارات الغزل ويسمع منهـا وهى تردد ما يقوله لها ويسعـد به غير أنه كلما حاول أن يلمسها ترتعش صفحات الماء فيسحب كل منهما يده فيلوح لها وتلوح له وتختفى بابتعاده عن حافة الغدير.

مازال نركسوس يمنى نفسه بلقاء حبيبه يلثم شفتيها يسبح فى عينيها يذوب بين أحضانها ولكن هيهات وتلاقيهما بات مستحيلا.

تعاقبت الأيام والشهورونركسوس لا يبرح مكانه،وكل يوم يزداد شغفا وحبا وقد صوب وجهه نحو صفحة المياة، لم يهنأ له زاد وفقدت الأيام حلاوتها وصد كل شئ عرف المذلة والهوان، ابتعد عن حافه الغدير، أصابته العلل والأسقام ، نحل جسمه وقل جهده وما عاد يرى مما حوله إلا خيالاً، واختلط صوت البلابل وغدير المياة وحفيف الشجر مع حشرجة صوته وهو يقول : وداعا. . وداعا يامن أحب.

فيسمع صدى يعيد إلى مسامعه وداعاً يامن أحب،وأغمض عينيه على صورة محبوبته ولم يفتحها مرة أخرى فقد قضى نحبه وفارق الحياة.

نزلت إكو من فوق الربوة التى كانت تعتليها، ترمق نركسوس وهو يصطلى بعذاب الحب ويكتوى بلوعة البعاد واقتربت من الجسد الهامد وقد أصبح هيكلا لا حركه فيه ولا نبض.

نظرت إليه نظرة حانية ورددت وداعاً يامن أحب، جاءتها أفروديت وقد فرغت من أنتقامها من العاشق الذى لم يرحم معشوقته وجعلت من كبريائه مذلته وفى غروره مقتله وفى خيلائه فتنة وجعلت من صورته معشوقته مما كان ينظر على صفحات الغدير إلا صورته فعشقها وهام فيها ولها أفنى حياته فمات صريع الأنا.

هبت الرياح عاصفة تذر رماد نركسوس على الروابى وسفوح الجبال لتنبت زهرة حزينة هى زهرة النرجس، عاد تركسوس إلى الحياة زهرة برية على سفوح الجبال وعلى ضفاف الجداول والأنهار .

ومع هبوب الرياح انطلقت إيكو تعتلى قمم الجبال وتسبح فى الوديان وتنزل إلى القيعان تردد القطع الأخير مما تسمع.

هكذا كان قد أفروديت على نركسوس وإكو ليصبحا رمزاً لقصة حب ماتت تحت أقدام الزهو والكبر والخيلاء وليصير نركسوس زهرة حزينة برية وحيدة، بحرمانها تسعد الناظر إليها وشقائها تهدى النفوس الحائرة وتشاطرها.

مازالت أسطورة نركسوس الذى مات وبعثه الآلهة زهرة جميلة تتناقلها الأجيال، وكانت يوماً رمزاً للموت والفناء، ويوماً ترمز للغرور والكبرياء وزمانا هى الحزن والضياع وهى تمثل طبيعة بعض صنوف البشر التى تعلو فى نفوسهم الأنا ويعتريهم الغرور والكبر يطئون المشاعر ويقتلون الأمال ويثبطوا العزيمة، لا يقيموا لغيرهم وزنا لا قيمة حتى يرتد مهمهم إلى نحارهم وتكون مذبلة التاريخ مآلهم.

* * * *

كيوبيد
سهام الحب العذري

كانت فينوس ربه الجمال متربعه على عرش الحب ومصدر السعادة لكل عاشق، أقيمت لها المعابد وكثر مريدوها، وصارت تزهو بمنزلتها بين الآلهة والأرباب، فهي ربة الدلال وإله العشق والجمال، حتى جاء يوماً عزف فيه الكثير عن عبادتها ونزعوا عبادتها.

كيوبيد
سهام الحب العذرى

اكتمل فى ليلة السماء فيها صافية فأرسل ضياه، فبدت بعض السحب ترسم فى السماء لوحات جميلة سابحة تعددت اللوحات وترصعت النجوم على الثوب الأسود تتلألأ.

يالها من ليلة صيف، نسيم الفجر يهب فتتمايل الزنابق والرياحين تنثر الشذى، وخلف الأشجار تجرى الجداول تحمل المياة العذبة إلى الغدير الممتد داخل الروابى يبث فيها الحياة.

كانت الأرض قد لبست ثوب الجمال فبدت فى أبهى زينتها وبات العشاق ينهلون من خمر الحب حتى الثمالة ويتضوعون إلى ربة الجمال والحب ألا ينجلى هذا الليل.

كانت فينوس ربه الجمال متربعة على عرش الحب ومصدر السعادة لكل عاشق، أقيمت لها المعابد وكثر مريدوها فكانت تزهو بمنزلتها بين الآلهة والأرباب فهى ربه الدلال وإله العشق والجمال، حتى جاء يوماً وقد عرف عنها الكثيرين من عبادها ونزعوا عباءتها .. ترى ما سبب ذلك، لماذا تحول الناس عنى وأنا رمز الجمال يتغنون بحسنى صبحا ومساء؟

إنها بسيشيه ابنة ملك كليت، تلك الغاده الهيفاء شرابها من العسل واللبن وغذاؤها من رحيق الزهور تسبح فى ماء الورد فشبت وجيدها من البلور ووجهها كالبدر يشع نوراً، وساقاها من المرمر المصقول عيناها كالبحر المسجور، أنفاسها عاطره وبسمتها ساحره أغلق عليها أبيها أبواب القصر بعد أن ذاع صيتها وسحرت الناس بجمالها وأخذتهم بمفاتنها فتبتلوا حول القصر يتلهفون لرويتها والتمتع بالنظر إليها والتسبيح بجمالها الغامض الساحر.

عرفت فينوس سـبب انصراف الناس عنها فاسـتدعت ابنها كيوبيـد لتنظر أمر تلك الفتـاة التى يتغنى باسـمها الشـعراء وتغازلهـا الإلهه التى صارت تتنـدر على فينوس وينهكومون عليها.

بنى العزيز أترى ما آل إليه حالى من هوان وسخريـة بسبب تلك الفتاة التعسة التى جعلـت الناس تنصرف عن عـبادتى وهجروا مـعابدى وصـرت مشار سخريـه الآلهه وفارقـتنى الصحـبة وتقتـلنى الوحدة. . أيرضيـك يابنى أن ترى دمعى وكنت بسـمة العاشقين، أيـرضيك حزنى وكنت فرحة اللاهين والعابدين، أيرضـيك سقمى وكنت ترياق المجروحين، وأمل البائسين وهناء الملتحين وواحه المحبين.

بنى. . فيك رجـائى أن تقضى على هذه المخلوقة التى سلبت منى حـياتى وأشقت هنائى وأذبت قلبى. . لقـد نفذ منى الصـبر ولا أقـوى على احتـمال النظر اليـها. . خلصنى منها لأرفع هامتى وتعـمر معابدى ويعود مريدى أقـتلها أو ألقى بها فى أتون الجحيم فليصب سهمك المسموم قلبها وليمزق جسدها ولتهم روحها الشريرة مع الموتى فى قاع سحيق لا تخرج منه أبداً.

حمل كيوبيد كنانته وقد غمرت بسهام من الذهب والفضة ومضى إلى قصر الملك، وقد خل قلبـه ونادت نفسـه وخمر عـقله وعمـيت بصيرته ولا هم لـه إلا قتل تلك المخلوقة التى كانـت سبباً فى حزن أمـه وحول قلبها المفعم بـالحب إلى جمرة من نار تنفذ حقداً وكراهية.

فرد كيوبيد جناحيه وسار على قدميه بعد أن هبط على إحدى القمم الشاهقة ونزل إلى الوادى الفسيح واسـتقبله نسيم الفجـر فأصابه ندى الصبح بلسـعه برد جعلت فى بدنه رعدة خفـيفة هدأت من حواسه الثائرة عـرج على الطريق المؤدى إلى قصر الملك فإذا بالأشجار الباسقة تجدد له معالم الطـريق بمحاذاة جدول تنساب فيه الماء وقد حفته البساتين والحدائق الغناء.

أرض الليل سدوله فهدأت الكائنات إلا من بعض حفيف الأشجار وقد بعث القمر ضياه لتصبح صفحات مياه الغدير بساطا من الفضة تترقرق ويسرع لها خرير كلما اصتدمت بصخرة أو نتوء.

اقترب كيوبيد من قصر الملك فنظر بعض الخمائل المتناثره يسكنها العشاق ينهلون من خمر الحب، عاد ضيقه على بسيشيه واخترق جدا القصر يبحث عن معبدها ومكنها وعندما هم بالمسير سرع أهه يتبعها أنين بصوت خافت يصدر من تحت قدميه، رفع قدمه فإذا بزهرة قد وطئها وسحقها بقدمه، جثى على ركبته فوجدها تذرف الدمع وهى تلفظ أنفاسها وتحتضر، حاول أن يقيم عودها ولكنها كانت قد فارقت الحياة فسمع صوت بلبل شجى ينعى موت زهرة كانت منذ لحظات تبث شذاها وتنثر عطرها وتسر الناظرين.

وقف كيوبيد ينظر حوله.. حدائق غناء وأشجار مؤرقة وبساتين عامرة، وزنابق ورياحين وضوء القمر سابح فوق بحيره ونسيم يحول حوله معطر بالياسمين أنها الجنة على الأرض وكل ما بها جميل فرق قلبه، وعاد إلى سابق عهده لا يعرف الحقد إليه سبيلا ولا ترى عيناه إلا كل جميل.

كيف يبدد هذا الجمال ويحول الفرحة فيه إلى آلام، ماذنب تلك الزهرة التى سحقتها الكراهية فضت عليها الأحقاد.

أمك.. أمك هكذا أسرع ورأى أمه وقد تمثلت أمامه.. يابنى لا تدع هذه المظاهر تثنيك عما عزمت وتردك عما نويت، إن لى عليك عهد، ومنك وعد بأن تجهز على هذه المخلوقة لتعيد لى كرامتى وهيبتى وتعمر معابدى.

انتفض كيوبيد وتقدم لا يلوى على زهرة وطأها أو نبتة سحقها.. ارتقى سلالم القصر الرخامية ونزل إلى البهو يبحث عن مغدورته وعدوة أمه وسبب تعاستها وشتاتها عرف فى القصر الكثير.. أين مخدعها ومكمنها.. وإذا بعبير لم يألفه هب عليه من إحدى الغرف فتتبع أنفه يبحث عن مصدره، باب الغرفة موصد، رف بجناحيه فدخل من النافذة.

رسم شعاع القـمر هيئة على أرض الغرفة المصـقول فتمثل طائر المنيـة قادم لقبض روح ارسالها إلى الجحيم ومازال صوت أمه يطن فى أذنيه كدوى الشيطان المارد.

جدار الغرفة وشم بزهور الياسمـين وضوء القمر انعكست على جدائل الورود وقد سدلت على أريكة محملة أقـحوانية تمدد عليها جسد يـومض كحبات اللؤلؤ الأبيض وعلى وجهها ابتسامة حالمـه تذهب العقل وخصلات من شعرها تناثرت توارى نهدين ثائرين وتدثر باقى جسدها وقف كيوبيد يتفرس ذلك الجمال النائم.

يالها من مـلاك عذرى يرقد فى خدرها حـالمة لم تر عينى هذا الحسن والبـهاء فى مجمع الآلهة أو بين البشر تبرك من وضع فيك تلك الفتنة التى تأثر كل عين وتخلب كل عقل وتخضع كل القلوب . . أنت أحق بالعبادة وأولى بالسيادة على عرش جمال الكون.

مره أخرى توسوس له أمه بأنها جنية مسـحورة ويجب القضاء عليها والتخلص من سحرها عاد كيـوبيد إلى ركن من الغرفة يوثر قوسه الفضى ويسحب مـن كنانته سهماً تقتر منه سموم المنية شهر قوسه سحب وتره ووجه سهمه وأغمض عينه

فسمع صـوتاً هادئاً توقف أيها الرامى كيف لملاك الحب أن يتـحول إلى قاتل وبدلاً من أن تؤلف قلوب المحـبين بسـهامك الذهبـية تطعن قلب نـدى وتزهق روحاً ذكـية وتفنى جسداً صبيا . .وأردفت الحورتين اللتان ارسلتهما ديانا ربع القمر.

ليكن سهمك ذهبيـا تصيب قلبها فتكون لك الحب وتكون لها الحـياه . . انظر إليها ليملأ قلبك سحرها ويثلج صدرك عبيرها ويطفئ ظمأك جسدها الريان.

أرض كيوبيد يداه وأغمد سهمه واقترب منهـا، بهره جمالها وفتنة حسنها وتحجرت مقلتاه على أهدابها الناعـسة وخدها الوردى وجبينها المشرق وسلبه شـعرها وأخذ بلبه جسدها المرمرية وساقيها المرشوقتين.

تقلبت بسيشه فى فراشها الوثير تراجع كيوبيد إلى الخلف فتعثر وسقط على الأرض لتتلقفـه حوريات ديانا فسقطت كنانته وتناثرت سهـامه متطايرة ليصيب إحـدى سهامه

الذهبية قلبه فينبض وتسرى فى جسده مشاعر اللوعة والحب وتدب فى اوصالة كوامن الرغبة وتشتعل فيه الغريزة وهو الملاك البكر.

نهض كيوبيد من عثرته وقد تغير حاله ودنا منها يعطر أنفاسه بعبيرها وطبع على خدها قبلة حانية وقف عائداً لا يبالى سخط أمه فينوس.

بدد نور الفجر ظلام الليل وقامت الأرواح من نومها نسج جمال الكون، وأقبلت فينوس تمنى نفسها بأن تسرع النائحات والنادبات تحمل نعى بسيشه وتبشرها بزوال الغم والهم وتسر قلبها بارسال عدودتها وغريمتها إلى دار الفناء.

ولكنها ها هى تسمع صوت البلابل صداحة والعطور فواحة وبسيشه بطلعتها البهية تداعب فراشات الحب وتمرح بين الحقول والبساتين تتبختر فى دلال تضاهى النجوم عيونها ويخص الأرباب حياءها وعلت تسابيح الطير وترانيم البشر تمجد جمالها وبرزت الحوريات تطوف حولها تصب عند قدميها ماء الزهور وتدثرها بلباس من الحرير وتصنع على رأسها تاجاً من الذهب المرصع بالزمرد والياقوت والمرجان.

اغمضت فينوس عينيها وحمت أذنيها وشلت قدميها واشتعل قلبها غيظاً وحنقت على ابنها وتوعدت بسيشه بالويل والثبور وعظام الأمور وأقسمت أن تحيل سعادتها شقاء وتجعل من نهارها ليلا سرمديا لا تذوق فيه للنوم طعم ولا لطعامها مذاق، فلتذهب بصرها وتخرس لسانها وتحرمها مباهج الحياة فليكن عسلها مر وطعامها صبر وريحها عفن وطيبها عطن.

وبرز الشر من فينوس إله الحب والجمال وتفتق ذهنها فسلطت عليها الأشباح تروعها والمردة تفزعها وسخرت لها خفافيش سوداء ترعبها.

تحول نهار بسيشه الجميلة إلى عذاب أليم وليلها كابوس مقيم ، هبت الرياح فتجدرت البساتين من أشجارها من جذورها واقتلعت الأزهار من منبتها وأظلمت السماء وذهب الضياء وصارت حياتها جحيما.

فزع الملك. وهلعت الحاشية واضطرب الناس وتعجبت الآلهة مما آل إليه جمال بسيشه وعجز الجميع عن مساعدتها فما كان منهم إلا البكاء والنحيب وهم يرونها وقد ذبلت نضارتها وذهبت عافيتها وأصابت نفسها السقم والكآبة فلا يغمض لها جفن ولا يظهر ليلها صباحا.

تسللت بسيشه من القصر ويممت وجهها نحو الجبل المطل على البحر واعتلت قمته، ووقفت تذرف الدمع على ماضٍ ولى وراح ومستقبل مظلم وأرادت أن تعجل بأجلها وتستقر فى أعماق البحار، نظرت إلى أسفل الجبل، الأمواج تلاطم الصخور فى قسوه تسمع صداها.

ما أقساك أيها البحر ترأف بحالى، لتكن رؤوفا بى رحيما وأنت تضمنى إليك ولكن كيف أطلب منك ما حرمتنى منه الدنيا قد أجد فى قرارك السكون، وعزائى أنى ليس لى حبيب أشقى بفراقه ولا صديق يضيقنى بعاده فلتكن مشيئتك بى وصرخت صرخة مدوية أيقظت الكون من ثباته وأفزعت كيوبيد فى مرقده وأسعدت فينوس فى عليائها.

قفز كيوبيد يرف بجناحيه ترك سهامه وكنانته وطاف يجوب الفلا ويقطع الأودية وينظر شواهق الجبال يتبع أنفه يتلمس عبيرها الذى لم يفارقه منذ كب عليها واقترب منها.

لمح من بعيد شبحاً يترنح كعود نخل تتقاذفه الرياح فأرسل بصره فإذا هى محبوبته التى حرمت عليه أمه أن يراها وأقسمت عليه ألا يقربها وإلا ستصب عليه لعناتها.

وقد قبل ذلك الشرط ألا تصيبها بأذى ولا تلحق بها ضرراً ولكن هاهى ستلقى حتفها ويحرم حبها. . لابد من إنقاذها.

استغاث كيوبيد بصديقه زفيرس إله الريح الجنوبية وأطلعه على حال حبيبته وما تنوى عليه بأن تلقى بنفسها من قمه الجبل إلى قاع اليم، وقد أقسمت إلى أمى ألا

أقربها فلتكن أنت لى اليد التى تنقذها من الهلاك وتـبعدها عن الردى وتعيد لى الحياة ويبلغ قلبى مناه.

كريشة فى مهب الريح طارت بسـيشه وقد تركت جسدها يهوى وأغمـضت عينيها فإذا بها تشعر بيد تتلقـفها وتضمها حانية وطارت بها لتسجـيها على بساط أخضر فى جزيرة نائية ورويداً رويداً سكنت رياح الجنوب بعد أن أطمأنت عليها وتركتها بسلام.

راحت بسيشه فى ثبات عميق ولم تفق إلا على قطرات الندى تلثم جبينها وصوت كروان يغرد للفجر الجديد الذى واكب قدوم هذا المخلوق البائس.

قامت بسيشه تبحث عن شـربة ماء تروى ظمأها وقوت يقيم أودها، توغلت وهى الخائفة داخل الجـزيره فإذا بجدول قراق مـاؤه سلسبيل وقطوف دانية فـأكلت وشربت كما لم تأكل وتشرب من قبل فدبت فيها الحياة وعادت إليها السكينة.

ما زالت بسيـشة حالمة لا تدرى إن كانت فى الحياة الدنيـا أم لحقت بجنة الآخرة، ولكن الجنة لاكد فيهـا ولا نصب، لا مرض فيها ولا سقم،وأنا مازلت اشـعر بوعثاء السفر وقد كلت قدماى ولم أسترد عافـيتى.. إننى مازلت فى الحياة الدنيا وقد بعثت فى الآلهه هذا الرب الرحيم الذى أنقذنى من قاع الجحيم وسوء المصير.

بدأت الشمس تبث فى الكائنات دفء الحـياة استجمعت بسـيشة عافيتـها وسارت صاعدة إلى منبع النهر عسى أن تجد ما يؤنس وحدتها ويزيل وحشتها ويفض عزلتها.

قضت بسيشة نصف النهار تسير بين الرياحين وتنتقل من ربوة إلى تل وقد ساعدها النسيم العليل ومياة الغدير وريح الياسمين وما التقتته من ثمار الأشجار على أن تسترد بعض عافيـتها وحيوتها ونضـارتها وأشرقت على قلة فأبصرت فى الأفق قصـراً منيفاً قبـابه من ذهب وشرفاته من فـضة يومض كالبـرق وتحفه الأشـجار البائه والبـساتين العامرة.

انفرجت أساريرها وعادت إليها الإبتسامه وأحياها الأمل فأسرعت الخطى فاقتربت منه مع غروب الشمس ساعه الغسق، اقتربت من القصر تسبقها الأمانى ويوجلها السكون وكادت تعود ادراجها مبتعدة.

أبواب القصر تفتح على مصراعيها وتمتد إليها سواعد من نور ترحب بها . . خافت وتراجعت خطوات فبدت لها أطباق نورانية ترحب بها بصوت عذب يطمئن النفس ويذهب الوجل والخوف.

عاد إليها الظن بأنها فى جنه الخلد، وأولئك الحور هم وصيفاتها وخدمها فركت عينيها ورددت هل هذا حلم،كل شىء حولى يثبت أننى فى الحياه الدنيا وما أنا بحالمه من أنتم؟

ولماذا لا يمكننى رؤيتكم؟

لقد أمرنا ألا نكشف عليك

ومن أمركم بذلك.

لم يأذن لنا أن نذكر اسمه.

لقد هالنى كرمكم وأزعجنى احتفاءكم.

لا تفزعى أنت فى مأمن وقد أمرنا أن نقدم على راحتك وتقدم لك ما تشتهين ونظل عند قدميك حتى يأتى سيدنا إليك.

فلتنعم سيدتنا بطيب الطعام والشراب والمرقد الوثير ونحن رهن الإشارة وسنلبى طلبك قبل أن تشتهيه أو تطلبيه.

قالت قبل الطعام والشراب أريد أن أتجول فى هذا القصر الواسع الكبير أعرف حجراته وأكل من شرفاته.

فقال الطيف

أهلاً بك يابسيشه فى قصرك ولك ما تريدين.

قالت: أو تعرفون اسمى.

رب هذا القصر قد أبنأنا باسمك ووصفك وسماتك.

بدأت بسيشة تتجول فى أنحاء القصر الواسع الكبير، أرضيات من المرمر وأسقف من البرنز المطلى بالذهب ومرصعه بحبات الزبرجد، درجات السلم من الرخام الأبيض الموش بعروق الذهب يعرج إلى السماء، والجدران مزينة بلوحات تنبض بالحياة، تماثيل متنوعة لآلهة وربات ومن حجرة جميلة ألوانها متناسقة إلى حجرة أجمل منها ومن بهو إلى بهو أوسع منه ومن طابق إلى آخر وكلما مرت بلوحة أو تمثال تدب فيه الحياة،ويلوح لها أو ينحنى عند قدميها مرحباً، وعندما دلفت إلى البهو الرئيسى وقفت تسمر عن ساقيها ظناً منها إنها ستخوض فى بحيره فأحاطت بها الآذان تخبرها بأنه المر المفضى إلى غرفتها ، فوطئت بقدميها فإذا بها تسير على صفحه الماء دون أن تهتز أو يصيبها بلل، فعبرت المر وقد أصابتها الدهشة واعترتها الحيرة مما ترى وتسمع.

اقتربت بسيشة من باب غرفتها فإذا به من الذهب الخالص وقد نحت عليه رسمها يبرز مفاتنها وهى تتوسد ذراعاً لرجل غيرمكتمل الصورة.

فتح باب الغرفة فهبت على وجهها نسمة تتطاير معها شعرها معبقه بطيب لم تعرفه من قبل فسرت من بدنها رعشة دغدغت مشاعرها وأثارت عواطفها فدخلت وقد غمرتها النشوة .. كن فى انتظارها أطياف أخرى أعدت لها مسبحها من خلاصة العطور وزيوت العنبر والمسك وبعد أن اغتسلت وتعطرت لبست الحرير وذهبت إلى فراشها الوثير وغابت فى نوم عميق وأحلام سعيدة.

توسطت الشمس كبد السماء ومازالت بسيشه تغط فى نومها، تتمايل فى ثنايا ثوبها الحريرى الفضفاض وتتقلب على فرشها وقد ذهبت بها أحلامها وجاءت وطافت بها وجالت فعادت إليها الابتسامة الحالمة وانتعش جسدها بعد أن تشبع بخلاصة العطور ولان بفعل زيت العنبر والمسك، وبين ليلة وضحاها عاد لبسيشة كل ما سلب منها.

أفاقت بسيشة من نومها على أغاني الأطياف وأناشيدها،قامت إلى الشرفة تزيح عنها الستائر المخملية فبرقت في ضوء الشمس.. فسكنت الكائنات برهة ثم عادت تسبح هذا الجمال الأخاذ الذى يفتن النفوس ويسبى العقول ويؤثرالقلوب.

السماء صافيه والشمس تجلى كل مظاهر الكون البديع، التلال الخضراء منبسطة ممتده لتعانق السماء عند الأفق البعيد الأشجار باثقة والطيور كامنة فى أعشاشها تطعم صغارها وماء البحيرة رقراق يعكس ضوء الشمس ويشق عن الأسماك السابحة بألوانها الرائعة التى تتسابق مع الزهور فى إبراز ألوانها الذاهية ونسمات من الهواء الرطب رغم سطوع الشمس تداعب خصلات الشعر المتناثر على الجبين الناصع وكأن الليل والنهار قد التقيا على الجسد المياس.

التفتت بسيشة لتجد الأذرع القورانية تمتد لها بمائدة عامرة بصنوف الطعام الشهى من العسل والزبد وصنوف أخرى لا تعرفها، لكن طعمها شهى ومذاقها لذيذ ورائحتها ذكية.

تناولت افطارها ثم خرجت تجول فى القصر فى وضح الشمس لترى من مباهجه مالم تراه فى الليل كل شئ يبعث فى النفس البهجة والسرور مره أخرى تفقدت غرف القصر ونزلت إلى البهو وعبرت لجة الماء دون أن تشمر عن ساقيها وخرجت إلى حديقة القصر فبرزت لها طيور العندليب تشدو لها فى ساعة الأصيل وقد بدأت الشمس تسحب خيوطها الذهبية فعادت أدراجها إلى غرفتها فأخذتها سنة من نوم.

أرضى الليل سدوله وخيم الظلام وسكنت الكائنات لا من نجوى حبيب أو شكوى عاشق ملتاع قد جافاه النوم وأرقه السهاد.

تقلبت بسيشة فى فراشها فإذا بسنا القمر ينفذ من بين طيات الستائرفسرعت باب الغرفة بفتح وإذا بطيف تحيطه هالة من نور وقد عبق المكان بأريح أذهب عنها وجلها وطمأن نفسها .

تقدم منها الطيف وهى لا تتبين مـلامحه، وبصوت هادئ رحب بها وهنأها على نجاتها من الردى وسلامتها من السقوط فى دار الهلاك.

أنت منقذى وسب هذا القصر.

أنا عبد جمالك.

أنت الأمل والرجاء.

أنت الحب والبهاء.

يالهفة قلبى لرؤياك.

ما أصعبه من طلب.

كفانى منك صوتك الحانى وعبيرك الفواح.

كفاني منك بريق عينك وصفاء نفسك وطيب معشرك.

اقترب منها.. جلس بجوارها.

مد يده إليها فألقت بجسدها بين زراعيه.

أيا منية النفس كم كـنت أتوق إليك.. كم تعذبت بحبك وأنا أراك من بعـيد ولا يمكننى الاقتراب منك.. وأرقبك من فوق قمه الأولومبس فى غدوتك ورواحك.

أنت إله إذن.

لا يكفى أن أبوح إليك.

ما أسمك.

قدر على أن أخفى اسمى وصفتى.

فلا تسألينى.

أريد أن أراك وأضئ قلبى بصورتك.

سيكون هذا إيذاناً بالفراق

أهون على أن أذهب إلى الجحيم وأوارى الثرى على أن أفارقك.

تماست الأرواح وتلاقت الشفاة وذابت الأجساد من حرارة اللقاء.

ومع ضوءالفجر تسلل كيوبيد تاركاً معشوقته بعدأن لثم جبنيها وعاد إلى عريشته فوق قمه الأولومبس يستعجل قدوم الليل وهى فى قصرها تتوسل إلى الشمس أن تغيب وتمنى نفسها بلقاء الحبيب.

كلما أذنت الشمس بالمغيب رف كيوبيد جناحيه وينطلق نحو الأرض ويجوب السماء ويحلق فوق العجار فى انتظار أن يعم الأرض ظلام الليل فيدلف إلى قصر محبوبته ويبيت فيه من الحب ويبث محبوبته عذب الحديث وتطربه بمعسول الكلام حتى يأتى ضوء الفجر إيذاناً بتفرق الجسدين وانفصام الحبيبين ويمضى هو إلى مكمنه وتظل فى انتظاره يعتصرها الشوق واللهفة.

ظل الحبيبان على هذا الحال هو راضٍ وهى قانعة ولم تعد تشغل بالها بصورته ورسمه حتى جاء يوم وقد خرجت إلى شاطئ البحر تنشق أنفاسه وتبصر أمواجه وتجتر ذكرى الساعات القليلة التى تقضيها بين أحضان ذلك الملاك الحاضر معها بقلبه وجوارحه والغائب عنها باسمه ورسمه.

هناك فى الأفق أيد تلوح وصوت متهدج يردد اسمها فى استغاثة فأقبلت على مصدر الصوت فى لهفة المغيث، لم تستوضح أشكالهما حتى اقتربت منهما.

إنهما أختيها نميشه وركيشة وقد لفظهما البحر إلى شاطئه هم على متن مركب صغير كاد أن يبتلعه بما عليه فأثنوا على الآلهة وخروا ساجدين.

كانت حرارة اللقاء لا توصف وهنأ كل منهم الآخر بالنجاة والسلامة وغمرتهم الفرحة فأخذتهما بسيشة إلى قصرها المنيف فتناولوا أشهى الطعام وألذ الشراب ونالوا قسطا من الراحة ثم قامت بسيشة بمصاحبتهما فى جوله حول القصر وداخله وهى تحكى قصتها مع ذلك الطيف الإلهى الذى يغمرها بعطفه ويهنيها بحبه ويؤنسها بكلامه فصار لها من الدنيا بالغ المنى والأمل والرجاء.

وعندما أقبل المساء تركتها ولاذت بغرفتها تنتظر نور العيون وسلوى الفؤاد وباتت الأختان يندبان حظهما العاثر وحياتهما البائسة، فما زالت أختهما بسيشه تفوقهما جمالا وحسناً وها هى تنعم برغد الحياة وترتشف السعادة وتسبح فى النعيم.

اشتعلت الغيرة فى صور الأختين ضن على أختهما حياتها وحقد هناءها وطفق يفكران كيف ينغصان عليها تلك الحياة ويسرقان منها ذلك الهناء.

كان الصباح وهلت عليهما بسيشه وقد تورد خدها وفاح عطرها فأعماهم بهاؤها وطلعتها فزاد ضيقهما ثارت نفساهما الخبيثة وانطلق لسانهما.

كيف تطمئنين لهذا الطيف وكيف تصبرين على ذلك الغموض ولا تسعين لمعرفه سره وكشف ستره.

ألا تخافين فقد يكون من خبيث الجان أو أحد الغيلان يتحين الفرصة لأن ينبش فيك أظافره وينهش جسدك بمخالبه، وإن جافاك يوماً يقتلك ويرديك ويقذف بك فى دار الفناء.

لابد أن تكونى منه حذرة وعلى نفسك وجلة وأن تبدأى به قبل أن ينتهى منك. فإذا مضى من النوم وذهب به النعاس أشعلى المصباح لترى وجهه وتعرفى كنهه، وإليك ذلك الخنجر المسموم فإذا رأيت منه شراً وكان منه غور فيكون لهذا الخنجر موضعه فى قلبه أو تجزى نحره وعندها نعود جميعاً إلى قصر أبينا ننعم بسالف حياتنا بعد أن نكون قد قضينا نحبه واتقينا شره.

ولى النهار أدباره وساعة الغسق أخذت بسيشه تفكر فيما قالته أختها وتحركت فيها سمات الفضول وكشف الغموض.

فلما كان الليل قد توسط وغاب الحبيب فى سكرة الحب وغفت عيناه قامت بسيشه وقد استلت الخنجر المسموم وأمسكته بيد وأشعلت القنديل وأوقدته فأضاء الغرفة

وكشف الظلمة فزاد الضوء ضياء غمر الغرفة بهاء فتلفتت تنظر مصدر ذلك النور الذى انبعث من جانبها.

فبصرت ملامح ساج وجمال طاغ وبهاء يغلبها بهاء وحسن يبددحسنها وقد تدثر بجناحين بياضها شاهق.. طرفى قلبها واختلب مشاعره وارتعشت يداها فأطاحت بالخنجر إلى ركن الحجرة واهتز القنديل فسالت منه نقطة زيت ألهبت جسد كيوبيد فهم فزعاً يرف بجناحيه واتجه ناحيه الشرفة.

نظر كيوبيد إلى بسيشة وتمتم.

يالشقاء قلبى وقلبك.. لم تصونى حرمتى وقد وهبتك أغلى ما عندى، لم تحفظى عهدى. قد خنت عهدى لفينوس ، لقد قطعت دابرى عندك فوداعاً بلا لقاء ورف بجناحيه أسرعت بسيشه نحو الشرفة تستبقيه نادمة أسفة لكنه ابتعد سابحا فى ضوء القمر وأخذ طيفه يتضاءل حتى اختفى وطوته الحجب. وداعاً ملاكى داعاً.

ثكانت الركام وحجب القمر، عدت السماء وانهال المطر وسرت قشعريرة فى الجسد الملقى على الأريكة يعتصره الندم والأسى وسمعت أصواتاً مخيفة وامتلأت الغرفة بخفافيش الليل تطاردها وتنشب فيها مخالبها.

أسرعت بسيشه تخرج من الغرفة وقد استولى عليها الفزع والرعب، الأرض تميد تحت قدميها القباب تنهار عليها التماثيل وقد تحولت إلى مردة وشياطين وهى فى عدوها تكد وما لبثت أن خرجت من باب القصر حتى انهار بنيانه وتطابقت جدرانه وحبت رياح ذرته كما يذر الرماد وفيلمح لبصر كأن لم يكن وكنست الرياح الأخضروااليابس وتركت بسيشة فى العراء تلملم جراحها وتنعى حبها فنظرت إلى السماء تشتكى حالها فإذا بسحابة قائمة تحجب القمر وكأن السماء تهيل عليها اللعنات فزمجرت الرياح مرة أخرى تزلزل الأرض من تحتها وقد تحول ماء المطر إلى سيل جارف حمل بسيشة ليقذف بها على شاطئ البحر.

لقدخــلا الشاطئ من زهوره البرية ورياضــه وقد تحولت إلى ســراطين ميتــه لفظها البحر وتحولت كثبان الرمل الممــتدة إلى أكوام من الأصداف والودع تخرج منه أصوات لعواء الذئاب ونباح الكلاب.

قطب الجبــين وأدمعت العــين وتمتمت ضاع منى كل شئ. . كـيف طاوعنى قلبى وغفل عقلى وزاغ بصرى. . كان بين يدى أضعـته . . ماذا أصنع وقد أوصدت السماء أبوابها وضاقت بى الدنيا وقد كانت جنة فيحاء.

لقد حملت إلى هذه الجزيره وقد طاب هواؤها وبثقت أشــجارها وامتد خلالها من غديرها فهلت ريعــان الشباب وعلى ضفافه تراقصت عــرائس الماء وكان كل شئ فيك تدب فيه الحياة.

وبين طرفة عين وصحوتها يذهب كل شئ أدراج الرياح ويتحول الحلم الجميل إلى كابوس يجثم على صــدرى ولا تصدقه عينى. . ويلى وكنت عزيزة مكرمــة أصبحت ذليلة معدمة.

أين أختى أصحاب مشورة السوء. . أظنهما وقد ذهباً إلى الجحيم عقاباً لهما على ما فعلاه بى.

ظلت بسيــشة تبكى حالها تقضــى نهارها فى ندم وحسرات وليلهــا ألم وعبرات، ترشف بقايا الماء وتقتات بجذور النباتات الجــافة، ولكنها ظلت متمسكة بالأمل فى أن يرق لهــا الحبــيب ويهــبط من عليــائه ودأبت على أن تنظر إلى الســمــاء وترفع يدها متضرعة بالعفو والغفران.

أفاقت بسيشــة وإذا بالسماء صافية وقــد انقشعت الغيوم ومس جبــينها قطرات ماء هاطلة تعيد للأرض صباها فتنبت العــشب ويمتلئ النهر وتترقق الماء فى الغدير وتقوم الأشجار منتصبة والزهور منتشية وتهب الــطيور مع نسيم البحر ودبت الحياة فى جميع قلبها وأخذت تجرى وسط المروج الخضراء وكأنها فرس أصيل جامح.

في غمره النشوه والفرح حملتها ساقيها وخاضت في مياه النهر وكانت على شفا جرف وشلال عاصف فهوت معه إلى سافل.

كان رب النهر ينظر إلى تلك الفتاة الوحيدة المتفردة في الجمال والبهاء ويتفرس حسنها ويرى السعاده الباديه عليها وإذا بها حاوية . . فأسرع إليها وانتشلها وللمرة الثانيه ترعاها الآلهة وتسلمها من الغرق.

حملها على ظهره وصعد بها إلى المصب ونادى بناته عرائس الماء اللاتي جئن مسرعات فأوصاهم بها ليؤنسن وحدتها ويطيبن خاطرها ويرعينها.

على ضفه النهر وبين الخمائل جعلت عرائس انهر أيكه وقد فرشوها بالزهور وأحطنها بالزنابق وأخذون يلاطفونها ويحادثونها.

انبرت بسيشة تحدثهن عن حبها وعشقها وكيف تركت أخوتها يخترقن صحب سعادتها وسمعت لهن وسوستهن وأطارت عصفورها وفقدت حبها وكسرت قلبها.

فسألتها عن صفاته.

قالت: كان كالطفل الصغير إلا حين يكون بين ذراعي ويتوسد صدري فيصبح أكبر من الدنيا، كان طيفه عنده أجمل مباهج الدنيا وزينتها، كانت قبله ترويني وصوته يشجيني وأنفاسه تعطرني وتحبني. كنت عندما أضمه ويضمني أتحسس بين جانبيه جناحي ملاك، وكان يحمل قوساً من ذهب وكنانتين من الحرير فيها سهام من فضة ومن ذهب، وفي تلك الليلة المشئومة رفرف بجناحيه واختفى في كبد السماء.

أنتم عرائس النهر وأبوكم إلهة فبحق زيوس تخبراني من يكون حبيبي ليهدأ فؤادي وتطيب نفسي.

تبادل عرائس النهر النظرات وقد اعترتهن الدهشة غير مصدقات روايتها فأقسمت عليهن بصدق حديثها وصحة روايتها.

ما أتعسك من فتاة وما أجحدك من خليله ألا تعرفين من عشقت من يعصى كيوبيد فإن باطن الأرض أولى به من ظهرها.

كيوبيد.. من يكون كيوبيد

قالت: كبراهن وقد تنهدت وطالت منها الآه.

كيوبيد الآله ... إله الحب ابن فينوس إله الجمال.

ويحى وكان بين يدى.. يالتعاستى وطول شقائى.

هامت بسيشة تجوب الأرض تغدو وتروح تصعد وتهبط حتى أدمت قدميها وسلى صباها وذهل عقلها وذهب بهاؤها، فألقت بجسدها فى الغدير.

أشفقت عليها عرائس الماء فحملنها وترفقن بها.

أفاقت بسيشة وهى بين أيديهن.. فعادت تسألهن ألا تعرفن مكان كيوبيد أركع عند قدميه أغسلهما بدموعى عسى أن يرأف بحالى.. أم أنه يرانى وقد غلبه الجن فصد عن توسلاتى ويضن على بالعفو والغفران.

قالت: لها عروس وهى منفطر قلبها ويسيل دمعها.

أسرعى أيتها العاشقة التعسة.. عند سفح هذا الجبل الذى يحمل على قمته قبة السماء مروج خضراء هناك اجلسى وأوقدى النار المقدسة، وتبتلى ليل نهار عسى أن تستدرى عطف «آبان» رب المرعى وإله الصيد وحامى القنص.

أعرفه منذ كنا نرتاد معبده ونقدم له القرابين.. شكراً لك ياصديقتى وتيممت نحو الوادى الفسيح واعتلت الربوة المكسوة بالخضرة وأشعلت النار المقدسة وأخذت تتبتل ليلاً ونهاراً لا يعتريها نصب ولا يوقفها تعب.

مع نسمات الفجر سرعت بسيشة حافر يدب وجهين نافس يصحبهما برق راعد فعرفت أنه أحد الآلهة وتمنت أن يكون «آبان» أقترب الصوت ومازال فأبصرت شهاباً يمتطى صهوة حصان، قامت مندهشة ففزع الحصان وكاد يطؤها بحافريه.. شد اللجام ومسك الزمام وابتعد عنها الحصان. إنه «آبان» الأله الذى كانت تعد الأيام وتحسب الليلى حتى تلاقيه.

اقترب منها ذلك الشهاب يتفرسها وقد بهره جمالها ورق لحالها، فترجل عن حصانه وهدأ من روعها وسمع لها.

قصت عليه حكايتها وبثته شكاياتها وسألته العون والمشورة.

كم أتعسك من فتاة وأشقاك وقد أصبحت غريمة فينوس العنيدة.

مالى وفينوس.

جمالك سبب شقائك.. لقد بهرت الناس فتبتلوا إليك يقدسونك وانصرفوا عن ربة الجمال والحب ولاذوا بمحرابك .. فحنقت عليك وصبت عليك غضبها وأصابك من الأذى ما أصابك.

إذن فقد ضاع حبى وخاب أملى وستلازمنى الحسرة والمرارة ما بقى من أيام.. إنه لى الشمس والضياء.. الخير والنماء.. لماذا أعيش.. الموت أهون من فراقه والبعد عنه.

وهو كذلك إنه يهيم بك عشقاً ومتيم فيك حباً يؤرقه السهاد ويضنيه البعاد، لقد مررت اليوم بربه الخيرات ديميتير هل تعرفينها؟ إنه أم برسفونية فتاة الربيع التى خطفها أخى بلوتر لتؤنسه فى هيدز وقد سمعتها تتحدث عن كيوبيد وقد شكى لها غرامه بك وهيامه.. ألست أنت بسيشية.

اذهبى إليها.. فهى رؤف رفيقه بأمثالك من العاشقات الوامقات.. بثى إليها همك وأفتحى لها صدرك وحدثيها عن كيوبيد واسمعى منها عسى أن يكون بمقدورها إيجاد السبيل لخلاصك من هذا العذاب.

أين هى وكيف أصل إليها؟

أنها فى خميلتها داخل هذه الغابة المتلاصق أشجارها الملتفة جذعها والمتشابكة أغصانها وأنا أؤمنك ضراوة السباع وغدر الذئاب ومكر الثعالب وفحيح الحيات والأفاعى.

وقفت بسيشية إلى الغابةتبحث عن ديميتير ربه الخيرات، تاهت بين الأشجار تتخبطها الأغصان وهى لا تلوى على شئ تحت قدميها.. حتى تعثرت ووقعت على أوراق الشجر الجافة ونظرت سبب عثرتها فإذا بها جديلة من شعر أبيض ملمسه ناعم كالحرير فراحت فبحث عنها وسارت معه غير قليل فإذا بأريج الورود وعطر الياسمين وطيب المسك يبدى عليها علامات الأسى والحزن.

أيتها الأم الوقوره ألا تعرفين أين أجد ديميتير ربه الخير؟

أنا هى.

لقد أتيتك من أقاصى الأرض أسألك العون لتردى لى حياتى وتذهبى عنى شقائى

اقتربى لا تخافى.

ما زالت بسيشيه تقترب حتى مثلت بين يدها فغشا عليها وفقدت توازنها، تلقفتها دميتير بين يديها ويدها الحانية مرت على وجهها ولامست شعرها، ومن ماء الغدير اغترفت بعض الماء بللت شعرها وغسلت وجهها وفترت حولها رزاز ماء ما كاد يلمس الآن حتى تكون بكل قطرة زهرة واعادت الكرة.

فتحت بسيشة عينها لتجد نفسها وقد غطته الزهور وفاضت منه العطور نظرت إلى دميتير ربه الخيرات فلاقتها وقد بسم ثغرها وطابت نفسها... وسمعت شكواها وداستها ثم قالت لها: لقد رأيت فى باكر اليوم كيوبيد وكان على وجهه أسى لم أره من قبل وفى قلبه غصة لم أعهدها فيه على كتفه جرح دام أحدثته فيه أمه فينوس.

ولا يدرى أحد ما يحدث بين فينوس وابنها المدلل الذى حرمت عليه مغادرة قمة جبال الأولمبوس وكادت أن تقصف جناحيه.

عاد الكدر والحزن يعلو وجه بسيشة فكلما تصورت أن لقاء الحبيب بات قريباً بعد عنها وقل الأمل فيها وذادت اللوعة.

اسمعى يافتاتى الطريق إلى كيوبيد لن يكون إلا عبر فينوس تلك الإلهة العنيدة وأنت وقد سلبت منها عرشها وتحول عنها عبيدها وعشاقها حتى بعد أن اختفيت عن

الأنظار فقد أقيمت لك المعابد وشيدت لك القصور وهام بك الغنى والفقير والأعمى والبصير والصغير والكبير والصحيح والمعتل والعاقل والمختل وستظل على حالها ما دام فيك رمق ولك مريدون.

إذا أردت أن تفكى عن حبيبك حصاره وتعيديه إليك فاذهبى إلى فينوس اكنسى معبدها ونظفى مرقدها واغسلى مقعدها وادخلى فى زمرة عبيدها وخدامها المطيعين عسى أن ترضى وتذهب عنك الحزن والأسى.

حملت بسيشة أوزاراً لم تفعلها وشدت الرحال إلى قصر فينوس بعد أن أرشدتها إليه ديميثير وزودها بالنصائح.

غسلت بسيشة جسدها وأزالت عنها العطور ولبست ثيابا بالية رثة وشعست شعرها وهالت على وجهها التراب ودخلت معبد فينوس وقد وهبت نفسها لخدمته وإعلاءربته وتفانت فيما تعمل وأخلصت فيما تقول.

ظلت فينوس ترقبها ردحاً من الزمان وتلقى على كاهلها مالا يطيقه إنسان ولكنها لم يرق لها قلب ولم تلن لها عاطفة.

تمثلت فينوس أمام بسيشة فأكبت على قدميها تقبلها وتغسلها بدموعها تتوسل إليها أن ترحم ضعفها وتشفى سقمها.

فقالت لها حتى يكون ذلك فعليك أن تذهبى إلى هيدز(دار الموتى) وتلتقى برسفونيه ربة الربيع وروح بلوتو وتسأليها صندوق الطيب الذى يحوى دهن المحاياة الذى يعيد للشمطاء صباها وجمالها وبهاء وجهها ونضارة جسدها وتسرعى إلى بهذا الصندوق.

بهتت بسيشة لما تسمع فهى لا تدرى كيف الوصول إلى دار الموت ومن تكون برسفونية من أجل حبى فأنا مستعدة لارتياد الجحيم واختراق النيران ولكن كيف أصل إليه، من يرشدنى من.

تذكرت بسيشه الأم الرحيم ديميتير وتذكرت ابنتها برسفونية التى خطفها بلوتو وأسكنها دار الفناء.

فما كان منها إلا أن هرعت إلى الغابة لتلقى ديميتير الحزينة وكم كانت سعادتها عندما ديميتير وقد سحبت جدائلها وعلى وجهها بشاشة وفرح وتنادم صبية فى عمر الزهور فاتنة الجمال، فتذكرت يوم أن كانت تذرف الدمع على ذلك الصدر الحانى.

أقتربت بسيشة وعرفت أن هذه الغاده الهيفاء هى برسفونية تزور أمخا فى أوان الورد وزمن الربيع . . فإذا ما جاء الخريف وعصفت الرياح وزجرت العواصف وأزف الشتاء ببرده وزمهريره اختلطت دموع دميتير وبرسفونية بمياه الأمطار يكون ذلك إذانا بعودة برسفونية دار الموتى.

انعقدت بين برسفونيه وبسيشيه أواصر الصداقة والتقت القلوب على المحبة، وبات كل منهما مصدر السلوى للآخر . . إلى أن آن الرحيل وبدأت أوراق الشجر تتساقط والورد تذبل وضجت الرياح يدوى عملت برسفونية أعطافها وعزمت على الرحيل وبصحبتها بسيشيه وسارا الاثنين إلى أن دخلا كهفاً مظلما ومنه إلى هوة سحيقة تهيم فيها الأرواح تنشد أناشيد الموت وظلا كورقتى شجرة تطيرهما رياح تهوى بهم إلى قرار مكين.

استقبلهما بلوتر وقد علت وجهه علامات الدهشة والعجب . . ماذا أتى بهذه الفتاة المشرقة التى تمتلئ حياة إلى ديار الأموات.

أنها صديقتى وجاءت معى تؤنس وحدتى وتذهب وحشتى . . فترك لهما غرفة العرش المظلمة إلا من بريق عيونهما وهمس كلامهما وحلو حديثهما.

ظلت بسيشة عده أيام لم تعرف عددها فلا شمس ولا قمر، لا تسمع إلا جوى الأرواح ونحيب الثكالى من الأمهات، وهى لا تقوى على أن تخبر صديقتها عن سبب مجيئها معه وهو الصندوق.

جلست الصديقتان تتناجيان فسألتها برسفونية إنى ألمح فى صوتك بنرة أسى وحزن وشجن وأعلم أنك أتيت معى هرباً من لوعة حب أو غدر حبيب.

- قالت بسيشة بل أنا الغادرة الناكرة وقصت عليهـا حكايتها وإنها ما قدمت معها إلا لأقدم لفينوس هذا الصندوق.

أجفلت برسفونية وكادت أن تنهر صديقـها بعد أن علمت مخبرها ومرادها إلا أنها أشفقت عليـها غضب فينوس وأرادت أن تطغى لظى القلوب وتكـون السبب فى لقاء العشـاق فقامت وقدمت لهـا الصندوق وصاحبـتها إلى مدخل الكهف وهى تودعـها وتزيلها بالدعاء.

أطلقت بسيشة ساقيها للرياح وأسرعت الخطى نحو فينوس البعيد، وعندما أصابها وعث السفر جلست بجـوار الغدير وقد أرهقها التعب وأدهشتـها النصب وكبت على ماء الغدير تغترف مـنه بعض الماء، فبصرت وجهها على صفـحته وقد شحب وذهبت نضارته وذراعيها وقد نحلت وجف جلدها وبرزت منه عظامها.

وعيناها وقد ذبلت وغاب بريقها.. كيف تقابل حبيبها وهى على هذه الحالة المزرية وتذكرت الصندوق وما يحويه من دهن يعيد الشباب ويدفق الدم فى العروق بدهنة منه تعود إلى سابق عهدها فحدثت نفسها بقليل من هذا الدهن يتم المراد، ولكن برسوفيخ ربه هيدز قد حذرتنى من أن أفتح الصندوق قبل أن أسلمه إلى فينوس .. ترى ما هو السبب؟ هل به شر مستطير أو جن مستكين أم حقاً به دهن يعيدلها الشباب والنضارة؟

أريد أن ألقى حـبيـبى بوجه صـبوح عطـر يفوح وجـسد فـاتن مليح.. سأفـتح الصندوق وليكن ما يكون.. فداعيت أناملها المزلاج وفتح الصندوق فطار منه روح لا تعرف إن كان خيراً أم شـراً ولكنها ذهبت فى نعاس طويل .. طويل.. كانت الروح روح النوم والسبـات انطلق من محبســه فأصاب عينيـها النجلاوين فـانكفأت المسكينة تفترش الأرض وتتلمس السماء.

كان بان يتفـقد مملكته ويجوب مراعـيه فشاهد بسيـشة ملقاة على الأرض تغط فى نومها لا توقظها شمس ولا يزعجها صوت وسكنت كل جوارحها إلا من قلب كاد أن يتوقف فأراد أن يبعد عنها روح النوم تلك الروح الشريرة ولكنه لم يستطع.

تركها بان وانطلق إلى مجمع الآلهـة على جبال الأولمبوس ونادى يطلب من الآلهه مسـاعدة تلك الفتاة اليـائسة وطلب من زيوس أن ترفع فيـنوس يدها عنها وأن تطلق سراح كيوبيد لينقذ محبوبته.

مثلت فـينوس إله الجمال والحب أمام زيوس فقـال لها: أنت إله الجمـال الخالدة مالك وتلك الفتاة الفانية.. سيأتى يوم تصـبح فيه عجوزاً شمطاء فلا تأخذى القاصى بالدانى وتعذبى ابنك محبوبك المدلل واتركيه يهنأ بعض الوقت، فليكن الحب عرشك والعفو شيمتك واجمعى المحبين يزداد بهاك ويعظم سلطانك ويعود إليك مريدوك.

ذهبت فينوس إلى ابنها الواجم الحـزين فقبلت جبينه وملست على جسـده فشفيت جراحه وناولته كنانته وسهامه وقـالت له: إله الحب انطلق لتملأ الأرض محبة وسلام .. أنقذ حبيبتك وعش حياتك كما تشاء ولكن تذكر أمك التى يشقيها بعادك ويضنيها غيابك.

قبل كيوبيـد يد أمه وانطلق يرف بجناحيه يسابق ضـوء الشمس وعندما وصل إلى الأرض وجد محبوبـته وقد غابت عن وعيها ومازالت روح النوم تطن حـولها فرماها بسهم أصابها وهوت تتضرج فى دماها فهجم عليها وتمكن منها ووضعها فى الصندوق وقذف به إلى هوة سحيقة القرار وأغلق عليها بصخرة عظيمة حتى لا يتمكن أحد من البشر من إخراجها مره أخرى.

تقدم كيوبيد نحـو معشوقته وطفق يرف بجناحيه الصغـيرين على وجهها ولم تقف من سباتهـا حتى اقترب منها وقـبلها قبلة ارتعش لها عرش فـينوس فإذا بالملاك النائم يصحو، فـتطرب الورود وتغرد الطيور وتشـرق الشمس وتهب نسمات البـحر تنعش المخلوقات.

في موكب مهيب من الأرباب صعد كيوبيد وحبيبته بسيشه إلى قمه الأولمبوس ففجعت حولهما الآلهة والإرباب، وفى معبد فينوس كان العرس الذى حضره زيوس وبارك الجميع زوجها.

وفى غمرة السعادة والجميع فى حالة من النشوة نظر زيوس إلى بسيشة أعجبه جمالها وحسن قدها ورشاقتها ولكنه لمح فى عينيها سمة حزن مما لاقته من أهوال وأراد ن يخلد ذكراها . . كيف؟

فلتكن فراشه ألوانها زاهية تمرح فى جنة النعيم مع كل إشراقة شمس وفى الليل تعود لحبيبها رمز الفتنة والدلال والحب الخالد.

* * * *

فينوس
مولد الحب والجمال والرغبة

أيها القلب الملتاع لتهدأ عواطفك وتزل شجونك وأنت أيتها النفوس الحائرة لتستكن جوارحك، يا أرواح العاشقين أطربى، وأنت أيها الطرف الساهد الساهم كفكف عبراتك، يا عرائس البحر كبرى، وأنت تستقبلين حورية السماء، ربه الأنس والبهاء، درة البحور وهالة النور، واحة العاشقين وبستان الشاردين إنها فينوس إله الصبا والجمال

فينوس
مولد الحب الجمال والرغبة

فوق قمة الأولمبوس جلس زيوس وقد توسد الديباج وبسط ذراعيه فغشى مشرق الأرض مغربها وقد دعى جميع الآلهه والأرباب ليشهدوا مولد أروع مخلوق وأعظمهم جمالا وأبهاهم محاسن وأكثرهم فتنه.

سماء الأرض صافية وبحارها ساكنة، رق النسيم وتفتحت الأزهار وأشرأبت الأشجار وكمنت الطيور وسمع صوت زيوس يشق هذا الكون الفسيح.

ابتسمى أيتها الشفاه الحزينة وأنبسطى أيتها الأسارير القطبة وأثلجى يا صدور المكلومين.

أيها القلب الملتاع لتهدأ عواطفك وتزول أشجانك، أيتها النفوس الحائرة ليستكين جوارحك يا أرواح العاشقين أطربى وأنت أيها الطرف الساهد الساهم كفكف عبراتك.

يا عرائس البحر كبّرى وأنت تستقبلى حورية السماء ربة الأنس والبهاء، درة البحور وهالة النور، واحه العاشقين وبستان الشاردين إله الصبا والجمال.

كطيف نورانى تخرج من الزبد الأبيض، لؤلؤة كالكوكب الدرى تخرج طفلة تتهادى على الأمواج فهلت عرائس البحر وأخذت تنثر الطيب وسجدت الماء تقبل الأقدام الصغيرة وتحول هدير الأمواج إلى أنشودة حب لربة الحب وصدحت البلابل وغردت الطيور تبسمت الزهور ونفثت العطور، ترقرق الغدير فرحاً وتلاقت الأغصان مرحا.

واقتر فم الدنيا عن ابتسامه تنم عن السعادة التى غمرت كل المخلوقات هرعت تستقبل ربة الجمال التى ستملأ القلوب سعادة وحبًا.

كان أبوللو يعتلى مركبته الذهبية وهو يجول بين السماء والأرض وحد هالة وجه الكون الذى تغير وغلبت عليه السعادة والرضا . . وأبصر ليعرف سر تلك السعادة الغامرة فلمح تلك السوسنة الوردية تخطر على لازود الماء تبرق، فترك مركبته تعرج إلى قبة السماء وتغيب فى زرقتها وطفق هو إلى مجمع الآلهة يشاركهم زهوهم وفرحهم بتلك المعبودة الجميلة .

ما زالت عرائس البحر تتوافد من كل فج عميق كلٌ يريد أن يستأثر بها إلى أن هلت عليهم آلهة البحار نبقون وقد نزلت من علياتها تختال بين ربات البحار فحملت إلهة الجمال الصغيره وغاصت بها إلى قصرها المرجانى فى أعماق البحار وحولها عرائس البحر ورباته يتمتمون بصلاة الحب .

على صفائح من ذهب أخذت إلهة البحار تهدهد ذلك المخلوق النورانى ترضعها لبان الهوى وتلقنها كلمات الحب وتنشأها على مشارب الصبابة والغرام . . حتى أينعت وترعرعت ونما جيدها وكمل بدرها وفاح عطرها وأزف أوانها لتأخذ مكانها بين إلهة الأولمبوس، تزينت البحار تناثر اللؤلؤ فى حقول المرجان واصطفت عرائس البحر وفتحت الأصداف لتخرج دره الأرض والسماء وزينة الوديان وشوامخ الجبال وفاتنة الآلهة والأرباب .

الوردة قد صارت بستاناً مورقاً وبرزت مفاتنها وتناثرت جدائلها وبرقت عيناها وماجت بين زرقة السماء وخضرة المروج .

تمدد الجسد المياس داخل صدفة كبيرة تتوسد ذراعها ويدثرها شعرها وحولها عرائس البحر وأربابه وأخذ الموكب يتهادى حتى وصل إلى اليابسة .

اصطف التريتون وهم أبناء نيتون نصفهم الأعلى رجال والنصف الأسفل ذيل سمكة عظيمة وعلى الجانب الآخر اصطف الأوسيانيد وهن بنات إوسيانوس رب المحيطات ونصفهم الأعلى إناث بارعات الجمال ونصفهم الأسفل ذيل سمكة عظيمة .

تغنى الجميع بألحان شاجية يزرفون الدمع على فراق تلك الغادة، عرائس البحر فطوت أجنحتها وماء البحر تحتها وهى تودعها وعلى صفحة الماء الجياش بالزبد اصطت الجميع فى موكب الوداع .

كان زفيروس رب النسيم الجنوبى يدفع الموكب تجاه الشاطئ حيث كان فى الانتظار بنات تميز رب العدالة وهن بنات الفصول الأربعة، وبنات بورينوم ربات الفضيلة والخلق الحسن.

تقدمن الربات فركعن عند قدمى فينوس.رب الحب وهى تخطو أولى خطواتها على البحر ثم قدمت منهم من يجفف قدميها ومنهم من يجفف شعرها الذهبى المتهدل فوق كتفيها العاجيتين.

ما زالت الأرض تقبل قدم تلك الغادة الهيفاء كلما خطت وتربو كلما مالت وتبثق عند موطئ قدميها زهرة تلقى نحبها لتعطرها، وأعواد النرجس تلاحقها وأغصان حملت الياسمين ليظللها.

أقبلت آلهة الحب الأربعة ليكونوا فى استقبالها فعن يمينها وقف رب الشهوة هيعيروس ورب الغزل سواديلا وعن شمالها وقف رب الألفة بوثوس وهيمين رب الزواج.

عرج الموكب إلى قمة الأولمبوس فى مجمع الآلهة حيث أعد عرش الجمال لاستقبال ربة الجمال وما كادت آخر لبنه من الياقوت ترصع العرش حتى هلت فينوس على مجمع الآلهة الذين ما أفاقوا من روعة العرش حتى بهرتهم صاحبة العرش.

زاغت الأبصار وطفقت القلوب ولهثت الأنفاس وهى تعدو على ذلك الجسد تفرس جماله وتستبيح مفاتنه فتلمظت الشفاه وحدقت العيون تفترس هذا الجمال الطاغى الذى أثار النشوة فى الصدور وأشعل النزوات فى الواهن والمفتول وتمنى

الجميع أن يضم ذلك الجسد الناهد بين ذراعيه يلثم الشفاه الأقحوانية ويسبح فى العيون القرمزية وينهل من أنهار اللبن والعسل.

أخذ كل إلهة يتقرب منها ويخطب ودها وهى ترسل اللمحة من طرفها الساجى فتصرع الواحد تلو الآخر وهى كالعذراء فى خدرها لا تلوى على أحد منهم.

أسرع الجميع نحو زيوس يطلب يد فينوس، ويحاول كل منهم أن يبرز مفاتنه ويفاخر بنعمه وآلائه، ثم أخذ كل منهم يسفه الآخر ويظهر مساوءه حتى أزدرتهم جميعاً فقامت عن عرشها وسارت بينهم فى دلال وخيلاء حتى وصلت إلى عرش زيوس والتفتت إليهم قائلة: ليس فيكم من هو جدير بحبى ويؤثر قلبى ويرضى غرورى ويشبع رغبتى. ورفضتهم جميعاً.

تبرم الجميع لتحقير فينوس لهم والسخرية منهم، وانقلب إعجابهم بها إلى ثورة عارمة وارتد أفتتانهم إلى غضبة ناقمة وود كل منهم أن يبطش بها ويطئ جمالها ويحطم كبريائها .

تحول جموع الإلهه إلى ساحة محاكمة لتلك الإلهة المتغرسة الجميع يطلب من زيوس أن ينزل بها العقاب لما اقترفته من احتقار لهم وأن يثأر لكرامتهم كأرباب من ابنته ربة الحب الطائشة.

لم يتمكن زيوس من أن يطيب خاطرهم وأفزعه تجمهرهم وصخبهم وألجمه إصرارهم على أن ينزل بها العقاب، ولكنه ينكر عليها ما بدر منها فى حضرته من زهو وخيلاء.

دق زيوس بصولجانه على الأرض المرمريه دقه اهتزت لها العروش وظهرت على وجهه ملامح الغضب والعبوس فصاح قائلا: فينوس ابنتى ولكنى منها أكثر غضبا وعليها أكثر نقمة لقد صعرت فى حضرتى خدها وشمخت بأنفها وحسبت نفسها خير الآلهة وأعلاهم مقاماً.

أبنائى لتطب نفوسكم، لقد أصدرت إرادة أولمبية تقضى بأن تتزوج فينوس المتكبرة المتغطرسة، المختالة النافرة من فلكان الحداد، صانع دورعكم ولجم خيولكم.

ظهر البشر على وجوه الآلهة وصاحوا مجتمعين ليحيا زيوس العادل . . تقدست يا زيوس طوبى لك يا أولمب.

كان فلكان مع الهاتفين وقد غمرته السعادة وطارت به النشوة فلم يكن يحلم بأن يضم بين ذراعيه ذلك الجسد الناعم، ويعطر أنفاسه بأريجها وهو نافخ الكير وخبث الحديد فضرب بأرزبته الهائلة الأرض ضربة هائلة وصل صداها إلى بلوتو فى أعماق الجحيم.

نزل الحكم على فينوس كالصاعقة، كيف تبسط جمالها لهذا الجلف الخشن كيف يختلط عبيرها الفواح مع رائحة الخبث النتن والعرق الذى يسبب الغثيان.

وعادت إلى مكمنها تتمتم مال أبى يعاملنى وكأننى سبية فيحكم فى مصيرها ويزوجها من هذا القمىء إننى كنت أوثر أن ألبث فى القصور المرجانية فى أعماق الأعماق على أن تشرق على أشعة الشمس الدافئة وأنا على هذا العرش بين أولئك الآلهة العتاة الظالمون.

هونى عليك يا مولاتى فقد يصفح عنك سيد الأولمب.

تصيح . . يصفح أو لا يصفح ما عاد شئ يهم.

مولاتى . . أرجو أن تخفضى صوتك ربما يسمع زيوس وتتعرضين لغضب رب الأرباب.

رب الأرباب أنت تضحكيننى.

«مولاتى»

إن رب الأرباب هذا يحكم دنيا الخزعبلات ولا سلطان له على القلوب، فقلوب

العذارى . . الحب وحده هوسلطانـهم ومسيرهم، غذاؤهم النشـوى وشرابهم رضاب العشق والهوى.

مولاتى فينوس . . أخشى عليك غضب زيوس ولعنة الآلهة وثورة الأرباب .

لا تجزعى يا عروسـه الماء ولا تنزعجى. . لقد ولدت لأكـون ربة الجمال والحب، فأولى لـى ثم أولى. . أن أسعد بـالحب وأن أختار ذوى الحسن والبهـاء الذى يؤنس وحدتى ويروى عطشـى وتهل معاً من بسـتان الغرام ونهـيم فى دنيا العـشق لا يهمنا عزول ولا نخشى لومة لائم.

فلكان . . فلكان. . ذلك الأجرد الذى لا يفرق بين القبلـة والجزوة ولا بين سعير الحب ونار الكور ولا بين طرق الحـديد وملمس الحـرير، وأخـشى أن يغازلنى يومـاً فيقذفنى بأوزبته وهو يحسبها ريحانة أو زنبقة يا للحداد القذر ويا لحظى العثر.

لكن زواجكما قد أصبح قدراً مقضيا وسجل فى السماء.

إن كان سـجل السماء قـد دنس بمثل هذه الأقدار الاسـتبدادية. . فـأنا فينوس ربة الجمال والحب والزواج أرفض هذه الأقدار وآنف أن يدرج فى صفحاته اسمى.

أما كان يجدر بزويس أبى أن يزوجنى من مـارس ذلك الفتى ممشوق القوام وسليم الخلقة قوى البنيان، لقد هفا إليـه قلبى ولكنى لم أجرأ على أن أفصح عن رغبتى أمام مجمع الآلهة لقـد عشقته عينى ومالت إليه جـوارحى وحرك إحساسى وأهاج مكامن الرغبة فى جسدى.

اسمعى يا أوسيانة. . أذهبى إلى مارس وبلغيه أننى انتظره الليله بعد مغيب الشمس تحت شجرة الزيزفون التى تتوسط الغابة.

تردد مارس فى أن يـذهب إليها ويوافـى موعدها فـهو يعلم أن قـد نذرت لفلكان الحداد، ولما لا وهى التى أرسلت إليـه، إن الذئاب تحوم حولهـا نهمة لهذا الجـسد

الذي إذا تمايل تمايلت معه القلوب وإن قلبى لشغوف بهـا، وكل جوارحى تمنى نفسها أتلمسها إننى أكثر الذئاب نهما إليها وافتتاناً بها.

سأذهب إليها وليكن ما يكون.

أرخى الليل سدوله وتلمس مارس طريقه ودلف إلى الغابة خلسة حتى لا يراه أحد وأخذ يسترق السمع ويدقق البصر ويتحسس الخطى، حتى لمح ومضة وسط الظلام تهديه إلى خميلة قد أضاءتها العيون الزقاء والشعر الذهبى الذى يتناثر على جيد متوهج.

كاد قلبه يقفز من صدره وسرت فى جسده رعدة وهو الفارس المغوار الذى لا يرعش له جفن.. تخشاه أسود البرارى وذئاب الجبل وكم صارع من تياتن ومردة وعماليق وها هو يصرعه الهوى ويركعه الجوى وتسلبه الرغبة سلاحه ومجده وعظمته.

لقد كانت فينوس الفتنة الخالصة والجمال الحالم والحب العارم، كانت كالدرة المتلألئة على بساط أخضر فى ثياب شفاف وقد انحصر عن صدرها وساقيها فبرزت مفاتنها وعلا وجهها بابتسامة تشغف القلوب والسعيد المولود الذى يحظى بابتسامة من هذا الفم الاحوى المغتر أو غمزة من ذاك الطرف الأغر أو إشارة من بنانها.

فكيف لمارس أن يغفل كل هذا ولا يلبى هذه الدعوه وقد منى نفسه أن يغترف من نهر الحب الفياض وينعم بذاك الجسد الريان.

تلاقى العشيقان وغاب عن ملكوت الأرض والسماء وأخذتهما النشوة إلى مسالك الهوى دورروب الجنان يخضبهما ماء الورد ويطربهما همس النجوى والغرام.

تعددت لقاءتهما وذات صباح سمعاً حفيف الأشجار قد علا وهدير الماء قد طغى وأوراق الورد ولمحا من بين الأشجار أبوللو يعتلى مركبته الذهبية تتوسط قرص

الشمس فانكفئا بين الأشجار يطفقا على أنفسهم فروع الشجر وخافا أن يكشف سترهما وأصبح عندما يوافى مارس فينوس فى ذلك المنعزل الغرامى يصحب خادمه اليكتربون، يجعله عند حافة الغدير فى أول الطريق، يلحظ المارة فى الأرض والسماء وينبهما من عيون الناقمين والحاسدين ويبعدهما عن ألسن الكاشحين، فإذا ما انبلج الفجر، يقوم اليكترون بإيقاظ العاشقين الآثمين وقبل أن تشرق الشمس يفترقا على موعد آخر.

فى لهفة العاشق الولهان يسرع مارس الخطى داخل الغابة تاركا حارسه الأمين فى موقعه ومكانه المعتاد وكانت فينوس قد مرمرها الشوق وعصرتها اللوعة فكان اللقاء جاداً والمشاعر فياضه وذابا فى القبل والعناق وباتا يرتشفان كئوس الهوى دهاقا حتى نال منهما الجهد وتثاقلت جفونهما وألقى كل منهما بجسده على العشب الأخضر وغابا فى سبات عميق وأحلام سعيدة.

كان اليكتريون يتلفت يمينا ويساراً يكشف الرقباء ويبعد الدخلاء ولكنه لمح ظبئ شارد فتسلل يريد صيده . شعر الظبى بحركته فجرى ثم وقف فتتبعه اليكتريون وما كاد يقترب منه حتى يفزع الظبى ولكن لا يمكنه العدو سريعاً للكسر فى ساقه. . مازال الظبى يفزع ومازال اليكتريون يتبعه ثم كمن له وصاده وربط ساقيه وحمله ثم عاد أدراجه ليكمل نوبته وحراسته وكان قد أرهقه الجرى فنام وغفى.

أشرقت الشمس وبدأ أبوللو رحلته فى الأفق من المشرق وأخذ يرتفع بمركبته الذهبيه وعندما مال إلى الضحى، رأى جسداً يعكس ضوء الشمس، فأرسل بصره فإذا يفينوس وقد تجردت من ثيابها وبجوارها معشوقها مارس متجردا. . هذه فينوس الغانية التى تكبرت علينا وكسرت قلوبنا. . فينوس ابنه أبى وأمها ديون ضرت أمى لاتونا وقد كانت تتفاخر بابنتها جميلة الجميلات ربة الفاتنات وإله الحب والجمال وأعلتها على ديانا أختى العزيزة.

يا لها من فرصة أكشف سترها وأفضح عرضها وأذل أمها.

أنطلق أبوللو يبحث عن فلكان يحمل إليه هذا الخبر الذى سينزل عليه كالصاعقة يدوى كما دوى صوت المرزبة يوم تزوجها.

كانت الشماتة تملأ وجهه وتغير من نبرته وألفى فلكان مستغرقاً فى صناعة شبكة عظيمة وأمامه أتون كبير تحت بوتقة يصهر فيها الحديد وقد انعقد الدخان فى سماء المكان فتحول إلى قطعة من الجحيم وصوت المطرقة على السندان يفزع القلوب ويصم الأذان.

أقترب أبوللو وقد ترجل عن مركبته ونادى فلكان ، كان فلكان قد أصابه الصمم من الودى المتلاحق فاقترب أبوللو منه أكثر فالتفت إليه فلكان.

مرحباً أبوللو ماذا جاء بك فى هذه الساعة من النهار وقد تركت عربتك.. لابد أن يكون الخطب جللاً والأمر عظيماً.

إنه شرفى وشرفك وشرف مجموع الآلهة ذلك هو الأمر العظيم الذى أتى بى وجعلنى أطئ الأرض وأترك بوح (الشمس) إنها الفضيحة التى دنست مجمع الآلهة.

فضيحة.. ماذا وراءك يا أبوللو.

أين زوجتك يافلكان هل أويت إليها الليلة.

إننى مشغول منذ عدة أيام أضع هذه الشبكة الغليظة القوية.

لما؟

لقد لاحظت أن مارس يغرر بزوجتى الجميلة وأريد أن أوقعه فيها.

مارس يغرر بزوجتك وهى القادرة على غواية كل مخلوقات زيوس.. هلم معى.

إلى أين؟

ألم تنتهى من صنع شبكتك؟

بل انتهيت.

إذاً أحملها واتبعنى.

إلى أين؟

لقصيد غريمك وتشفى غليلك.

وأين هو؟

فى أحضان الغابة وقد التحم الجسدان.

من هما.

مارس وهى.

من هى.

لقد طمس قلبك وغبى عقلك. .ألم تفهم بعد.

إنه مزق شرفك وهتك عرضك ومرغ أنفك بالتراب.

معها؟! مع فينوس ربة الجمال والحب؟!

بل قدر ربة الفتنة والغواية.

بالعار فلكان.

بل قل يا لعار الآلهة.

حمل فلكان شبكتـه وانطلق الإلهان إلى حيث رقد العاشقـان والتصق الجسدان لا يفرق بينهما ماء ولا هواء وحولهما فراشات الحب تلعق من رضايهما.

أنقض فلكان كالتنين ينفث نيران الغضب وألقى عليهما شبكته.

انتفض الجسدان يوارى كل منهما سوءته.

هو قد أصابه الذعر والخوف.

وهى قد كساها العار قبل أن تكسوها حمرة الخجل.

وفلكان قد اصطاد غريمه بجرمه وزوجته وقد أيد لها أكاليل الغار بأكاليل العار.

وأبوللو أخذته نشوة النصر وقد هدأ قلبه وانشرح صدره.

أخذ فلكان يسحب الشبكة ويسحل الأجساد العارية حتى وصل إلى باحة مجموع الآلهة فوق قمة الأولمب.

كان المشهد رهيباً وأخذت الآلهة تنظر متعجبة، منهم الحاقد على مارس ذلك الذى تمكن من التنعم بهذا الجسد والتعطر بأنفاس فينوس وأكثرهم يهيل عليها اللعنات ويصب عليها جم غضبه أنتقاماً لما فعلته بهم بصلفها وغرورها.

أقبل زيوس يتطاير من عينيه الشرر أمر فلكان بأن يخلصهما من شبكة العار والخزى وأسرعت ديون أم فينوس وألقت عليها عباءتها، وأسرع مارس تطارده ضحكات السخرية.

لم تعد فينوس تخشى عيون الحاسدين ولمزات الحاقدين وراحت تبيح جسدها لمن تريد تروى ظمأ الناهمين وتشبع عيون الناظرين وتطفئ لظى المشتاقين.

أما مارس فقبع فى قصره فترة من الزمن لا يرى أحداً ولم يره أحد وقد أرقه السهاد وأضناه الجوى والفراق، يظل الليل ساهراً ساهماً وينام مع بزوغ الشمس.

وذات صباح وقبل أن يذهب إلى مفرقه سرع أبوللو بهزأ به وبنومه الذى أصبح دليل ذله وهوانه.

اشتط غضباً وصرخ صرخة مدوية اجتمع عليه الخدم وكل من بالقصر ومثلوا أمامه وقع نظره على اليكترون فنظر إليه شذراً.

أنت الذى جعلتنى أضحوكة الآلهة بعد أن كنت سبباً فى أن افترق عن معشوقتى وحرمتنى النوم.

فلتكن مخلوقاً عجيبا على رأسك تـاج أرجوانى تعرف به، لك جناحين كبيرين لا ترق بهما السماء وذيل طويل يقتفى به أثرك.

وركلة مارس ركلة أطاحت به بعيداً

فلتكن ديكاً لا تذوق عيناك غفوة الفجـر أبد الآبدين ودهر الداهرين ولتصحوا قبل الخليقة لتصبح فى النائمين.

ويحكم أيها الغفاه النائمين . . هبوا فقد كاد أبوللو يقطر مركبه الشمس.

ومازال اليكتريون ذاك الصـوت الذى يوقظنا قبل شروق الشمس ليـبدأ الخلق يومه الجديد بأفراحه وأطراحه بسعادته وشقائه ولتستمر عجلة الزمان وتتم دورة الأيام.



بومونا

عروس الغابه

ياآلهة السماء انظرى صريع الغدر والقسوة، لتنتقمى لى، ليذهب بصرها ويتحجر قلبها وتذهب فرحتها فلا ترى بعدى هناء ولا سعادة، ولتجعلى من حبى وجفوتها، وغرامى وقسوتها وذلى وعزتها قصة تتوارثها الأجيال ويرددها العاشقن.

بومونا
عروس الغابة

كانت بومونا تاج عرائس الغابة، تسير كالنسيم وتطير كالفراش الجميلة تنفث عبقها أينما حلت، يترقرق الجمال على وجنتيها، وتلمع بين شفتيها الأقحوين حبات اللؤلؤ عندما تبسم فتشيع البهجة، وإذا ما تفتحت أهدابها انطلق شعاع يسبى كل ناظر ويردى كل باصر، تهوى الوحدة والبعد عن المخلوقات والعباد.

تكره الغابة وهى عروسها لشريعتها الظالمة ووحوشها الضارية حيث يبطش القوى بالضعيف ويستبيح دمه ولا تطيق هدير البحار ولا تنظر لشوامخ الجبال تعشق البساتين والحدائق والحقول.

كانت لا تغشى إلا نهاراً، تسكن شجرة السنديان التى تتوسط الغابة ترصد الغادى والرائح وترى من الأعاجيب ما ترى من طبائع الحيوان الطائر منهم والقائم والزاحف والعالق ترمق الصياد والفريسة، يصمها زئير الأسود وعواء الذئاب وفحيح الأفاعى وتصير متبرمة حتى يسحب أبوللو خيوط الشمس الذهبية فتهدأ الكائنات وتسكن الوحوش ويخيم على الغابة شبح الليل لتصحو الهوام والسناجب وتغادر الأفاعى حجورها تتلمس فريسة تنفث فيها سمها.

تكون بومونا قد غادرت الغابة فى طريقها إلى قصرها، وتحاول أن تطرد من ذهنها ما قد رأته وسمعته، فتدلف إلى حديقتها التى تحيط بقصرها وقد عنيت بزراعتها ولولا ما قدر عليها ما غادرتها وما برحت الزنابق الغضة التى تعشقها والنسرين الباهى وأكمام الورد زاهية الألوان وهالات البنفسج ونضرة الشقائق وعبق الرياحين وأريج التفاح وعبق الرياحين وشذى أزهار الخوخ العقيقية ولآلئ الندى الذى يغطى وجه العشب الأخضر، كانت هذه الطبيعة الخلابة تؤنس وحدتها وتغنى وحشتها فعزفت عن

دنيا الآلهـة وأنصافـها جمـيع الناس الذين كانوا يصطـفون فى طريق أوبتهـا كل ليلة متوارين خلف الأشجار أو عالقين بفروعها وأغصانها، ليحظى بعضهم بنظرة ولمحة أو التفـاتة ثم يعودوا أدراجـهم أو يذهبوا إلى عليائهم وقـد ازاد ولعهم وتصـدع فؤادهم وختق والتهبت مشاعرهم واستعرت فـيهم الرغبة حتى يخروا موهنى القوى على أمل أن يعاودوا الكرة فى مساء الغد.

كانت بومونا حديث الرجـال العاشقين والنسـاء الناقمين والأطفال السـامعين، حتى كان الرجل يلقى صديقه فيقول له أرأيت بومونا الساحرة الجميلة هذا المساء يا صاح؟

تلك الغانـية الحسناء ذات الروعـة والبهـاء، أجل. . رأيتها ومـازلت أنشق عطرها وكلما رأيتها تورثنى الحسرة لعدم قدرتى على الاقتراب منها والتحدث إليها.

أشغفت بها حبا؟!

ومن منا لم تشغفه بومونا حباً وتسلب لبه وتعصر قلبه؟!

أنى اغار من كلماتك أيها الصديق. . فأقصر!

وأنا أغار من غيرتك، فاذهب لطيتك !!

حتى يكاد يفتك الصديق بصديقه ويفقد الخل خليله.

وهكذا تعادى الناس فى بومـونا وتنافسوا فى حبهـا. . حتى الآلهة فتنوا بهـا، فقد رآها أبوللو فسـلبته وقـاره واتزانه ولقيهـا مارس وقارن بينهـا وبين فينوس فـمال إلى براءتها وحيائها وحمرة الخجل التى تكسو وجهها وتزينه.

كل ذلك يدور حول بومونا وهى لا تلتـفت إليه ولا تعيره انتباههـا، فقد أوصدت قلبها وحـبست مشاعرها، فلا تـسمع لكلمات الغزل ولا تشفع عندها عبـرات المحبين ولا توهناها شكوى المغرمين.

كل ما يشـغل بالها هذا الفردوس الذى يـهبها نسـمة الربيع ودفئ الشـتاء ولطائف

الصيف وكفاها غـزل الزهور اليانعة التى تسبح جمالها كلما أقـبلت عليها أو لامست خديها أو انفرطت بين يديها.

من بين عشاق بومونا فتى ملكت هى عليه نفــسه، عندما رآها قبيل الشروق تطوى الطريق إلى حديقتها فلم تفارق صـورتها عينيه وأصبح لا يرى إلا هى ولا يتنفس إلا عبيرها وصار لهــا الظل الظليل، يتعقب خطواتها فيلعق موطئ قدمـيها ويقبل موضع يدها ويتلمس أطراف شعرها السـابح خلفها ويكاد يلمس عقبيــها وهى تختم العشب الأخضر بصك البكورة ونقاء العذرية.

كان فرتموس ذلك العاشق الواله يسير خلفها كل ليلة حتى تصل إلى باب حديقتها وتدلف منه فيعود البـاب ليصتك فى وجهه،فينظر إليها من خلف قـضبانه ليودع ذلك الجسد الغض المياس الذى يخشى عليه ملمس الحرير،والساقين المرمريين الذين يضيئان كلما تقدمت وتأخرت فيضرمان فى قلبه ميزان الحب ولوعة الغرام.

صار فرتموس يؤرقه السهاد،فيقوم قـبيل الفجر ويهرع إلى الطريق ليحتل مكانه بعد الدقائق والثـوان التى تمر عليه سنين ودهوراً، حتى إذا أقبلت نبض قـلبه الذى كاد أن يتوقف وارتعدت فرائصــه التى كادت تشل وتفجرت مشاعره التى كـادت تفتر وعادت إليه الحياه قبل أن تغيض ويشعـر إنه قد خف عن الأرض وحلق السماء. .يمنى نفسه بأن يمتزج مع النسـيم الذى تنشقه ويلثم هاتين الشفـتين وأن يدثر جسدها يقيــها حر الصيف وبرد الشتاء.

لك الله يا فرتموس لقد سلب لبك وذهب عقلك وغار جرحك ولم يبقى إلا دموع عينيك تذرفها عبرات لا تداوى جراحك ولا تجيب نواحك، وآهات ليس لك منها إلا صدى يشق صحتك ويصم أذنك، وسياج عالى حول سور الحديقة وباب يمنعانك من الاقتراب من قصرها.

تقطعت بالفتى فرتموس سبل لقاء حبيبــته، فهام على وجهه يقطع الوديان وشعاب الجبـال أشعث أغـبر يشكى حـاله لنجوم السمـاء وقمـر المساء والطيـور فى الأعالى

والسمك فى القيعان وتدور به الأيام ويعود إلى الغابة يرصد معشوقته على حالها فى غدوها ورواحها.

ازداد به الأسى وذبل شبابه وراحت نضارته ونحل جسده ولم يعد قادراً على مغادرة مكانه وقد استسلم لبكاء طويل يشبه العويل، يرسله إلى السماء فى نبرات كالأنين يرثى حاله ويبث شكواه،رثت لحاله الوحوش الضارية، وسكرت بمواجعه الهوام، والتفت حوله عرائس الغابة تكفكف عبراته وتواسى آهاته وكانوا جميعاً فى واد وبرمونا فى واد لا تقوى على شيء.

اقتربت فينوس بموضع الآهات بعد أن سمعت نجوى فرتموس فهالها حال العاشق الولهان ورثت لهيئته التى أصبح عليها وراعها أن يلقى محب كل هذا العذاب والضنى فى هوى عروس غاب.

فجلست إليه تسامره وتذهب عنه بعض الغم والهم.

أهكذا يقتل الناس الحب يا فرتمنوس؟!

من أنت لتعرفى معنى الحب!

ألا تعرفنى.

لا أعرف فى النساء إلا صورتها ولا أسمع من الناس إلا صوتها ولا أتنفس إلا هواها.

أنا فينوس إلهة الحب.

أكاد أكفر بكل الآلهة .. كيف تتركينى أتلظى فى هذا السعير.

لقد حضرت إليك.

وبما يغنينى هذا إن لم تقدمى لى يد العون ليرق الحبيب وأسمع صوتها وأبتل فى محرابها..

مسكين.. وهل كلمتها قط.

كم صرخت باسمها ولكنها لم تلتفت لي وأشاحت بوجهها وأعرضت عنى.

كيف أساعدك وليس لى على القلب سلطان؟!

بحق من جعلك ربة الحب، أجعلى قلبها علىّ يرق وروحها بى تهيم وعقلها بى يتيم.

أطرقت برهة ثم قالت: عندى فكرة.

أتوسل إليك افعلى بى ما تشائين لأفوز منها بالرضا.

سأمنحك القدره على أن تتشكل فى أى صورة تقربك منها.

اغترقت بعض ماء الغدير بكفيها وتمتمت ببعض الكلمات ونثرت على وجهه رزاز ماء.

فكر يا فرتمنوس ما هى الصورة التى تمكنك من التقرب إليها.

اجعلينى نسمة أطويها أو ماء يطويها أوطائراً يغويها.

يمكنك الآن أن تتقلب بين شتى الصور.. فقط فكر فى الشئ تكون صورته أو هيئته.

أخذ فرتمنوس يفكر ويختار ويتقلب ويحتار حتى كاد ينسى صورته الأصلية ودعته ربة الجمال والحب وهى تقوله له.

الآن يمكنك أن تلقى بومونا.. أعمل ذكاءك واختار الصورة التى تقربك إليها واعلم أنه ليس لأحد سلطان على القلوب حتى بومونا ليس سلطان إذا ما تحرك قلبها وأختار.. وتركته ورقت إلى سماء الأولمب!

غمرت الفرحة فرتمنوس فالآن يمكنه أن يتقرب إلى معشوقته، يحوم حولها كالطير ويمثل بين يديها كالوردة ويلمس وجنتيها كالنسيم ويقبل قدميها كالعشب ويكلل شعرها كتاج من الياسمين والفل والنرجس.. ما أعظمك يا فينوس أنت بحق ربة الحب.

تمثل فرتمنوس صورة البلبل فطار عبر الأسوار المنيعة اجتاز الأبواب الموصدة، وأخذ يتنقل بين أغصان الأشجار عن طريق أوبة بومونا وعندما هلت عليه أخذ يغرد بأجمل الأصوات ويتبع خطواتها.

لم تلتفت إليه فقد اعتادت مثل هذه الأصوات تغرد بها البلابل ويشدو بها الكروان.

ما زال يتبعها حتى دخلت حديقتها وانشغلت تجدل ضفائرها وتطز شعرها بالفل والياسمين واستمر على هذا الحال أشهر يرسل إلى سامعها أغانى الحب وتراتيل الغرام وترانيم العشق فلم يجد منها أذنا مصغية. . إلا من طرفة عين لا تروى ظمأ العاشق الولهان أو ابتسامة لا تشبع الجسد المتيم.

وكل يوم يزداد الفتى عشقاً ويهيم حباً حتى كاد قلبه يتوقف عن نبضه ويفقد بصره وأحس أن سهم المنون قد اخترق عظامه وأوشك أن يفنى ويموت.

على حافة الغدير جلس فرتمنوس وقد عاد إلى صورتة الطبيعية يشكى همه ويندب حظه، فإذا بامرأه عجوز يشق عليها السير متكئه على عصاها تقترب منه وهو لا يشعر بها.

كيف حالك يابنى. . ولما على وجهك الوجوم وأقعدتك الهموم وأكل منك الدهر وشرب، التفت إليها وعيناه مغروقتان بالدمع. . لا تسألينى عن حالى فحياتى إلى العدم أقرب وبدأ يبث إليها همه ويحكى قصته مع العشق وهوانه على المحبوب.

تبادل وأياها الحديث حتى هدأت نفسه وهى تواسيه وشعر منها بالحنان فتوسد كتفها وراح فى نوم عميق لم يذق طعمه منذ شهور عدة.

وعندما أفاق هاله ما رأى فقد كان متوسداً كتف فينوس ربة الجمال والحب.

أبتسمت فينوس وقالت له: عليك أن تغير من صورتك البلبلية التى اعتادت أن تراك فيها وعليك أن تزورها فى صوره عجوز كما فعلت، فإن العجوز هى القادرة

على إيلاف القلوب بحديثها الطلى الذى يصل ما قد انقطع ويسرى فى الجسد كدبيب النحل.

أسرع فرتمنوس وقد تصور عجوزاً شمطاء وسارت (سار) تجر قدميها حتى استقبلت شرفة بومونا وعندما أطلت من شرفتها عاود المسير متلكئه وأخذت تمتم بكلمات مسموعة انتبهت إليها بومونا ونزلت مسرعة نحو الباب تناديها وترجو منها الدخول لتنال قسطاً من الراحة لتروى ظمأها وتشبع جوعها.

فتحت الأبواب ودخلت العجوز متأبطة تلك الأذرع المرمرية وتتنفس شذى الشعر المتهدل على الأكتاف العاجية حتى أخذت مجلسها على أريكة وقد أظهرت من الضعف ما أظهرت وأبدت من الوهن ما أبدت فرق قلب بومونا لحالها فأجلستها فى أيكه وارفة يعرش فوقها كرم نضير تدلى منه جناه حلو ناضج.

نظرت العجوز إلى بومونا نظرة حسبتها نظره أمتنان وهى نظرة ناهم عطشان ومالت على بومونا وطبعت على ثغرها قبلة حسبتها قبلة أم حانية ولكنها لم تكن من تلك القبل الفاتره التى تخرج من شفاه عجوز صكها الزمان بصك المنون وأمسكها صولجان الموت وأذن لها بالرحيل.

كانت القبله دافئة ناعمة تقطر عسلا يدفئ القلب فى زمهرير الشتاء ويرطب البدن فى قيظ الهجير فسرت فى جسد الفتاه قشعريرة لم تألفها ورعدة لم تعهدها، فكأن أسرار الكون قد انجلت وبراعم الحب تفتحت ومشاعر الأنثى تفجرت.

إنها ليست قبلة من عجوز شمطاء، لقد رمانى كيوبيد بسهام العشق والغرام، كيف يتبدل حالى هكذا الفرحة تغمرنى والسعادة تنشينى، لابد أن كيوبيد قد تصور هذه العجوز ورمانى بسهامه.

وثبت الفتاه تقطف عزقا من العنب تقدمه لضيفتها التى أدخلت عليها البهجة، كانت وثبتها عالية فامتشق قوامها وانحسر حريرها فكشف المستور.

ما كاد فرتمنوس (العجوز الشمطاء) يرى ما يرى من الجمـال النادر والحسن الباهر والرونق الساحر وقد هاله ما رآه من جسدها وهو مازال يتلذذ بطعم القبلة فاستطار لبه وشرد فكره وتوقف قلبه وغشي عليه.

أفاق أو أفاقت العجوز لتجد نفسها بين أحضان بومونا تسمع دقات قلبها وتنشق عبيرها وقد غاصت برأسها بين نهدين ناضرتين ملمسهما كالحرير فتمنى الموت على أن يرفع رأسه عنها.

مسحت بومونا بيدها على وجهه العجوز وبللته ببعض الماء وبصوت ناعم تسألها عما أصابها، فشكت اليها وطأة السنين وقهر الزمن وضعف البدن وذل الكبر.

ناولتها عزق العنب لتقيم أودها وتذهب روعها وتطمئن نفسها، فشكرت لها كرمها وطيب أعطافها وطلاوة لسانها ثم أخذت فى فرط حباته وهى تختلس إليها النظرات وتسرق منها البسمات.. ورفعت رأسها تنظر إلى الكرم وعريشه الذى يظللها ثم تنهدت ونظرت إلى عروس الغابة الجميلة وقالت:

أرأيت يا أجمل من رأت عينى.. لو نما هذا الكرم على الأرض من غير أن يحمله هذا العريش.

هل كان يؤتى أكله ويحلو ثمره كما هو الآن.

كلا يا أماه.. كان يفرغ فى التراب وتطؤه الأقدام ويظل حصرماً مر المذاق.

تعنين أن الكرم لا يستغنى عن هذا العريش

طبعاً ليحلو ثمره ويجدى نفعه ولا يكون مآله الذبول.

ولا غناء للعريش من غير كرم.

العريش بدون كرم.. أعجاز نخل بالية قمئ المنظر وتصير الأيكة إلى خراب فالكرم تاج العريش والعريش قوام الكرم.

عجباً لكن عرائس النور وعذارى الربيع!! تعرفنى ذلك ولاتفكرن فى عطلكن.

أى عطل تقصدين.. أو عاطل أنا يا أماه.. ماذا تقولين؟

عفواً يا ابنتى.. أنت رمز الجمال والخصوبة ولكن سيف الزمان باتر وكل يوم يمر يأخذ منك ما لا يعيده وأراكن زاهوات فى أن تنهلن من نبع الحياة الصافى ما يدفق فى عروقكن أثير الشباب ويعيد الصبا ويحفظ الجمال.. اراك تعزفين عن الرجال وتكبتين مشاعرك وقد أوصدتى قلبك وكل شباب المدينة يخطبون ودك وكل أمير يسهده حبك ويضنيه هجرك.

لقد فاق جمالك هيلين الهيفاء وزاد عشاقك عن عشاق بنلوب اللعوب ولكل فتاة ربيع تزهو فيه بجمالها وتتفجر فيه أنوثتها ويشتاق قلبها إلى قلب عطوف يحبها ويحرك مشاعرها ويروى ظمأها ويشبع رغباتها وعندما يأتى الخريف يكون مؤنسها ويسيرا معاً فى درب الحياة.

لما حكمت على نفسك بالعزلة وحصرت نفسك وصدتى قلبك أمام هذه النفوس الشاردة التى تتمنى منك لفتة أو كلمة ليركعوا عند قدميك.. لو أينعت بين يديك ألف ورده ولو جدلتى ألف زهرة فما بال الورد إذ لم يمتع ناظريه وما فائدة العسل إذ لم يشفى شاربيه وما نفع صوت الطيور البلابل للأصم وما بهجت الحياة للأعمى.

نعم يا أماه لقد أصبت فيما تقولين ولكن ما أسمعه عن عويل الزوجات ومعاناة الأولاد وهجر الأزواج يجعلنى أوثر الوحدة وما لى وتلك المعاناة.

أنها طبيعة الحياة فلا شهد لها إلا بمر ولا طيب لها إلا بزرع ولا راحة فيها إلا بكد وتعب ولا لذة فيها إلا بنصب.. اخرجى إلى الحياة لترى الشمس وتشعرى دفئها، وترفين بجناحى الحب تسبحين جمال القمر فى المساء والنجوم فى السماء، تواسين الملكوم وترحمين المعدوم.

هبى قلبك لمن يحبك ويهواك ومستعد لأن يفنى حياته فى سبيل رضاك.

من ذا الذى يستحق أن أهبه حبى وأملكه قلبى وأسيده حياتى.

ذاك العاشق المهموس بحبك، لقد مررت به ووجدته ذاهلا لا يردد سوى اسمك وقد عسرته اللوعة وأولاه الضنى وأرقه السهاد ولم يبق منه إلا أنفاس تخرج من حشاشه تترقرق دموعها.. إنه ليس إلهاً ولا نصف إلاه ولكنه طليق بحبك فهو ذاب فيك عشقاً وهو ليس كغيره من العشاق الذين تهيج شياطين الهوى فى صدورهم ويتقلبون بنظرهم بين الحسان كالنحله تطير بين الأزهار ترشف من كل زهرة ريحقها. إنه يحبك لذاتك ودونه الموت فلم يشرك ولا يجد بين حسان الدنيا من تسمو إلى أخمصيك.

ارحميه يابومونا.. اعطفى عليه.. اقتربى منه.. ضميه بين ذراعيك.. انفثى فيه عسى أن تعيدى إليه روحه المسلوبة وتضئ حياته المظلمه رقى لحاله وارحمى حبك وإلا اقتصت له فينوس إلهة الحب منك، فهى الموكلة بالقصاص وتثأر للعاشقين من القاسية قلوبهم الجامدة مشاعرهم.. أم تريدين أن تقضى عليك بما قضته على القاسية أناجزرتبه .

ومن أناجزرتبه ياأماه؟ وما قصتها؟

ألم تسمعى قصتها ولا تعرفين مأساة الفتى أيفيس؟

لم أسمع قصتها ولا مأساه أيفيس .. بالله عليك قصيها.

كان أفيس فتى قد وهبته الآلهة الجمال الباهر فكان جميل المحيا وضاء الجبين ممشوق القوام مفتول العضلات دمث الخلق،ولكنه كان فقيراً ومن عامة الشعب التقى فتاة سلبت عقله بجمالها وسحرت عينه بدلالها، فهام بها عشقا وهام بها حباً وملكت قلبه وشغلت عقله.

تتبع خطاها فوجدها تدلف مع خدامها إلى قصر منيف فعرف أنها من بنات الأعيان ذات الحسب العريق والنسب الأصيل والمال الوفير وعرف أن بينهما هوة سحيقة ما لها من قرار .

لم يمنعه فقره من أن يـطلق لأحلامه العنان فتخيلها له عـروساً وتمثلت له فينوس وصار على صوتها يصحو وعلى صورتها ينام.

ما زال ابفـيـس يتـبـع أنامزرتبـه فى ذهابها وإيابهـا وهى عنه تزور وتطوى الطريق متعجلة حتى تدلف من باب قصرها وتصك فى وجـهه الباب الحديدى، فيقف هنيهة يرقب صعـودها درجات السلم حـتى تغيب عن نظره فـيعود وقـد ذرف الدمع وفجع القلب وعلقت روحه، فـلا هى عائدة لجسـده لتحيه ولا هى مـفارقتـه لترويه. فكان يهب من غفواته القليلة مـفزوعاً فيغـادر فراشه ويطوى الطريق إلى قصر محـبوبته لا يلوى على تسيء تلهف منها خـيال أو حركة أو يرى منهـا طرف ثوب، وعندما يزيد عليه الضنى يعـانق قضبان البـاب يقبله ثم يعود إلى بيتـه ليقبع فى أحد أركـانه يجتر أحزانه ويبث أشجانه وزادت صبوته.

وذات يوم أصر على أن يعترض طريقها ويخترق حصارها من العبيد والخدم ويلقى بنفسه عند قدميها ويقدم نفسه قرباناً فى محراب حبها.

غافل حراسها وألقى بجسده أمام موكبها، فما كان منها إلا أزدرته ونهرته وأسمعته قارص الكلمات وقاسى العبارات وزادت فى تهكمها واستهزائها.

عاد أيفيس إلى منزله يطوى جراح قلبه الدامية ويلملم أشتات نفسه المتناثرة ويمسح دموعه التى غطت وجهه وأغمض عينيه فراح فى سبات عميق.

هاجمته الكوابيس وتكالبت عليه الهواجس وقد رأى نفسه وقد سجن فى قبو مظلم لا يسمع فيه إلا فحيح الأفاعى التى تنهش منه اللحم وتنفث فيه السم، فأسرع يخرج من هذا الكابوس ليلقى بنفسه فى هوة سحيقة تنتهى إلى يم بعيد القرار يفضى إلى نار مستـعره تشوى اللحم وتذيب العظام، لم ينقـذه منها إلا طائر أسود نبش فيـه مخلبه وطار إلى عنان السمـاء وتركه يهوى تتـخطفه الغربان والعـقبان حتى ارتطم بصـخور الأرض ولم يبق منه إلا ساق يتأوه ويتألم.

أقام أيفيس فـزعاً يتحسس جـسده ويقتص حاله وقد تملكه الـغضب لما وصل إليه حاله فقد جد منه الجد بعد أن ذاق منها العناد والقسوه والجـفاء واستخفافها بحبه ولم يشفع لديها صبابته وحبه.

فهم وقـد أضحى النهار يهرول نحـو قصرها فـتعلق قضبـانه وكانت هى ترتع فى حديقة القصر تداعب الغزلان وتلاعب الطيور وتشدو مع صديقتها.

هتف أيفيس بصوت جمهور.

أنا جزرتبه يا قاسـية القلب أسرعى لمن أتعسه حبك وقـتله صدك، يا من جعلتنى ذاهب العقل شريداً غائر العين سقيماً، ذليل النفس عليك، كـسير القلب مهيضاً هنيئاً لك بما ظفرت . . غنى ما شئت وتنعمى بلذة الحياة بعد أن أصبح حبك قاتلى دوسى بقـدميك رمـادى بعد أن تمرغت روحى فى الـثرى واجـعلى من الورود التى رويتهـا بدمعى إكليل غار يعلوها هامتك ويفوح شعرك.

أصغى إلى يا قاسـية القلب وعديمة الرحـمة، لتسلب روحى على أعتـاب قصرك وليصـبنى سهم المنون على قـضبـانه لترى عينـاك أثار انتطارك ولتبتـهج روحك بذل انكـسار . .

ياآلهة السـماء انظرى صريع الغدر والقـسوة لتنتقـمى لى ليذهب بصرها ويتحـجر قلبهـا وتذهب فرحتها فـلا ترى بعدى هناء ولا سعادة ولـتجعلى من حبى وجـفوتها وغرامى وقسوتها وذلى وعزتها قصة تتوارثها الأجيال ويرددها العاشقون.

وترك جسده يترنح على قضبان باب القصر بعد أن شنق نفسه وفاضت روحه.

لم تتحرك أناحزرتبـه من مكانها ولم يوثر فيها ما حدث وأرسلت خدمـها يرفعون الجثة عن باب القصر وأرسلت به إلى أهله.

كان مجمع الآلهة قد سمع لنداء فينوس ليروا ما يحدث وظلوا يتابعون الموقف من بدايته حتى نهـايته وسمعوا دعـوة أيفيس وعرفوا قـسوة أناجزرتبه فعـقدوا العزم على معاقبتها.

التفت عرائس الغابات والعجوز حول جثـمان أيفيس ودثروه بالورود وضعوه نعشاً وصاره، وأهله يبكون موته ومروا من أمام قصر أناجررتبه التى وقفت فى شرفتها ولم تطرف عينيها لمشهد الموت ولا لمسيرة النعش.

توقف الركب الحزين أمام القصر، زاد العويل والنواح وترانيم الحزن وهبت الرياح لتكشف جثمان أيفيس أمام أناجزرتبه وما أن وقـعت عيناها عليه حتى تجمدت مقلتاها وأثلجت عيناها وتحجر قلبها وتصلبت قدماها وصارت تمثالاً من الرخام.

ظل التمـثال فترة من الزمن يتـوسط حديقة القـصر عبرة لكل الناس حـتى أمرت فينوس فحمل إلى متحف فينوس ذكرى للحب القاتل.

أزرفت بومونا من عـيونها العبـرات الحارة وأرخت يدها لتلقى برأسهـا فوق صدر العجوز الحيزبون واستعادة القصة الحزينة فوق قلبها ولانت أعطافها.

شعرت بومانا بأنفـاس تقترب من أنفاسها وقـبلة تلثم شفيتها وتفجـر قلبها ينبض وجسـدها يرتعد، وشعـرت بيدين قـويتين يضمـانها فخـارت قواها وزادت نشـوتها واسـتسلمت وراحت ترتشف الـرحيق وتنهل من العـسل، وتسـاقطت قطوف الكروم وأوراق الورد لتعطى جسدين التحما من حرارة الحب والعشق.

* * * *

القــرية
الظـالم أهلهـا

مازال العـجوز والفتى يتجـولان في المدينة يطرقون الأبواب، يسـألون الناس عوناً، فـلا يلقون إلا السـخرية والاستهزاء، وقد أصـر الفتى على أن يكمل حتى يعرف ناس المدينة وطباعهم التي تسيـر من سوء إلى أسوأ، فما وجدا إلا أبواباً مـوصدة أو أبواباً تصـفق في وجهـيهـما وتعرضوا للمزات وسخـرية حتى أتيا على بيوت المدينة وقصورها العتيقة منها والجديدة.

القـرية
الظالم أهلها

فى الهزيع الأخـير من الليل تسلل كروس الإله إلى مخـدع ابنة كريس يوقظه من نومه العميق.

- ماذا بك يا أبتى؟ ولماذا توقظنى فى هذا الوقت وتحـرمنى من لذيذ الحلم وحلاوة النوم؟

- ألا تريد أن تتعلم شىء؟

- نعم ولكن البرد قارس والليل دامس.

- قم يا بنى فإن سلطان العلم أقوى من سلطان النوم.

غادر الفتى فراشه متململاً متكاسلاً ولكنه رضخ لإرادة أبيه.

فى هدأة الليل أخذا يضربان فى ظلام الوادى ويتحدثان حديث الآلهة ولكما أوغلا فى الوادى المظلم وقد سكن الكون إلا من أصوات حفيف الأشجار وخرير المياه ونقيق الضفادع.

على حافة الغدير جلس الاثنان يتسامران وأخرج الفتى قيثارته يشق بصوتها سكون الليل.

- حسبك يا بنى.. تكاد موسيقاك توقف الريح وتبطل العاصفة.

- وفيما تريد هَبة الريح وثورة العواصف.

- أريد أن تستيقظ العواصف وتهب الرياح وينتشر الصقيع لأريك من طبائع الناس عجبا، انظر إلى هذه القرية النائمة خلف أكمة هذه التلال والقابعة فى أحضان الجبل!

- أين يا أبى؟

- انظر جيداً.

- الظلام دامس والمدى حالك فلا أرى شيء.

- انظر إلى الجهة التى تشير إليها يدى، (وأشار إلى موضع بيده فانبعث منها شعاع ضوء كشف القرية للفتى).

- هذه هى، لقد أزلت عنها غبش الليل، ما قصة هذه القرية يا أبتاه؟

- كفاك ثرثرة ولا ترمى إلى بدعاباتك المعهودة وكن جذاراً، إذا كنا بالقرية فلا تبدأ بالحديث ولا تخاطبنى حتى أخاطبك، وإياك وسفيه الكلام فتسقط هيبتنا وتذهب وقارنا من أعين القوم، فإنهم لئام سفهاء وقد تفسد علينا ثرثرتك وخفتك ما جئنا من أجله إلى هذه القرية!

- ها فمى قد أغلقته وعينى أغمضتها وصككت أذنى حتى لا أسمع.

- يا يا بنى أريدك أن ترى وتسمع وبدلاً من أن تفتح فمك أريدك أن تفتح عقلك لتستوعب ما ترى وما تسمع ودع الكلام فيما بعد.

أشار الأب الإله بيده نحو السماء فأربدت وبرقت ثم قرقعت ورعدت وانهمر ماؤها وسال زبدها وانحصر أهل القرية كل فى داره.

سار الاثنان يخوضان فى الأوحال حتى وصلا إلى فناء منزل فخم تصدر منه أنغام الموسيقى والضحكات الماجنة والأصوات الصاخبة.

فقال لابنه:

- اعتلى هذا الجدار وانظر من النافذة وأخبرنى ما ترى.

ركب الفتى الجدار وغاب برهة طال أمرها عند الأب، ثم عاد فاغراً فاه مشدوه العينين.

يا أبتاه لقد رأيت العجب.. نسوة عاريات ورجال لا يفرق بينهما الماء وكئوس الخمر تدور وموسيقى وقانيات وموائد عامرة بما لذ وطاب.

- وماذا أيضاً يا صغيرى؟؟

- إنه بيت تسكنه الشياطين لا واعظ فيه ولا رادع الكل ماجن وقد أطلق لشهواته العنان، لماذ جئت بنا رل يهنا يا والدى؟

- لقد أخبرتك بأننى سأريك من عجيب طبائع البشر ما يذهب عقلك، فلتطرق باب البيت.

- لا يا والدى ليس لى من أهله حاجة.

- انتظر لترى؟

- طرق الأب الباب طرقتين فخرج لهما فتى أمرد غرانق.. فصرخ فى وجهيهما، أف لكما شحاذان قذران.. ابتعدا عنا..

فقال الأب: على رسلك يا فتى إننا غريبان عن البلدة عابرا سبيل حبستنا العاصفة فلجئان إليكم لتأوونا حتى الصباح ونطمع فى شربة ماء وقليل من الطعام.

فقال الفتى : ماء وغذاء ومأوى.. هذه حيل قطاع الطريق والسفاحين قد خبرناها.. اذهبا من حيث جئتما.. أتريدان أن تخربا علينا ليلتنا عليكما لعنة الآلهة، ثم صفق الباب فى وجهيهما.

نظر العجوز إلى ابنه وقال: أولئك الذين يتحرزون من المجرمين وهم أشد الناس فسقاً وإجراماً.

وسار الاثنين إلى منزل آخر.

وقال العجوز لابنه: هلم إلى النافذة فانظر ما ذا ترى؟

تسلق الفتى وجال ينظره يتفحص البيت من الداخل، ثم عاد لأبيه فقال: يا والدى، يوجد بعض نفر يخزنون الذهب فى خواب عظيمة ويختمون عليها بالرصاص المذاب ليخفوا معالمها.. من أين لهم هذا الذهب كله يا والدى..

فقال العجوز: إنهم لصوص يا بنى، وإن كانوا لا يقطعون طريقاً ولا يسطون على دور ولكنهم يمتصون دم الفقير والمعوز وذ الحاجة، يتاجرون فى أقوات الناس ويستحلون الحرام ويحولون مكاسبهم إلى ذهب وفضة يكتنزونها.

وتابع العجوز وابنه المسيد إلى بيت آخر.

قال العجوز هذا بيت صاحب الصنايع والبساتين والحقول هلم نرى ما فيه.

طرقا الباب فأطلت خادمة تسألهم ماذا تريدان؟

قال العجوز: نريد صاحب الدار.

قالت الخادمة: صاحب الدار فى فراشه الدافئ، ولا يمكن لأحد أن يقابله.

فأخذ العجوز يلح والفتى يستجدى حتى علا صوت الخادمة تنهرهما.

نزل صاحب البيت يتهادى على السلم.. قصير القامة ولكنه منتفخ الأوداج تكاد التخمة تقتله.

وبصوته الأجش قال: ماذا تريدان فى هذا الوقت المتأخر من الليل والريح يعصف بكما؟

فسألاه المؤى والماء وبعض ما يسد رمقهما ويقيم أودهما.

فقال وبنفس الصوت: إنه عام شدة ولا زرع لدينا ولا ضرع، نحن أكثر منكم حاجة وليس لدينا ما نعطيكم.. معبد زيوس قريب قد تجدا فيه مأوى وكهنته أسخياء كرماء.. وسيطعمونكما ويسقونكما، وربما يقدمون لكل منكما غادة هيفاء، إنهم فساق عرابيد انطلقا إليهما وابتعدا عنا.

وأغلق الباب دونهما.

قال العجوز: أرأيت يا بنى أحوال العباد؟

فقال الفتى: يا أبتاه نحن نستحق ما جرى لنا، ما لنا وهؤلاء الناس وقد نال منا التعب مع الذل والمهانة وكنا فى غنى عن هذا.

قطب العجوز جبينه وقال : ما لنا والناس. . يجب أن نهتم بالناس ونعرف حالهم، نساعد المحتاج ونقيم المعوج. . ولكن انتظر لترى الأعجب، سر بنا إلى هذا القصر العتيق لنرى ما فيه.

اشرأب الفتى ونظر من النافذة فرأى صحبة متجمعين على مائدة حافلة بصنوف الطعام والشراب وما لذ وطاب من الفواكه والحلوى والخدم منشغلون برفع الأوانى والصوانى ووضع غيرها وكئوس الخمر لا تفرغ والنساء رافلات كالنجوم فى ثياب يشف عما تحته وقد غاب الجميع عن دينه. فتخلى الرجل عن وقاره وتخلفت الفتيات عن حشمتهن واختلط الحابل بالنابل.

نزل الفتى عن النافذة وقد استطار عجباً واشتد غيظاً وكمداً وقال للعجوز: كل الناس هانئون سعداء إلا نحن، الجميع يتمتعون يأكلون ويشربون وقد أخذتهم النشوة واللذة والدفء ونحن نجوب الطرقات نغوص فى الوحل ويرهقنا النصب ويتملكنا الغيظ.

قال العجوز: ألم أقل لك ألا تبدأ حديثاً حتى أبدأك وألا تبدى امتعاضاً حتى أخبرك. اطرق هذا الباب. . تراجع الفتى فأعاد عليه أبوه أن يطرق الباب. . فطرقه وما كاد خرج لهما شاب مفتول العضلات صحيح البنيان، فسألاه حاجتهما، ابتسم الفتى فى وجهيهما ورحب بهما وقادهما إلى البهو الذى يعج بالناس وكل مشغول بحاله.

استرعى الفتى انتباه الجالسين وأيقظ الراقدين وأفاق الغائبين عن وعيهم قائلا: هذان الشخصان قد رأيتهما يجولان فى البلدة، وأغلب الظن أنهما لصوص يتحينا فرصة للسطو على أحد البيوت أو قطاع طريق أو لصوص دجاج!

قال العجوز: إننا عابرا سبيل انقطع بنا الطريق فى بلدكم وحبستنا الأمطار وحاصرتنا الأوحال وما نحن بلصوص أو قطاع طرق.

التف الجميع حول العجوز وابنه وارتفعت قهقهات السخرية وتندروا بهم هذا ينتف شعراً من ذقن العجوز وآخر يرفع ثوب الفتى من الأمام وآخر من خلف وقامت امرأة تقدم للعجوز كأساً من الخمر وتمازحه بعبارات مبتذلة وأخريات التففن حول الفتى يغازلنه ويتشبثن بعنقه. . فنفر العجور وابنه من المكان فتوسطا البهو وأمسك كل منهما بالآخر واختفيا عن الأنظار وسط ذهول القوم وعجبهم.

مازال العجوز والفتى يتجولان فى المدينة يطرقون الأبواب يسألان الناس عوناً فلا يلقون إلا السخرية والاستهزاء، وفى هذه المرة كان الفتى هو الذى قد أصر على أن يكمل حتى يعرف ناس المدينة وطباعهم التى تسير من سوء إلى أسوأ حتى الآن، فما هى إلا أبواب موصدة أو أبواب تصفق فى وجوههم أو لمزات وسخرية حتى أتيا على بيوت المدينة وقصورها العتيقة منها والجديدة.

جلس الاثنان على صخرة ناتئة وقد أوشك الفجر أن يجلى ظلام الليل فأخرج الفتى فيشارته ليسكن روعه ويروح عن نفسه.

قال العجوز للفتى هل ترى هذا الكوخ؟

- أراه. . ماذا تريد منه؟

- هلم نطرق بابه. . عسى أن يكون لديه ما لم نجده فى بيوت وقصور المدينة.

- يا أبتاه هذا الكوخ لابد أن يكون ساكنوه لا يملكون قوت يومهم. . فدعنا لا نهتك سترهم ونزيد ذلهم ونعيب فقرهم، وهذا ليس من الحكمة فى شىء.

- هلم يا بنى نطرق هذا الكوخ وليكن آخر مطافنا.

اقترب الاثنان من الكوخ ونظر الفتى من كوة صغيرة يخرج منها ضوء خافت ثم قال: يا والدى امرأة عجوز ورجل كهل قد أكل منهما الدهر وشرب ولم يترك لهما شىء إلا بؤس الحياة. . أرجوك يا والدى أن تبطل العاصفة وتوقف انهمار المطر فإن الريح تكاد تقتلع الكوخ والمطر تخلل السقف وبلل الفراش وما عاد لهم نار تدفأهم ولا سقف يقيهم ولا جدران تسترهم.

- قال العجوز: سترى يا بنى أن هذا الكوخ هو الذى سيبقى.

- ماذا تعنى يا أبتى؟ هل ستهد القرية؟

- انتظر لترى. . اطرق الباب.

سمعا صوتاً من الداخل قد رجفته زمهريرة الشتاء:

قم يا فيلمون. .إن بالباب طارقاً.

- فرد عليها صوت أكثر رعشة: نامى بابوسيز فإن الريح راجم والبرد قارص ومن ذا الذى يسير فى المدينة ويأتى فيطرق بابنا.

وانتظر فإذا بالباب يطرق ثانيا.

- انه ليس ريحاً عاصفاً إننى أسمع أصواتاً بالخارج. . قم يا فيلمون عسى أن يكونوا أناساً بهم حاجة وانقطع بهم الطريق.

قام فيلمون تصطق أسنانه وترتعش فرائصه من شدة البرد يبحث عن عود من الحطب يسنده حتى وصل إلى الباب وفتحه، وقبل أن يطلب العجوز وابنه حاجتهما كان الرجل يرحب بهما ويطالبهما بسرعة الدخول. .

مرحبا بكما. . تفضلا. . سأحاول أن أوفر لكما الدفء أولاً.

- قومى يا امرأة فأوقدى ناراً. . أعرف أن الحطب مبلل. .حاولى أن تجففيه بملابسك وأضرمى فيه النار وانفخى حتى يشتعل. . وهاتى قربة النبيذ قبل ذلك، أعرف أنها فارغة إلا من ثمالة كنا ندخرها ليوم أكثر برودة.

هاتها. . معذرة إننا لا نملك ما تستحقانه من ضيافة فنحن نستعين على حمياتنا بالصبر.

جاءت المرأة متهالكة وقد اغبشت عيناها تحسس المكان وقدمت لضيفيها قرب النبيذ وبعضاً من المشمش المجفف. .

أخذ الضيف العجوز قربة النبيذ وقربها من فيه وأخذ يتمتم عليها ثم أعادها إلى صاحب الكوخ فلم يقو على حملها وقد امتلأت عن آخرها بعد أن شرب منها هو وابنه حتى ارتويا.

فيتولى الرجل دهشة عظيمة وزادت دهشته عندما رأى حبات المشمش الجافة وقد أينعت وامتلأ الإناء بأطيب الفاكهة وأندرها.

- بحق زيوس إلا أخبرتنى أيها الرجل الصالح النقى من أنت؟

- أيها الرجل الطيب أنا رجل الأسفار والترحال وهذا ابنى يعشق الموسيقى وقد ساقتنا الأقدار إلى دياركم.

توقفت الرياح وأغلقت السماء مزاريب المياه وتمكنت العجوز من إشعال الحطب وقدمت بعض الإدام لضيفيها، وحاولا أن يقدما لهما أعظم ما يملكون وهو قليب فى ظل أصوات الموسيقى التى أطربت فيلمون وأنعشت بوسيز ورويداً رويداً يزداد القليل وامتلأ الكوخ بصنوف الطعام وانتشر الدفء وصاحبى الكوخ ما يكاد يبهرهما شىء حتى يريا آخر.

طال الليل وامتد السَمر وتوقفت عجلة الزمن لحياة صاحب الكوخ وزوجته..

بحق زيوس العظيم من أنت؟ فأنا أرى منك علامات وأبصر فيك قدرات هى للآلهة، فأى إله أنت؟

- أيها العزيز فيلمون.. أيتها التقية الكريمة بوسيز.. من إلهكما؟

- إلهنا زيوس المبارك فى علياء الأولمب.

- أيسركما أن يكون معكما الآن؟

- هو دائما معنا.

- هو دائما مع محبيه والمخلصين له ولكن ماذا لو كنتم فى حضرته يحدثكم وتحدثانه؟

صاح فيلمون:

- أنت هو.. أنت زيوس العظيم.

- نعم أنا هو وهذا ولدى هرمز.

- ركع الزوجين عند قدمى زيوس وقد أخذتهم رعدة شديدة.

- لقد جئت ابتلـى هذه القرية الظالم أهلها.. انهضـا وتماسكا.. ستزلزل الأرض الآن فلا تنزعجا.

وقف زيوس فى الخلاء وأشار بيـده إلى جهات الأرض الأربع فتنفـضت من تحتهم ومادت وخرت الجـبال مندكة، هبت العواصف تقـتلع الأشجار والأحجـار وقصفت الصواعق والقصور والدور وأغرقت المياه الحقول والبساتين وتحولت المدينة إلى أنقاض تحوى أجساداً ماتت قبل أن يواريها الثرى.

لم يتبق من المدينة إلا أربعـة شخوص يقفـون فى العراء وكوخ متـهالك أفلت من غضب زيوس..

شكر فيلمون زيوس أن أبقى له كوخه ليأويه هو وزوجته.

خمـدت العواصف وانحصر الماء وأطلت الشـمس وظهر فى الأفق أبوللو بمركبته الذهبية يرسل شعاع يضى الكون.

زال الفزع وهدأ روع فيلمـون وزوجته بوسيز ولبثـا فى مكانهما ينظران إلى الكوخ تارة ثم يعيدا النظر إلى زيوس وابنه.

أخذ زيوس بيد فيلمون واتكأت بوسيز يد هرمز واقتربا من الكوخ ثم طلب زيوس من الزوجين دخول الكوخ المتهالك.

فتح فيلمون باب الكوخ وفجـأة ارتد إلى الخلف وأخذ بزوجته وطرحا الاثنان على الأرض.

رفعهمـا زيوس عن الأرض ودخل بهما الكوخ يبتعهم هرمـز.. فإذا بالكوخ وقد تحول إلى قـصر منيف متـعدد الطوابق قبـابه من الذهب الخالص وقـد زينت جدرانه بنقوش من الزمرد والياقوت وأرضياته من الرخام ودرجات السلم من المرمر.

انبهـر الزوجان بما يريا وقـد امتلأ القـصر بالخدم والحـشم وتماثيل الآلهة، فـأخذا يتنقلان بين الغرف ويصـعدان ويتزلان بين الطوابق.. حتى وصلوا جميـعاً إلى البهو الكبير الذى يتوسط القصر.

وقف زيوس وأشار بيده.. وقال:

فيلمون هذا هيكلى وقد جعلتك كاهنى الأكبر فتمنى علىَّ سأجيب مطلبك وأحقق أحلامك..

تبسم فيلمون وقال: سيدى.. ترانى وزوجـتى وقد أخذ منا الزمان مأخذه فلو عاد بنا الزمـان لكنا أقدر على خـدمتك.. فلـيكن الشبـاب هديتك لنا وأن نحيـا ونموت معاً..

لك مـا طلبت يا فيلمـون العزيز.. وهبت لكمـا الشبـاب إلى حين ولكن كـتب عليكما الفناء كما طلبت وإلا كنت قدرتك عليكما الخلود كالآلهة.

لم يندم فيلمون وقد رضى بما قدره عـليه زيوس.. وأخذ الزوجان يلوحان لزيوس وابنه وهما يغوصان إلى السماء حتى اختفيا.

خرج فـيلمون وبوسيـز من باب القصر يتـفقدان أحـوال المدينة، فوجدا قـصرهم يتوسط جزيرة شاسـعة أرضها بساتين وحقول ومرابط الخـيول وحظائر الماشية، انحنى فيلمون على الأرض فاقتطف وردة أهداها إلى زوجته ثم دلفـا إلى القصر وقد أصبحا فى ريعان الشباب.

عاش الزوجان ينعمان بالشبـاب دهوراً حتى آن أوان الرحيل فمات الاثنان فى يوم واحد وساعة واحدة.. ونبت فوق قبرهما شجرتان عظيمتان تخلدان ذكرهما..

* * * *

سيسيفوس
الصراع الأبدى

منذ أن يولد الإنسان يدخل صراعاً مع الحياة من أجل البقاء والوصول إليس قمة هو صانعها وواضع أسسها فإن كانت خيراً فخير وإن كانت شراً فشر.

سيسيفوس
الصراع الأبدى

أنجبت جيا زوجت أورانوس عدد كبير من المردة والتنانين منهم بابيتوس الذى تزوج كلوميني فأنجبت له منيثيرس وأطلس وهسيروس وإيبميثيوس وبرميثيوس، وأنجب بروميثيوس ديوكاليون، وأنجبت باندورا ابنة من أبيميثيوس تدعى بورا.

تزوج ديوكاليوم من ابنة عمه بورا فأنجبت له أيولوس الذى تزوج من ابنة عمه مإناريتى وأنجب منها ولدين هما سالمونيوس وسيسيفوس.

أعجب سيسيفوس بابنة عمه ميروبى إحدى بنات أطلس وتزوجها فأنجبت له ثلاثة أبناء. جلاوكوس وأورنوتيون.

كان سيسفوس يملك قطيعاً هائلا من الماشية يطلقه يرعى فى المراعى الشاسعة حول مضيق كورنثا.

حياته سعيدة هانئة. . مصادر المياه وفرية والعشب ناضر كثيف ومناظر خلابة ونسيم البحر هادئ والشمس ساطعة وتحميه الجبال من غارات اللصوص ولا يشاركه جار سيىء مباهج الكون ومصادر الرزق، وظل على حاله وأسرته ينعمان بهذا الخير العظيم والصفاء المقيم وليالى السمر وحفلات الربيع.

ذات صباح وقد حجبت الغيوم ضوء الشمس وأبرقت السماء تنذر بالجو العاصف والمطر الغزير والسيل العارم، أطل سيسيفوس من شرفته فوجد على مرمى البصر كوخاً عظيم البناء لا يرى متى وكيف أقيم ووجد قطيعاً صغيراً من المشاشية يشارك قطيعه الماء والكلأ.

كان أوتولوكوس ابن خيون صاحب هذا الكوخ وراعى هذا القطيع قد استقر به المقام فى هذه الجهة الغنية بمصادر المياه والغذاء.

كانت خيون تملك سحراً ودلالاً أوقع فى حبها اثنين من الآلهة هم أبوللو وهرميس فأنجبت منهما توأماً فيلامون لأبوللون وأوتولوكوس لهرميس. وقد تملكت الغيرة قلب الإلهة أرتميس عندما أعلنت خيون أن جمالها قد طغى على جمال الآلهة، وأنها تمكنت من إيقاع الإلهين أبوللو وهرميس فى غرامها.

تمكنت أرتميس من دس السم لخيون فصرعتها، حزن وايداليون والد خيون وحاول الانتحار بأن ألقى نفسه من قمة الجبل، ولكن الإله أبوللو أنقذه من الموت بأن حوله إلى صقر قبل أن يصل إلى سفح الجبل فهبط فى سلام.

نشأ أتولوكوس وقد اكتسب من أبيه هرميس المكر والخداع ولا يحفظ عهداً ولا يفى وعداً، عنيفاً بالفطرة، فصار لصا بارعاً وقد وهبه والده هرميس القدرة على تغيير صفات الحيوانات فاحترف سرقة الماشية وتغيير معالمها وأشكالها، فجعل من الثيران ذات القرون نعاج ذات فراء والبقرات السمان يحولها إلى عجول هزيلة كما كانت لديه القدرة على تغيير صفاتها كان قدراً على تغيير ألوانها فالأبيض يلبسه السواد والأسود يحيله إلى أسود حالك.

جاور أوتولوكوس ذلك المحترف للسرقة سيسيفوس الرجل الشريف الراضى عن حاله القانع بما لديه.

مرت الأيام ولاحظ سيسيفوس أن مواشيه يقل عددها وتتناقص فى حين عدد مواشى جاره يزداد عددها وتكثر . . أيقن سيسيفوس أن جاره هو اللص لكن كيف وهو لا يتعرف على مواشيه بينهم. . أعياه التفكير. . لابد أن يكون هذا اللص ساحراً يغير من صفات الماشية.

لم يطق سيسيفوس صبراً على سرقة مواشيه وكيف يقف مكتوف الأيدى وهو ينهب ويسرق، ولكن الإحساس بالظلم يثير الحمية بالنفوس ويقدح زناد العقول، فقرر أن يجد وسيلة يكشف بها هذا السارق، تفتق ذهنه عن خديعة لن يفطن إليها اللص الناهب. فأخذ هو وأتباعه يختمون حافر كل حيوان فى القطيع من أسفل

بحرفى (س - س) اختصارا لعبارة معناها «سرق بواسطة أوتولوكس»، ثم أطلق سيسيفوس ماشيته ترتع كما شاءت بعد أن حصرها عددا وأوى هو إلى فراشه.

أشرقت الشمس وبدأت الكائنات تطرق سبل الحياة كل لما خلق ونزل سيسيفوس وأخذ يجمع ماشيته ويحصيها عددا فوجدها وقد نقصت عن الأمس نظر إلى الأرض المنداة بندى الفجر.. فتهلل وجهه وصاح صيحة عظيمة اجتمعت عليها جموع من البشر والآلهة.. فأشار لهم نحو الأرض الرطبة وقد ختمت بحرفى (س - س) فرأوا جميعاً آثار الحوافر واضحة عن الأرض.. وتتبع الجميع ومعهم سيسيفوس آثار الحوافر على الأرض متجهين نحو المرعى الخاص بأوتولوكوس.. وقادتهم الآثار إلى إحدى الحظائر، ووقف الجميع مشدوهين فقد تغيرت الألوان والصفات.

جاء أوتولوكوس وعلى وجهه علامات الدهشة الزائفة وعندما واجهه سيسيفوس وطالبه برد مواشيه اشتعل غضبا وثار بهتانا وأنكر سرقته للماشية وأن جميع ماشية الحظيرة ملكه.

بهت أوتولوكوس عندما واجهه الملأ بالختم الخاص الذى وضعه سيسيفوس أسفل حافر الماشية المسروقة.

لقد غيرت معالم الماشية من هيئة ولون ولكنى لم أفطن إلى تلك الخدعة التى خدعنى بها هذا اللئيم الماكر..

فرح سيسيفوس بنجاح خطته وأعجبه مكره وخداعه واقتنع بأن الشر لا يواجه إلا بالشر وأن الجريمة لا تقابلها إلا جريمة مثلها وأن الحديد لا يطرقه إلا الحديد.

برقت فى ذهنه فكرة يقتص بها من هذا اللص الخائن، لماذا لا يسرقه كما سرقه فليسرق منه أعز ما يملك.

ترك سيسيفوس الملأ من الناس والآلهة وقد عقدوا محاكمة للص أوتولوكوس وأخذ يحوم حول المنزل الذى بناه أوتولوكوس ينظر ما غلا ثمنه وخف حمله ليقسم ظهر عدوه.

كانت أنتيكليا ابنة أوتولوكوس سجينة حجرتها لا ترضى عن أفعال والدها ولا تقره على سرقته وخداعه ومكره وكان لذلك أثر عليها فقد اكتسى وجهها الناضر بمسحة من الحزن واعتصرت قلبها آلام الخزى والعار.

تسلل سيسيفوس إلى ذلك المخدع وانقض على هذه المسكينة وما تركها إلا ووضع فى أحشائها أودوسيوس ذلك الابن الذى أنجبته كارهة والذى صار اسمه رمزاً للخداع والمكر وهو بطل أويسيا هوميروس وصاحب فكرة الحصان الخشبى فى حرب طروادة.

بدأ الشر يتأصل فى نفس سيسيفوس وأصبح المكر والخداع من شيمه وخلاله، منذ ذلك اليوم وقد هوته الجريمة وصارت لعبته وامتلكه الشر وأصبح عقيدته.

تخلص سيسيفوس من عدوه ونسى فعلته مع ابنته انتيكليا ولم يعرف أن له ابناً منها وقام بتأسيس مدينة اسمها إفورى ثم توسعت وأصبحت مملكة باسم مملكة كورنثا، فكانت مملكة واسعة الأرجاء وقام بملكة على الظلم والطغيان وتسخير البشر لخدمته، لا يعرف الشرف له طريقاً ولا المبادئ له عنواناً، لا يدين بأعراف ولا تقاليد، يغير على القوافل العابرة وينهب المسافرين الأمنين، يغزو الممالك ويأسر الرجال ويسبى النساء ويقهر العجائز والارامل، قامت مملكته على كل أنواع السرقة والنهب وبرع فى أعمال القرصنة البحرية.

على الجانب الآخر من سلسلة الجبال الشاهقة كانت مملكة تساليا وعلى عرشها أبولوس والد سيسفون وسالمونيوس، وعندما مات أبولوس اعتلى عرشها سالمونيوس واعتبر سيسيفوس أنه الأولى بهذا العرش من أخيه ففكر وقد اعتمرت نفسه بكل أنواع الشرور كيف يستولى على هذا العرش ويضم المملكتين.

بدأ سيسيفوس فى التقرب من أخيه ويعرض عليه المشورة والرأى والمساعدة ما زال سلامونيوس يحاول أن يبعد أخاه لما عرف فيه من طمع وجشع واستغرب كيف تبدل حاله وكيف ترك الشرف والأمانة وتلقح بهذه الشرور التى جعلته كالوحش الضارى الذى لا يمتنع عن شيء للوصول إلى مآربه وغايته الشريرة.

مازال الشر يسيطر على سيسيفوس . . كيف يتخلص من أخيه ويستولى على مملكته وشعبه يحبه ويجله ويحترمه ولن يرضى بغيره بديلا . فذهب إلى نبوءة دلفى وهو معبد يلهم لكهنة مريدى الشرور ويعينهم على الظلم والغش والخداع، وينبئهم بنبوءات ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب.

عاد سيسيفوس من النبوءة وقد سيطرت عليه فكرة شريرة وبدأ فى تنفيذها، فقد تنازل لأخيه سالمونيوس عن عرش مملكة تساليا وبدأ يتقرب إليه ويستميل ابنته تورو وكانت فتاة عذراء غريرة.

أكثر سيسيفوس من التردد على أخيه حتى آمنه واطمئن إليه . . وهو يتودد إلى الفتاة ويسحرها بكلامه وتظاهر بحبها وعشقه لها وهى ابنة أخيه، تمكن منها واستمالها وطارحها الغرام واستمرت هذه العلاقة الآثمة فترة من الزمن أنجبت خلالها تورو طفلين وتمكنت بتدبير من سيسيفون من إخفائهما عن جدهما وبدأ يلقنهما الكراهية لجدهما ويعدهم للتخلص منه ليتمكن من الاستيلاء على عرشه.

فطنت تورو لخطة سيسيفون عمها الشرير فقامت بقتل الطفلين لتفشل هذه الخطة، لكن سيسيفوس لم ينضب عنده معين الشر وعندما علم بما فعلته تورو ثارت ثورته العارمة ووقف فى الساحة الكبيرة يصيح حتى التفت حوله الآلهة والبشر يستطلعون هذا الأمر.

صرخ سيسيفوس : إلا يا قوم لقد نصحنى كهنة دلفى بأن أنجب من ابنة شقيقى سلامونيوس ذرية، ذرية فيها خير البشر وعون للآلهة وقد فعلت فأنجبت طفلين هما قرة العين ومنى الفؤاد وها هو سالمونيوس قد غدر بابنته وعصى الآلهة وتصدى للنبوءة المقدسة وأقدم على قتل الطفلين خوفاً على ملكه وضياع سلطانه، كيف يغتال البراءة ويتصدى للنبوءة ويترك حراً طليقاً.

اجتمع الرأى بين الحاضرين على ضرورة عقاب سالمونيوس ولحبهم له اكتفوا بنفيه خارج البلاد وانتصر المكر والخداع . .

تمكن سيسيفوس من الاستيلاء على مملكة تساليا بعد أن طرد سالمونيوس وابنته وجميع أفراد عائلته . . وضم المملكتين وأحاط نفسه بأعوان يحققون له مآربه من السيطرة والهيمنة وبسط نفوذه.

زاد طغيانه واستفحلت شروره ولم يعد أحد فى المملكتين فى منأى عن شروره وطال هذا الشر السادة والملوك المحيطين به ووصل إلى مملكك الآلهة.

لم يكن سيسفوس يخش عاقبة شروره وهيأ له غروره بأن قامته من قامة الآلهة ولن يردعه شيء حتى لو كان زيوس كبير الآلهة.

اتسعت مملكته وكثرت حاشيته وجواريه وغلمانه، لكنه مع ذلك كان يهوى الوحدة والجلوس قريبا من ماشيته، يحصيها كل يوم ليعرف كم زاد عددها ويطمأن على عدم نقصانها.

ذات يوم وكعادته جلس سيسيفوس فوق سطح قلعة إفورى يجول بنظره الفضاء الممتد يتابع حركة النجوم والكواكب ويرصد الأبراج السماوية ويسبح مع الطيور التى تغدو وتروح، ويراها تنقض على فرسيتها فى البر والبحر ثم تعلو بها وتعود إلى عشها تلتهمها أو تكون وليمة لفراخها.

وفجأة اختفى ضوء القمر وتلاشى البساط اللجينى من فوق سطح البحر، ثم عاد ليظهر وجه القمر وقد رسم فى وسطه طائر ضخم يقترب رويداً من القلعة.

حاول سيسيفوس أن يتبين ما ميرى وقد هاله حجمه، فإذا به نسر عملاق لم ير مثله من قبل فأيقن أنه أحد الآلهة يقوم بإحدى مغامراته أو أنه رسول لأحدهم فى مهمة خاصة.

مر النسر سريعاً من فوق رأس سيسيفون الذى انكفئ حتى لا يلحظه النسر وكأن ريحاً عاتية قد مرت من فوقه وحوله أثارت زوبعة عاصفة كادت تطيح به من أعلى القلعة .

ما كاد سيسـيفون يرفع رأسه بعد أن هدأت العاصفة حتى عـاد النسر العملاق يمر مرة ثانية فأغمض عينيه ولكنه سمع صوت فتاة تستغيث فأسرع وفتح عينيه فرأى النسر وقد أمسك بفتاة بين مخالبه.

ابتعد النسـر وغاب فى الأفق فتتبعـه سيسيفون بنظره فـرآه يحط على إحدى الجزر القريبة فتنهد تنهيدة طويلة وقد هدأ روعه وزال خوفه فراح فى سبات عميق.

كان زيوس كبير الآلهة يخترق الحجب ينظر أحوال البشر فإذا ما أعجبته فتاة حاول اسمالتـها لتكون محظيتـه فإذا رفضت احتـال عليها ويحاول بشـتى الطرق النيل منها كرها أوغصباً.

أفاق سيسـيفون على صرخات استغاثة، فقام مفزوعاً وهو يظن أنها صرخات الفتاة التى رآها وهى بين مخالب النسر العملاق، وعندما فتح عينيه وجد رجلاً يعرفه ولكنه تحول إلى شـخص آخر، شـاحب الوجه، جاحظ الـعين أشعث أغـبر يرهقـه الحزن ويضنيه الآسى. أنه أسويـوس الإله الموكل إليه المياه العذبة يفجـر الينابيع ويملأ الآبار ويسيل الطمى فيكسب الأرض الخصوبة والنماء.

- ما الذى جاء بك إلى هنا يا أسويوس؟

- أجوب الأرض أبحث عن ابنتى التى اختفت ولا أجد لها أثراً.

- ما هى حكاية ابنتك؟

- إيجينا ابنتى رائعـة الحسن والجمال، الربيع جـيدها والعطر ريحها، ضـوء عينى وزينة عمـرى رآها زيوس رب الأرباب وأعجب بها وحاول أن يسـتميلها فـصدته.. حاول أن يجاذبها أطراف الحديث قاطعته، طاردها ابتـعدت عنه.. حاول أن يغتصبها قاومـته، ازداد تعلقه بها وصـار يطاردها فى صحوها ومنـامها.. أصابهـا منه الصرع فأصبحت تقضى النهار فى البكاء وكلما أغمض جفنها قامت فزعة.. انتقلت بها من أرض إلى أرض ومن قـصـر إلى آخـر وهو على حـاله وهى تزداد سـوءاً.. والليلة

الماضيـة اختـفت من القصـر ولم يرها أحد من الحـراس أو الخدم وأنا على يـقين أن زيوس قد خطفها ولكنى لا أعلم إلى أين ذهب بها.

ربط سيسيفون بين قصة أسويوس وابنته إيجينا وبين ما رآه بالأمس فعرف أن النسر ما هو إلا زيوس والفتـاة ما هى إلا إيجينا ولا شك فى أنه أوشك على اغتـصابها إن لم يكن فعلها.

نهض سيسيفون وطلب من أسويوس أن يكف عن البكاء وقال له: أنا أعرف مكان ابنتك وأنا الوحيد القادر على إنقاذها وإعادتها إليك ولكن!!

- هلم يا صديقى العزيز ننقذ هذه الفتاة المسكينة ولك ما تريد.

كان أسويوس يعلم جـيداً طباع سيسـيفون وأنه لن يقدم معـروفاً بدون ثمن ولكنه مستعد لعمل أى شىء فى سبيل إنقاذ ابنته.

اطلب يا سيسيفون ما تريد.

طلبى بسيط وفى مـقدورك.. أريد أن تفجر عينا يسـيل منها الماء أبد الآبدين تنبع من أسفل قصرى تصير نهراً ينساب فى انحاء ممالكى تروى الأرض وتزيل القحط ولا تنضب أبداً.

- لك ما أردت.

وعندما تأكد سيسـيفون من تحقيق طلبه.. أشار إلى الجزيرة المـهجورة محط النسر العظيم، اذهب رل هناك ستجد ابنتك رهينة زيوس.

أسرع أسـويوس إلى الجزيرة ولكنه وصل مـتأخراً فـوجد ابنته منخـرطة فى البكاء تلملم ثوبها لتغطى جـسدها الذى نهش وتمسح رمز عذريتها من فوق سـاقيها وجلس زيوس بجانبهـا يحاول أن يمسح عن وجهها عـبرات قد سالت ويمنيها أن تـختار ما تريد ويطلب منها البقاء فى الجزيرة التى سيحولها جنة تعيش فيها منعمة.

توجه الأب المكلوم نـحو ابنته المنهـارة وأخذها بين ذراعيـه ونظر إلى يزيوس رب الأرباب وهو يعلم بأنه لا يمكن مواجهـته، فوقعت نظرته المكسورة كالـسهم المسموم

فى قلب زيوس الذى ارتعد فمادت الأرض وفزع الأب وابنته فأخذ يعدو كل منهما فى فى اتجاه خوفاً من غضب زيوس.

اختفت إيجينا عن الأنظار وفشل أسويوس فى العثور على ابنته ومازالت هذه الجزيرة باسم إيجينا.

عاد زيوس إلى قمة الأولمب وقد علت وجهه مسحة من الخزى وعلم بأمر سيسيفون وأنه الذى فضح أمره وأفشى سره وصمم على الانتقام منه وليكن انتقاماً شديداً.

طلب زيوس من أخيه هاديس أن يقتص من سيسيفوس ويجعله أعجوبة فى عين البشر والآلهة أبد الآبدين.

هاديس المهيمن على عالم الموتى يخدمه تاناتوس رسول الموت وقابض الأرواح وناقلها إلى العالم السفلى لتصير من رعايا هاديس.

أمر هاديس ثاناتوس بأن يحضر إليه سيسيفوس، فذهب على الفور لينفذ مهمته، قابله سيسيفوس بالترحاب وأكرم وفادته.. لم يقبل منه تاناتوس ما قدمه من هدايا وعطايا وطلبه فى أن يؤجل مهمته إلى حين يكون جاهزاً للقاء هاديس العظيم، ولكن رسول الموت صمم على إنجاز مهمته.

- انتظر برهة يا صديقى لى عندك طلب وليكن طلبى الأخير.

- مادا تريد؟

- سأريك شيء لم تراه فى ممالك الأرض ولا السماء.

- لا أريد أن أرى شيئاً.

- الق عليها نظرة وبعدها لك ما تريد.

- على وجه السرعة وليكن شيئاً يستحق وإلا أخرجت أحشاءك قبل أن أقبض روحك.

- صفق سيسيفوس بيديه.

حضرت فتيات بارعات الحسن يلبسن ما يكشف العورات ويسيل الرضاب، يحملن صندوقاً من الذهب المطعم بالياقوت والمرجان ووضعوه بين يدى سيدهم والتففن حول تاناتوس يبهره جمالهن ويسبيه حسنهن.

أخرج سيسيفوس سلسلة طويلة من الذهب الخالص المحلاة بفصوص من الزمرد والكهرمان تنتهى بأزرار فى صلابة الفولاذ ونعومة الحرير ذهبية الشكل.

ناولها سيسيفون لإحدى فتياته التى تجردت من ثيابها ولفتها به وتقدمت نحو ثانافوس الذى تحير نظره بين جسدها المرمرى وبين ما بيدها، فتناول اللفافة بسرعة ووضعها بين طيات ملابسه واستعد لإنجاز مهمته.

سأله سيسيفوس: سيدى هل تعرف فائدة الأزرار الذهبية؟

أجابه تاناتوس: لا.. ولكن هذا لا يهم.

دعنى أعرفك كيف تستخدم وألقنك تعويذة سحرها ليعم نفعها ويجدى امتلاكها وبسرعة مد سيسيفوس يده وأخرج السلسلة، تقدمت فتاتان من ثانافوس وأمسكتا بيديه، وثالثة تداعب خصلات شعره وسيسيفوس منهمك فى تقييده وأفاق ثاناتوس وقد قيدت يداه إلى قدماه وشلت حركته، فر سيسيفوس ومن معه وأغلقت أبواب القصر ونوافذه وشرفاته وأصبح ثانافوس قابض الأرواح سجين القصر بعد أن وقع ضحية سيسيفوس الماكر المخادع.

طال انتظار هاديس لمبعوثه ورسوله إلى سيسيفوس. كلما مرت ساعة يزداد قلقه وكلما يمر يوم يزداد غضبه.. حتى جاءه آريس إله الحرب.. أين إله الموت قابض الأرواح الحروب دائرة وهناك كثير من قطعت رقابهم وبقرت بطونهم.. الساحات مملوءة بأرواح معذبة لأن إله الموت لم يدركهم وينقلهم إلى العالم السفلى لقد تعطل عملنا ونفذ صبرنا.. أين ملك الموت؟

قال هاديس لقد أرسلته ليقبض روح سيسيفوس منذ أيام ولم يحضر وما أدرى ما حل به؟

غضب آريس وانطلق إلى قصر سيسيفوس فوجده وقد أغلق منافذه كلها، حطم الأبواب، بحث فى الحجرات والقاعات حتى وجده مقيداً سجينا قابعاً ذليلاً فى غرفة نوم سيسيفوس، فق قيده وخلى سبيله وعاد إلى هاديس رب العالم السفلى الذى نهره وأنبه وأمره أن يخرج إلى ساحات الوغى وينشط حتى ينجز الأعمال المعطلة منذ أيام. وطلب رب العالم السفلى هاديس من إله الحرب آريس أن يبطئ فى عمله ورجاه أن يأتى إليه بالماكر المخادع سيسيفوس.

لم يتوان إله الحرب فى البحث عن سيسيفوس فوجده مختبأ فى أحد كهوف الجبال بعيداً عن الأنظار- فقبض عليه وساقه مقيداً إلى العالم السفلى وسجنه فى جب سحيق حتى يمثل أمام رب العالم السفلى.

مازال الأمل يراود سيسيفوس فى الخلاص، الدهاء تفكيره والخداع سلاحه والمكر وسيلته فتقرب من المارد الحارس عليه وطلب منه أن ينقل إلى برسيفونى زوجه هاديس رسالة مفادها أنه قد ظلم وأن روحه مازالت معلقة حيث لم تدفن جثته ولم يوارى الثرى.

لم تعبأ برسيفونى برسالة سيسيفوس فعاد وأرسل إليها أن لديه الكثير من أسرار الآلهة وخاصة هاديس ويعلم نزواتهم وزوجاتهم وخليلاتهم.. فأثار منها الغيرة وأرسلت فى طلبه.

مثل سيسيفوس أمام برسيفونى وفى بلاهة زائفة وسذاجة مصطنعة وعجز مفتعل وبصوت متهدج قال: مولاتى إنه مجرد علم الآلهة بأننى أعرف بعض خباياهم سجنونى فى هذا الجب السحيق فماذا يكون حالى لو أطلعتك عن أسرارهم وخباياهم أنت إله الرحمة فارحمى حالى وأنت إله العدل فأرسلينى إلى عالمى لأخبر زوجتى على أن توارينى الثرى وتدفن جثتى حتى أكون فى العالم السفلى وعندها أخبرك بما أعرف وأطلعك على أحوال الأرباب جميعاً.

أرادت برسيفونى أن تتأكد من صحة ادعاءات سيسيفوس فأرسلت رسولاً إلى زوجته . . فعاد الرسول ليخبرها بأن جثة سيسيفوس مازالت محنطة ولم تدفن وكان سيسيفوس قد اتفق مع زوجته أنه إذا غاب عن الحياة وزهقت روحه فلا تدفن جثته فتظل روحه هائمة بين العالمين ولا تستقر فى عالم الموتى.

غضبت برسيفونى من ميروبى زوجة سيسيفون وأشفقت عليه وسمحت له بمغادرة عالم الموتى لثلاث ليالى ولا يتأخر عن ذلك حتى لا يعلم هاديس وأمرته أن يعاقب زوجته لعدم وفائها له.

عاد سيسيفوس إلى عالم الأحياء، والتقى بزوجته التى فرحت به وشكرها على الوفاء بما اتفقا عليه ولأنها ساعدته فى إنجاح خطته فى الهرب من عالم الموتى الذى لن يعود إليه.

علم هاديس إله الموت بما فعله سيسيفوس فعنف زوجته ولم يتمكن من إرسال قابض الأرواح إليه مرة أخرى حيث إن قابض الأرواح لا يذهب إلى إنسان إلا مرة واحدة - وعلم أديس إله الحرب بهروب سيسيفوس فعاتب هاريس على إهداره فرصة القصاص من سيسيفوس ولام إهماله وعندما وصل إلى زيوس الخبر زادت ثورته وغضب غضباً شديداً فلم يعد يتحمل مكر وخداع سيسيفوس وتطاوله الآلهة وتمكنه من الخلاص منهم.

استدعى زيوس الإله هرميس رسول الآلهة الماهر اللبق وهو والد أوتولوكوس عدو سيسيفوس وهو الوحيد الذى يمكنه خداع سيسيفوس ولديه الرغبة فى الانتقام لابنه.

عرض زيوس الأمر معلى هرميس وطلب منه أن يستدرج سيسيفوس إلى عالم الموتى. لم يتوان هرميس وذهب إلى سيسيفوس فى صورة برسينوس زوجة هاديس وهى فى أبهى زينتها ورونقها واقتربت منه وقد أضاء وجهها بابتسامة مشرقة.

عزيزى سيسيفوس لقد كنت سببا فى خلاصى من عالم الموتى لأعود إلى الحياة أتنسم عبيرها وأنعم بدفء شمسها بعد أن طردنى هاريس من عالم الموتى بسبب

سماحى لك بالخروج منه، فخذنى إليك خليلة أسقيك من نهر الحب وتسقينى وأرويك من فيض حنانى وترويني وأهبك الخلود ولتصبح فى مصاف الآلهة.

لم يصمد سيسيفوس أمام إغراء سيفوس (هرميس) فأسرع نحوها وغاب فى صدرها فأسكره عبيرها وذهب به إلى سبات عميق.

أفاق سيسيفوس من نومه ليجد نفسه مقيد الأيدى والأرجل بالسلسلة الذهبية التى قيد بها ثاناتوس إله الموت، وهرميس يقف عند رأسه وزبانية الجحيم حوله..

قام هرميس بحفر قبر عظيم وألقى فيه بسيسيفوس حياً وأهال عليه التراب حتى فاضت روحه وانتقل به إلى العالم السفلى مقيداً ذليلاً.

المحكمة منعقدة وزيوس يرقب الموقف.. القضاة عتاة جبارون لم يتركوا لسيسيفوس فرصة بأن يتفوه بالكلام وأصدروا حكمهم الذى قضى به زيوس ولقنهم أياه.

ليبقى سيسيفوس فى عالم الأموات أبد الآبدين، يحمل على كتفيه صخرة عظيمة فى حجم جزيرة إيجينا تماثل الصخرة التى تحول إليها زيوس يوم هرب من عيون أسيوبوس.. يحمل هذه الصخرة ويتسلق بها الجانب الوعر لجبل شاهق الارتفاع حتى يصل إلى قمته ثم يضعها هناك.

برهة وقد حمل سيسيفوس الصخرة وشق طريقه إلى الجبل وبدأ فى الصعود، ينهش الصخر كتفيه وتثقف النتوءات قدميه ويذيب العرق جبينه وما أن وصل إلى أعلى الجبل وحاول وضعها على قمته، حتى اهتزت وانحدرت سريعاً نحو السفح وسط سحابة عظيمة من الغبار الذى يعمى العين ويسد الأنف ويوقف القلب.

هبط سيسيفوس إلى سفح الجبل ويدفعه الأمل لمعاودة الكرة وأنه سيتمكن هذه المرة من إرساء الصخرة على قمة الجبل وينتهى من هذا العذاب.

عانى سيـسيفوس مـرة أخرى حتى وصل إلى أعلى الجبل وحـاول وضع الصخرة على قمته ولكنها مالت وانحـدرت إلى الأسفل بقوة رهيبة.. عندها علم أن هذا هو العقاب الذى قدره عليه زيوس وأنه عذاب أبدى.. لن يتخلص منه.

* * * *

ترى لما ترمز هذه الأسطورة؟.. هـل ترمز إلى أن الإنسان بشـره وإجرامه ومهـما كان ذكاؤه وسعة حيلته واستبد بقوته فإنه معاقب وسيلقى جزاءه؟.. أم ترمز إلى حياة الإنسان البائسة والذى خلق فى كـبد ومازال يعانى الوصول إلى قمة غـير مدركها؟ أم أنها ترمز إلى عبثية الحياة وأن مآله إلى مـصير قدر عليه؟ أم أنها ترمز إلى أن الخديعة بالخديقة تقدح والمكر بالمكر يطرح وأن الشر بالشر يدفع.

يبقى للإنسـان عقله إذا أعمله استفـاد وعرف موارد التهلكة وابتعد عنها، وقلب إذا هدأ وأطمـأن تنحى عن دروب الشر ومـال إلى فطرته فى صنع الخيـرات، ونفس إذا تذكت أضاءت نور البصـيرة وتستشف الصالح من الـطالح، وروح إذا سمت تنعمت فى الدارين.

* * * *

تانتالوس
الحقد الأعمى

مازلت صفوف من البشر لا تقتنع بما يصل إلى يديها من خيرات، وكلما أقبلت عليهم الحياة بزخرفها ومتاعها، زاد نهمهم وكبرت أطماعهم لا يغنيهم مال ولا يشبعهم طعام، لا يكيفهم جاه ولا يوزعهم سلطان، تسيرهم الأحقاد وتفشيهم الغيرة يقتلهم الكبر والخيلاء ويذلهم الطمع والنفاق.

تاتنالوس
الحقد الأعمى

لزيوس ذرية لا تعد ولا تحصى.. أنجبتها له رباب من الأولمب وحوريات من البحر وضيات مـن الجبال وعرائس من الغـابات والأنهار ونساء من البشـر الفانين فكان من ذريته صنوف عدة، أرباب وربات وتياتن وعماليق أنصاف إلهة وبشر فانون.

كان تاتنالوس من أبناء زيوس الفانين وأضبغ عليه زيوس بهاء الطلعة ومشقة القوام وقربه إليه وعهد بتربيته إلى بعض ربات الأولمب وأولاه رعاية خاصة فشب وقد ذهب خلاية السـاق وحسن البيـان وحب زيوس ورعاية الآلهة وجـعل له مملكه فى الأرض فكان له الجاه والمجد والسلطان.

كان ناتنالوس يمكنه أن يعرج إلى مملكة أبيه ويقـضى أوقاتاً فى مجمع الآلهة يأكل مما يأكلون ويشرب مما يشربون، ويسعى بينهم أخبـارهم فلا تفوته فائتة ولا تغيب عنه شاردة.

وكان للآلهـة طعام خاص وشراب خـاص وهو ما يمنحهم الخلود والقـوة والقدرة ولا يعرف سر هذا الطعام والشراب أحد من البشر، طعـامهم نبات الأمبروسيا تحضره جمالات العمام من أقصى الغرب وهى منطقـة لا يطئها لا إنسان ولا آلهة وشبهم هو شراب النكتار وهو نوع من الكروم يصنع منه النبيذ الأحمـر تعصره ربة الشباب هيبى وهو إكسيـر الحياة لا يشرب منه سوى الآلهة ولكـن زيوس سرح لتاتنالوس أن يتناول بعض هذا الطعام ويشرب من النبيذ الأحمر (إكسير الحياة).

شعر تاتنالوس بعظم شـأنه بين البشر بتقربه إلى مجـمع الآلهة وجعله حب زيوس يتباهـى بين الآلهة فأوعزت له نفـسه الأمارة بالسوء أن يجـعل من مملكته فى الأرض مملكة تضاهى مملكة زيوس فى السـماء، فلم يحفظ لأبيه وداً وصـار يتندد على الآلهة

الأرباب وهم يعتبرونه شاباً طائشاً . . ويعلمون منزلتـه عند زيوس فلا يشكون ولا يتململون من مهاترات ذلك الشاب الأرعن.

ظل تاتنالوس يتمادى فى غيه وزاده تدليل زيوس رعونة وضلالة وفكر أن الفرق بين الآلهة والبشر فى تناول ذلك الطعام وذلك الشراب فإذا ما سرق بعض هذا وذاك وتناول المخلوطين لعظمت مكانته وذاع صيته وتمكن من تحدى الآلهة وعلى رأسهم أبيه.

زاد حجوده واعتمرت نفسه بالحقد لما يتمتع به مجتمع الآلهة لم يرى لأبيه حرمة ولم يعرف له جميلاً ولم يصفو قلبه للآلهة وللأرباب وأراد أن ينشئ مجمعاً للآلهة من البشر وليكن هو سيداً عليهم بعد أن يجعل من البشر الزائل إلها خالداً.

بدأ تاتنالوس يختلس بعض الطعام والشراب بعد كل وليمة وينزل خلسة ويطعم ويسقى من هم أكثر ولاء له، لم يفطن زيوس لما يفعله تاتنالوس وكانت الأرباب والآلهة لا تشك فيه رغم ما لاحظوا منه من تغير فى الطبيعة والأخلاق.

ظل تاتنالوس يسرق الأمبروسيا طعام الآلهة والنكتار شرابهم ويهبط به إلى الأرض وزادت جرأته وظن أن سره فى مأمن ولن يلتفت أحد لما يفعله وحط من قدر أبيه ومجمع الآلهة الذين لا يعلمون بما يفعل،وإن كانوا آلهة بحق لعلموا ما يعرج إلى السماء ويهبط منها ولو كان فى حجم بعوضة.

ملأ الزهو نفس تاتنالوس وسيطر عليه الغرور وأفرط فى الشقة ولما لا وزيوس لا يعرف شيئاً والآلهة لا تقوى على مواجهته وفكر فلتكن الخدعة الكبرى.

طلب تاتنالوس من زيوس أن يثبت للآلهة والبشر مكانته وحب زيوس له.

كيف يكون ذلك.

سأعد وليمة كبيرة على الأرض تنزل إليها وجميع الآلهة والأرباب ولن تكون فى معبدك ولكن فى قصرى المتواضع وبين شعبى لتزيد منزلتى عندهم ويعرفون قدرى عندك.

ليكن لك ذلك!

ذاع تاتنالوس الخبر وبشرهم بمشاركة زيوس وجميع الآلهة جموع الشعب وليمة الحب والوفاء والإخلاص.

سعد الشعب وشعروا بالفخر والإعزاز وزاد إجلالهم لملكهم الذى تمكن من إنزال رب الأرباب والآلهة ليحتفوا بهم.

لبست المدينه جلتها وعلت زينتها ومدت موائدها بطول البلاد وعرضها، نزل زيوس فى موكب الآلهة فى مشهد مهيب وظهرت على وجهه علامة الزهو والفخر وهو يتأبط ابنه نازلا من عليانه وحولهما الآلهة والأرباب.

أشرف تاتنالوس على إعداد الطعام قبل أن يعرج إلى السماء لمدعوه زيوس وبدأت الصحاف تتناولها الأيدى وصنوف الطعام تلون الموائد ورائحة الشواء تعبق المكان والأباريق موزعة على الموائد والأقداح تتزاحم وسمع عواء المعدة ومدت الأيدى لتناول مشاهى الطعام وتشرب عصائر الفاكهة وسط مظاهر البذخ البادية على الموائد.

زيادة فى الكرم أصر تاتنالوس على أن يقدم الطعام بنفسه لضيوفه الكرام وضع الصحاف أمامهم وقطع شرائح الشواء ووزعها، وفى أدب جم طلب منهم تناول الطعام.

ما كادت شريحة اللحم تصل إلى الأفواه حتى ألقى كل إله وربه بقطعه الشواء على الأرض وبدى عليهم الغضب والاشمئزاز ونظر كل منهما إلى الآخر ونظر الجميع إلى زيوس الذى هب غاضباً.

ساد الوجوم الجميع وارتعدت فرائص تاتنالوس الذى قال عفواً سيدى ما أحسبك ستغضب هكذا.. لقد قدمت لكما لحم ابنى بلوبس قرباناً لكما وقد فعلته سراً وما كنت أعرف بأنك والآلة ستكتشوف هذا.

زمجـر زيوس ونفرت الآلهة وسط هرج ومرج البـشر غادر زيوس والآلهة القـاعة مسرعـين إلى قمة الأولمبوس وقد أدرك زيوس حـقيقة أفعـال ابنه المدلل وصمم على الانتقام منه وليـكن انتقاماً شديداً من ذلك الأبن العـاق والأب القاسى والذى لم يرع حرمة الدماء الذكية.

مهما تعددت نوايا تاتنالوس فلم يكن هناك مبرر ليقتل الأب ابنه قرباناً لأبيه، فمن قائل بأنه أراد أن يـكرم ضيوفـه أعظم كرم ومن قـال بأنه يريد أن يعرف قـدرة الآلهة على التفـريق بين لحوم البـشر ولحوم الماشـية، ومنهم من قـال إنه أراد أن يوصم أبيه ومجتمع الآلهة وأن ينعتهم بآكل لحوم البشر فيحول هيبتهم ويحط من قدرهم.

جلس زيوس يتدبر الأمر ويفـند هذه الأقوال ولكنها فى جميع الأحـوال جريمة لا تغتفر وذنب لا يمحى ولابد من العقاب. . كيف وقد طعم الأمبروسيا وشرب النكتار وصار خالداً لا يمكن لإله الموت أن يذيقه الفناء ويطيح به إلى العالم السفلى.

احتـشدت الآلهة والأرباب فى مـعبد زيوس فوق قـمة الأولمبوس كل منهم يتـقدم بشكوى ضد هذا الابن العـاق تاتنالوس الذى غفل عنه زيوس ووثق به ولم يظن فـيه السوء.

فتعددت جرائمه أمام زيوس من نهب إلى سلب إلى سرقة فتبين لزيوس مدى حقد ابنه عليـه وعلى الآلهة والأرباب وعندمـا علم أنه قد سـرق تمثالاً من الذهب كـانت وضعـته أم زيوس فى مـهده لحـمايته زاد غـضبـه عليه لتـجرئه على مـعابد زيوس وسرقتها.

لماذا يفعـل كل هذا وقد وهبتـه الصحـة والخلود والجاه والسلطان والمال والمـمالك وجعلته من أقرب المقربين إلى ورفعت مكانته فى الأرض والسماء. . إذا مات سيكون فى ذلك راحة له. . لابد أن يذوق كل صنوف العذاب.

بدأ زيوس عقابه بأن هدم مملكته وشرد شعـبه ونحل جسده فأزال عنه الجاه والمجد والقوة والسلطان وصار فى البنانيوبين الجبـال ذليل لا ماء ولا طعام فنزل زيوس بنفسه

وأزهق روحه جائعاً عطشا والقى به فى العالم السفلى وأوصى هاديس أن يذيقه من العذاب ألوان شرابه من الصديد وطعامه من الجيفة المتنة وظل على هذا الحال ردحاً من الزمان كل يوم يذكره هاديس بما فعل ويذيقه العذاب.

باطن الأرض يرجف دائما من هول المرازب التى تهوى بها زبانيه الجحيم على رأس المعذبين ولكن هذه رجفة أرعبت زبانية الجحيم إنه زيوس نزل بنفسه إلى العالم السفلى ليعيد محاكمة تاتنالوس.

مثل تاتنالوس أمام رب الأرباب يلملم أشلاءه المبعثرة.

لقد وهبتك كل ما يتمناه البشر مجتمعين وجعلتك قرة عينى وحافظت عليك وأوليتك رعايتى منذ أن كنت فى المهد وصرت صبيا ثم رجلا ولكنك خنت الأمانة فسرقت ما قد وهب لك ونهبت ما هو ليس لك وأزهقت روحاً بغير حق وروعت الآلهة.

فحقت عليك اللعنة أبد الآبدين وستقاسى ثلاث أنواع من العذاب .. العطش الأبدى والجوع الأبدى والخوف الأبدى.

وعلى الفور وجدنا تاتنالوس نفسه وسط بركة من الماء، وصب لجدول صغير تعلو فيها الماء من أخمص قدميه رويداً رويداً حتى تصل إلى ذقنه، فإذا مال لينهل قسطاً من الماء يروى بها ظمأه الذى اشتد عليه، أنحصر الماء وهبط إلى أسفل قدميه فلا ينال منه شئ.

تحيط بالبركة بساتين وأشجار تين تقطر عسلاً وعرائش كروم تصب خمراً وعجائب من أشجار الفاكهة برائحتها الذكية تميل على البركة وتكاد تلامس أكتاف تاتنالوس وهو يتضور جوعاً ولا يمكنه أن يتناول منها شيئاً يسكت به ذئاب الجوع التى تنهش أحشاءه.

وكانت هناك قلة عالية فى مرمى بصر تاتنالوس شديدة الانحدار وعلى قمتها صخرة ضخمة تتأرجح كلما وقف عليها طير وتتحرك نحوه فتكاد تساويه بالأرض

فتهب رياح تعصف به وتعيد الصخرة إلى موضعها فيكاد الخوف يخلع قلبه ويشل إحساسه.

هكذا قدر زيوس أن يكون عقاب تاتنالوس . . يغمر الماء جسده ولكنه لا يمكنه أن يروى ظمأه وتحوم حوله الثمار ولا يتمكن من أن يتذوقها وتتأرجح فوق رأسه صخرة عظيمة تهوى نحوة بشدة فيصيبه الفزع والرعب ولكنها لا تصيبه. فأصبح فى عذاب مقيم من الجوع والظمأ والرعب.

* * * *

أنتشرت قصة تاتنالوس في العصور القديمة وأصبحت رمزاً للعقيدة اليونانية فى توارث اللعنة وأن عقاب الآلهة الأبدى يلاحق المجرم وأبناءه وينزل العقاب بأحفاده وأحفاد أحفاده.

وهذه القصة قد ترمز لطموح الإنسان الغير محدود مهما وصل الإنسان إلى مجد وسلطان وجاه وملك من المال ما لا يمكنه بأى حال من الأحوال إنفاقه وإن طال الزمان وامتد مئات السنين ولكننا نجده يستغل نفوذه وسلطانه وتسخير العباد فى جمع ما لا يحتاجه وكنز ما توفر له وقد يزداد بخلاً وشحاً حتى على نفسه وذويه.

وقد نجد إنساناً قد جنح به الفكر وذهب به الأمل إلى أن يرتقى مراتب الإنسانية ويطمع فى أن ينازع الأمر أهله.

وقد ترمز الأسطورة إلى أن الطمع والكبرياء والغرور داء قد يصيب الإنسان فيكون للمال والسلطان والجاه شره لا يرويه ولا يكفيه شئ فيظل داء أبدى لا يشفى منه حتى يوارى الثرى ويترك ماله نقمة على ورثته يعانوا لعنته الأبدية فيطاردهم الخوف والفزع والظمأ والجوع وقد طمست قلوبهم وعقولهم وعميت بصائرهم عن أن لقيمات تقيم أود الإنسان مع جرعة ماء تروى الظمأ والإحساس بالأمن والطمأنينة تجعل الإنسان ينعم برغد ما كسبت يداه ويغنيه الرضا بالقليل مع الأمان فينام قرير العين صحيح البدن صافى الذهن قوى الإيمان والعقيدة.

هرقل
أسطوره من المهد إلى اللحد

تعتبر أسطورةهرقل من ولادته كنصف إله وتربيته وشبابه ومجازفاته وأعماله إلى وفاته وتأليهه من أعمدة وأركان الأسطوره الأغريقيه والتى من خلالها يتضح النظام الإلهى فوق قمة الأولمب والنظام الاجتماعى على الأرض، وهى أسطوره ذات تأثير مباشر على الفكر الغربى وتناقلتها مصادر مختلفة بروايات وأسماء مختلفة كغيرها من النصوص ولكنها تتميز بكثرة التنقل والصراعات القوية بين الخيروالشر.

هــرقــل
أسطورة من المهد إلى اللحد

عالم الزهور ملئ بأنواع الورود والرياحين ولكل زهرة لونها ورحيقها وكلها جذابة تعشقها الأبصار وتفتن بها القلوب وتأسر الجوارح.

هكذا كانت النساء عند زيوس، لم يوقف قلبه على حيرا، ولم تتمكن هى من أن توقف غزواته وتهجـد نزواته وتشبع رغباته فصـار يقطف من كل بستان زهرة، فكان فؤاده يهتز لخصـر نحيل ويسبيه سحرالعيون ويلهـبه القد المياس الناهد الناعم ويطيش عـقله إذا عصت عـليه امـرأه ولا يعـينه من هى إذا ما كـانت من الآلهـة أو الربات أوالعرائس أو لـو كانت من البشـر الفانين . . ومع ذلك كـان يحسب لحـيرا زوجـته غيرتها عليه.

تعلق زيوس بالفـاتنه «ألكمين» إحـدى أميـرات مملكة هيلاس من البـشر الفـانين ولجمالهـا وفتنتها كـانت له المحظية المفضلة وأولاها رعايتـه وحذر نقمة حـيرا وشرها فاعتزل بها جزيرة نائية ينعما فيها بأوقات السعادة والحب بعيداً عن جواسيس حيرا.

ظلا هكذا حتى أنجبت ألكمـين طفلا وهبه زيوس قوة لم يهبهـا لإنـسان قبله حتى يتمكن من حماية نفسـه وحماية أمه.

شعرت حـيرا بتغيـر سلوك زيوس وكثرة غيـابه عن عالم الأولومبس فدبت فـيها جذور الشك ولم يقلعهـا إلى الخبر اليقين عندما علمت أن لزيوس ولـيفة فى الجزيرة النائيه وقد أنجبت من وليفته طفلا صغيراً ، بهى الطلعة شديد القوة هوقرة عينهما.

ففكرت حيرا واستقر رأيها على أن تلكم الأم فى وليدها وتؤنب زيوس فى وليده، وتحيل سعادة الأم إلى كابوس وفرحة الأب إلى غم ونكد.

على الفور أمرت اثنين من زبانيـة الشر أن يتحولا إلى حيتـين راقطتين وتندسا فى مهـد الطفل وينفثا فيـه السم القاتل ويعودا إليـها بأثر منه أقدمه إلى زيوس زوجـها العزيز.

تمكنا رسولا الشر من الوصول إلى مـهد الصبى وكمنا حتى واتتهم الفرصـة فسعيا لينهشا جسد الطفل فى مهده ويحولاه إلى جثة هامدة.

رفعا الأفعوان رأسيهما وعلا فحـيحهما وكشر عن أنياب مملوءة بالسم الزعاف وما كاد أن ينفثا سمهما حتى فتح الرضيع عينيه وقبض بأصبعيه على رأسيهما فجعل السم يسيل فى لعابهما ويعـود إلى أجسامهما، وقد ملك رأسيهمـا بين أنامله الصغيرة وأخذ يحركان أذيالهـما ويحاولان التخلص من قبـضته ويصارعان الموت ولكنه لم يتركـهما إلى جثتـين هامدتين أحد لما جلبه لوقـوعهم على الأرض فحضر خـدم القصر والأم يهرعون نحو مهد الصبى فهالهمـا ما رأوا من ضخامة الأفعوين وصعقهم رؤية الطفل وهو مازال ممسكا برأسيهما وهو سعيد فـرحاً عندما رأى أمه تركها صريع قوته الخارقة وقلبه الجسور.

أقبلت الأم مـنكبة على طفلهـا مذعورة وقـد انفطر قلبـها وعندما أطمـأنت على سلامته بادلته الابتسامة وضمته إلى صدرها.

طال انتظار حيرا لرســولى الشر فأرسلت من يستطلع الأمـر وأذهلها ما أتى به من أخبر وعلمت مدى قـوته وأن القضاء عليه لن يكون سهلاً ولكنها كـانت قد صممت على القضاء عليه أو أن تعوق حياته وتحولها إلى جحيم لتنكل بأمه وتشفى غليلها من زيوس.

علم زيوس بما حدث لطفله العزيز فوفر له الحمـاية الآلهية حتى شب وأصبح فتى يافع شديد القوة، قوى البنيان فعهد به إلى زعيم السنتور، وهو مخلوق خرافى نصفه الأعلى رجل ونصفه الأسفل جسم حصان.

عمل السنتور على أن يكون هرقل أعظم الفرسان فأضاف إلى قوته بأن علمه فنون الحرب والخداع واستخدام السيف والرمح وعلمه جـميع مهارات القتال والنزال، فبرع ونبغ بسرعة أثارت إعجاب السنتور ذاته حتى أنه جعله يصارع دواب الأرض ووحوش

الغابـة فحشـيه السـباع وتجنبـته الضـوارى بعد أن رأت منه قـوة بطشه وثبـات جنانه وشكيمته التى لا يقهرها خوف ولا ينفيها هوان.

وكانت حيـرا تتابع مسيـرة حياة هذا المارد الصنديد القوى العنيـد، وكلما زاد قوة وعنفوان زادت هى غلها وحقداً وطغيان ولم تطق على ذلك صبراً فذهبت إلى زيوس وقالت له إن لم تجعل لى عـلى ذلك الفتى سلطان فسوف أبعث من يقـتل أمه فينظر قلبه وأشق صدره وأعمى عينه وأسلب قوته.

حنانيك ياحيرا فأنت تعـرفى منزلته عندى لك منزلتك فليكن لك ما تريدى ولكن ليكن هرقل خادماً لابن عمه يوريذوس أمير أرجوس ذلك النذل الخسيس لبضع سنين عسى أن يطيب هذا خاطرك ويخمد حقدك ويذهب غلك.

ابتسمت حيرا ابتسـامة تنم عن سعادتها ، فقد كانت تعرف يوريذوس جيداً وتعرف أنه يتحدعلى هرقل ولن يتركه يهنئ بيوم تطلع عليه شمس ولا ينام فى ليل بهيم.

أنفذ زيوس قدره إلى الستور بأن يطلق هرقل يكابد مصاعب الحياة يلاقى شرورها ويوغل فى ظلامها ويتقلب بين الخير والشر لنرى كيف يكون تصرفه وإلى أين ستقوده نزعاته.

ودع الستور هرقل، قد حـذره من الظلم وحثه على استخدام قـوته لإحقاق الحق وإقامة العدل والدفاع عن المظلوم.

انطلق هرقل محـاولاً عدم التفكيـر فى قسوة الوداع صـاعداً جبل شـاهيق وعندما وصل إلى قمته وجد عند السفح طريقاً مـعروشاً بأغصان السنديان المحاذين لنهر تحت قدميه فنزل يتبع مجرى النهر وجلس على أول الطريق لينال قسطاً من الراحة، يغترف من الغدير ويقتات من الثمار فأخذته سنة من النوم.

أفاق هرقل على صوت فـتاتين يتنفسان فى الوصل إلـيه ويتغزلان فى فتـوة جسده ومظاهر القـوة البادية عليـه من مفتـول العضـلات وممشوق القـوام وصحيح الـبنيان ولكنهما ظلا بعيداً عن مرقده ولم يقتربا منه.

اعتدل هرقـل فى جلسته ونظر إليهـما، فتاتان فى ريعـان الصبا والجمال ولكـنهما مختلفـتا الهيئة فإحداهمـا تعلو وجهها حمره الخـجل وتتوجها بحشمـه الملبس وعفه اللسان والأخرى تلبس مـا يشف عن جسدها الفاتن وتكشف سـاقيها العاجيـتين وقد قفزت من عينيها الرغبة الجامحة والشهوة الناضحة وتلك هى التى اختالت فى مشيتها واقتربت منه يـسبقها عبقهـا الساحر ونظراتها الناعمة، جلست أمامه ويداها المرمرية قد افترشت ساقية وبصوت يسلب العقل رحبت به.

انتفض هرقل من مكانه قد سرت فى جسده رعـدة لم يعدها فى مواجهه الوحوش الضارية، وابتعد عنهما يأخذ سبيله إلى داخل الغابة.

استوقـفتاه الفتاتان وتشبـستا به كلا فى ذراع. .وقال: قـبل أن تنفذ إلى هذه الغابة وقبل أن تسلك سبل الحـياة فيها لابد أن تتخـير أحدنا رفيقاً لك ومـرشداً فى دروبها المتشعـبة أنا كاكيا زينة الأرض ونهرالحب والجـمال، بيدى مباهج الحيـاة، على شفتى خمرتها وبين أحضانى جنتـها، أضع جسدى وقلبى طوع بنانك أتبعنى أفرش طريقك بالورود والرياحين وأملأ خزانتك بالذهب، أطعمك الشهد وأسقيك الزلال، أقيك برد الشتـاء وحر الصيف . هلم وعى تحيـا فى دنيا العشـاق فسمع الجان الهـوى وتلهينا الجوى مالنا وشقاء العـباد وسهد البعاد، إن الدنيا أمامك فاغـترف منها الهنا والسرور مالنا الجد فيـها والكد عليها، لقد خلقت لنا فلما لا ننعم برغـد العيش وراحة البال، أنها فرصتك الوحيدة فلا تتركها منك تضيع فيكون الندم حيث لا ينفع الدمع حين لا يشفع.

أشاع هرقل بوجهه عنهـا فقد رأى فيها خبث ودهاء ورغبـة وشقاء لا رادع لها ولا جـاء ونظر إلى الطرف الآخـر ذلك الوجه الـبديع والنظرة الحـانيـة والجـبين المشـرق والصوت الرخيم.

وأنت يافتاة مـا أراك تنطقين إلا لماماً وقد حـبست عيناك عبره تكـاد تكفيك القول وتغنيك الكلام أنا أريتيه الفضيلة وشاحى والعفة تاجي والخير طريقى والعدل سبيلى،

أسعى لحماية البشر من غواية فـاكيا وإليك أقول كن حذراً منها فهى توشك أن ترديك وتزين لك طرق الغواية والضلالة.

قالت كاكيـا اتركيه فلن يعيش إلا مرة واحدة وما سلك مـعك أحد طريق الفضيلة إلا وأدميت قـدميـه وشغلت تفكيـره وأهلكت بدنه وتصيب منه العـرق سيقـى عينه ومازال يخرج من نكبة حتى يجد نفسه فى نكبه أكبر منها.

تعال حبيبى فهذه الفتاة رمز البؤس والشقاء والكبد والعناء وملاقاة الصعاب.

مازال هرقل ينظ إلى أرينيه ينتظر منها أن تتكلم بعد أن كادت كاكيا تستميله وتؤثر عليه.

رفعت أريتـيه رأسـها وراحت يدها تكفكف عـبرات سـالت على خديهـا وقال: عزيزى هرقل . . لا أملك من الدنيا زينتها ولا من الجسد مفاتنه ولا لحظه العيون ولا بساتين وحـدائق ولا أيكة ولا عريشة. . ولكنـى أعرف بأن تلك المباهج ليـست كلها الحيـاه، لقد وهبتك الآلهـة قوة خارقة وعـقلا راجحـاً وشجاعة نادرة لغـرض سامى لصالح البـشر وليست لتـسحق تحت أقدام الغـوانى والعاهرات لقد أعطيت من الخـير الكثير والعظيم لتعم فائدتها البشر، تعين المحتاج وتنصر المظلوم.

القوة الغاشمة قد أعطيت لفحـول التيران وضوارى الحيوان وقد أعطيت لك الأمور الجسـام لا يقوى علـيها إلا أنت. . نـعم فقد لا تجـد فى طريقى إلا مـصاعب الحـياة ووعورة الطريق وستلقى على دربى الأهوال التى لهـا خلقت وعليها جبلت ولكن فى نهاية كل طريق وبعـد أن تظفر على البـشر فإنك ستنعـم فى جنة من الرضى وقزوان باكاليل الغار ويرفعك الناس إلى مراتب الآلهة، أما طريق الشر الغواية التى تزينه لك تلك الغانيـة المتفحـشة فى نهاية السـقم والمرض ونغوص بقدمـيك فى أوحال الرذيلة وتحولك من إله عظيم قوى سامى الخلق إلـى عبد لغرائزك وأهوائك وترديك فى هوة سحيقة لا تقوم فيها لك قائمة.

ثم عادت أريتيا إلى صمـتها وراحت كاكيا تتدلل وتتغندر وتبرز من مـفاتنها الكثير فى محاولة منها إغواء هرقل على أن يتيه بها ويتبعها.

نظر هرقل إلى كاكيا شذراً ونزع يده من بين يديها ثم أشاح بوجهه عنها وتقدم نحو أريتيا وأمسك بيديها وطبع عليهما قبله تنم عن الإعزاز والإكبار والاحترام والتبجيل ، ثم قال لها. .أيتها الأخت الكريمة طريق الخير شوكة وورد وأحراشه جنن ونظرات الامتنان من الضعيف عندما ينال حقه وابتسامة المظلوم عند نصرته تشفى القلوب وساعده البائسة والملكومة تريح النفس وانقاذ طفل أحب إلى من ألف ألف كاكيا. هلمى إلى دروب الخير نسلك سبل السلام والوئام فإن شقاءهما متعة وعواقبهما نعمة.

وتركا كاكيا تلملم أثوابها وتغطى جسدها. . وقد تملكها الغيظ والحنق واختفيا فى ظلمات الغابة يقاتل الضوارى ويصارع الغيلان.

انطلق هرقل وقد وهب نفسه وسخر قوته لإغاثة الملهوف ويضره المظلوم فجاب البلاد وأحبه العباد بعد أن رفع راية العدل خفاقة وحارب الرذيلة وانتصر إلى الفضيلة التى صارت تتبع عقبه لا تفارقه.

وصل هرقل إلى طيبه (اليونانية) فأحبه ملكها كسريون وزوجه من ابنته الجميلة يجادا التى أحبته حباً عظيماً وصار نديم الملك ووزيره وصار يغب من متاع الدنيا غبا استقر به المقام فى هذه المملكة.

أين البؤس والشقاء والغلظة والقسوة فى حياة هرقل، مالى أراه وقد تنعم بالملك والزوجة والحياة الرغدة. . هكذا صاحت حيرا وسط مملكة الأولمبوس. . لابد أن أسلبه رشده، وأذهب عقله وأكسر فؤداه وأذيقه مر الحياه وشقاءها. . لأجدن له الوسيلة التى تصيبه يأساً ونصبا ولأحيل حياته الناعمة إلى جحيم.

بينما كان هرقل نائما وقد وضع يديه على كتفى زوجته ميجارا بعد ليلة سعيدة قضياها ينهلان من نعيم الحب وجميل المؤانسة وهمس العاشقين. . جاءت حيرآ واندست فى دفء الفراش الوثير فأبعدت الزوج عن زوجته وراحت توسوس لهرقل بوساوس الشياطين وهو النائم المطمئن فسحرت عقله وتحول جميل الحلم إلى كابوس

فظيع . . فقد رأى زوجتـه فى أحضان رجل آخر يتمرغان على العـشب ويسبحان فى ماء الغدير والقبلات الملتهبة وقد امتزجت الأجساد والتحمت الأبدان

تغيـر وجه هرقل وهو نائم وبدأ الدم ينضح من كل فـتحة فى جـسده حتى عـينيه وفاض الدم على ثيابه وفرشه حتى وصل إلى جسد ميجارا فقامت من نومها مزعورة.

نهض هرقل وقدسحرته وساوس حيرا . . اقتربت منه زوجته فرأت فى وجهه غدراً لم تره من قبل . . حـاولت الفرار فـأسرع هرقل وأطبق بيديه القـويتين على عنقـها وهويصـرخ فيهـا يافاجـرة لقد مـرغت شرفى فى الوحل وعـرفت خيـانتك وأنا لك المخلص الوفى.

لم تتمكن ميجارا من التخلص من هاتين القـبضتين وظلت تتوسل إليه ولكنه بدى وقـد صمم أذنه ومـات قلبه وغـشـيت بصيـرته وعمى بصـره وقـد علقت بين يديه كعصفور يترنح بعد أن كسر عنقه.

انتفض هرقل وهو يـرى عينى زوجتـه وحبيـبته جـاحظة وغاب عن وجهـها الدم وبطلت ذراعيها وأرجلها المعلقه بين يديه عن الحركه وبسط أصابعه فهوت ميجارا على الأرض جثه هامدة.

جثى هرقل على ركبتـيه يحرك الجسد الساجى أمامه بجثـه على أن يعود إلى الحياة ثم نظرإلى السماء يدعو زيوس أن يسلب قوته ويشل يداه ويعمى بصره فقط ليعيد إليه زوجـته حـمت الشمس وعـصـفت السمـاء وهاجت الرياح وهطلت الأمطار بغـزارة وسالت المـياه أنهاراً وهبـط الإله هرمس رسول الآلهـة . . قائلا. هذا قـضاء زيوس عليك والتى أوغـرت به خـيراً وهويـعزيك فى زوجـتك ويطلب منك الـصبـر على نواكبك. . همدت ثورة هرقل وراح فـى غيبوبة ولم يفق منها إلا على صـوت اريتيه ربة الفـضيلة وهى تربت على وجـهه. . صـدرت منه آهة ارتجت لها أشـجار الغـابة وكادت أن تميد الأرض وفـزعت الوحوش وألقى برأسه على كتفى أريتـيه التى أخذت

تواسيه فقالت.. هذا أول مصاب حقيقى تلاقيه وقد يكون هذا اختبار لك من زيوس العظيم.. وقد تواجه أختباراً آخر.

ماذا عندك ياربة الفضيلة ليس هناك اختبار أصعب من فقد حبيب هو لك الداء والدواء وهو النور والضياء لقد سلبتنى أعز ما أملك وجعلنى أقتلها بيدى.. علنى مت قبل هذا العمل الفظيع.

ياأخى.. مازال العر أمامك وهناك من هى أجمل ومنها وأحن.. فقط عليك أن تملك نفسك وتكظم غيظك وتملك أمامك وتستعد لما هو آت.

وما هو .. بحق زيوس.

لقد سمعت حيرا وقد أوعزت إلى زيوس بأنها مستعدة لأن ترفع يدها عنك على أن تكون خادماً لابن عمك يوريدوس عام كامل، وكانت تريد أن يكون ذلك عدة عشر سنين لولا أن هب زيوس فى وجهها وأصدر قضاءه بأن تكون المدة لعام واحد فقط.

عام واحد أو عشر أو عشرين ماعادت الدنيا عندى تساوى خصلة شعر من ميجارا التى قتلتها وهى فى ريعان الشباب وبيدى أزهقت روحها الطاهره من توبة جنون.. ما أظلم الآلهة التى تجور فى حكمها وتظلم عبيدها وتحملهم مالا طاقة لهم به.

عليك بالصبر فبعد عام واحد تسترد حريتك وتعود إليك حياتك وقديكون زيوس يدخر لك ما هو أفضل وأحسن.. عليك بالأمل فهو نافذتك المطلة على الحياة وقد يهبك الخلود مع رغد الحياة، ومازالت به حتى أقنعته بأن يذهب إلى يوريذوس .

وصل هرقل إلى مملكة يوريدوس مهيض الجناح كسير الفؤاد ذليل النفس تثقل كاهله تلك الأقدار التى قدرها عليه زيوس.

قال يوريذوس عندما مثل هرقل أمامه: لقد طال انتظارى لهذه اللحظة ولكنى كنت متأكداً بأنك لن تعصى لزيوس أمراً ولن تترك حيرا دون أن توقع بك مصاباً وأحزاناً،

أمامك أمورجثـام ونواكب عضال أرجو أن تكون قد أعددت نفسك لإنجاز المهام التى ستـوكل لك ولن تكون لديك فرصة لتـذرف الدموع على ميجـارا التى قتلتهـا بيدك الآثمة.

قال هرقل: مالك ولدمـوعى وعذاباتى.. لك عندى حاجه أقضـيها إليك وعندى موعد أقضيه فى خدمتك فاذكر حاجتك ولا تطيل الحديث.

نزل يوريذوس عن عرشه وأخذ يدور حول هرقل الثابت فى مكانه ..ثم وقف فى مواجهته قائلاً: لن أطيل عليك الحديث فـإن ما أعدته لك لن يدعك تتفوه بنبس شفة وما أظنك قادراً عليه.

عليك أن تكلفنى فـقط فلوطلبت لأطـبقت السـماء وعـلى الأرض فقـد أتخلص منك.

لن أطلب منك أن تهدم السماء .. فقط أريد رأس السباع السبع.

أى سباع هذه التى ستعصى على.. ولو كانوا سبعين أو سبعمائة.

أنها سباع فيميا التى تحكم الغابة وتمزق من يدخلها وهى ذات كنوز وذخائر.

إن أتيتك برأسها .. هل تطلق سراحى وأكون حراً.

ضحك يوريذوس سخريةً.. حراً.

أمامك أثنا عشر مهمة هذه أول مهـمة وأيسرها فأطلب معونة الآلهة لتكون عونك من الآن.

طريق الأهوال

١ - سبع النيميا

الغابة كثـيفه الأشجار ملتفـة الأعضان متشابكة الأفـرع ، تعج بالوحوش الضارية والزاوحف السامـة والنسور القاتله ويحكمـها درغام أبو السـباع يتحكم فى مـداخلها ومخارجها.

لم يكن له من السباع سوى اسمه فقط، وإنما شكله فكان مصدر رعب لمن يراه كان فى حجم الفيل وسرعة النمر وخبث الثعلب ولبدته من الأشراك النارية، تقرع من عينيه الشرر وزئيره كالرعد، تخشاه الوحوش مهما كانت ضراوتها وحيلتها.

هم هرقل على دخول الغابة فالتقى ببعض من حذروه من دخولها فداخلها لابد مفقود ولم يخرج منها أحد من قبل.

لم يلتفت هرقل لما قاله الناس. . جحظت عيناه وانبسطت عضلاته وانتفخت ومر يده إلى حسامه ورفع كنانته ومسك قوسه ورمحه ودلف إلى الغابة بقلب جسور وهمة عالية وثقة كاملة فى أنه سينتصر على هذا الدرغام ولن يخرج من الغابة إلا ورأسه فوق فصلة.

اقترب هرقل من عرين أبى أسامة الذى كان يغض فى نومه وشخيره يرجف قلوبالوحوش والطيور التى تتبع خطوات هرقل لترى مصيره وتقتات من جثته التى ستتمزق قريباً.

وقف هرقل وقد واتته شجاعة نادة، وأخذ يصيح مناديا . . ياسيد وحوش الغابة. . لقدحان أجلك وأزفت ساعتك.

سمع الدرغام صوت هرقل وشم رائحته ففتح عينيه وزئر نار تعدت الغابة وارتجفت الأشجار وفزعت الطير.

قفز سبع النيميا وضار فى مواجهة هرقل الذى هاله حجمه وقوته ولكنه تماسك وأنطفئت عضلاته ومديره ليسحب سيفه فلم يجده فى الجسام نعرف أن حيرا تجرده من سلاحه لتثبط عزيمته وتوهمة قوته وقد نزعت قوسه وسهمه ورمحه وتركته مجرداً من كل سلاح أمام هذا الوحش الضارى وجهاً لوجه.

قفز الدرغام فوق هرقل تسبقه مخالبه التى نبشها فى جسد هرقل وطرحه أرضاً استدعى هرقل قوته الخارقة فرفعه وقذفه بعيداً ليرتطم بصخرة عظيمة وأسرع هرقل يثبت قدميه على الأرض وعاد السبع ليواجه هرقل.

أسرع الاثنان كل في اتجاه الآخر واصطدم صدمة عنيفة فطرحا أرضا،ثم عادا للمواجهة أشهر السبع أسلحته من إنياب ومخالب وهرقل مجرد من كل سلاح. قفز السبع ومخالبه متجهة إلى قلب هرقل، تحرك هرقل برشاقة فنشب السبع مخالبه فشقت الصخر.

التفت هرقل حوله يتلمس أى سلاح يواجه به هذا الوحش وأسرع نحو شجرة فكسر منها فرعاً قويا وقذف به فى اتجاه السبع الذى كان يهم بمعاودة القفز عليه فاستق الفرع القوى كالرمح فى كتف السبع فخارت قواه.

أسرع هرقل نحوالسبع قبل أن ينهض من جديد فأمسك بذيله وراح يدور به عدة دورات سريعة ثم قذف به ليرتطم بجزع شجرة عظيمة، وحاول أن يقوم من وقعته ولكنه ترنح وسقط على الأرض فأسرع إليه هرقل وخاف أن يلمس لبدته السامة فأمسك بفكيه وتمكن بقوته أن يفصلهما وتركه وهو جثة هامدة.

تبدل حال الغابة فظهرت الطيور تغرد والتفت الوحوش حول السبع تنهش جسده وكأنها وليمة عظيمة قدمها لهم البطل الجبار هرقل.

نظر هرقل حوله فوجد سيفه يبرق وبجانبه رمحه وسهامه وكنانته. . فتناول سيفه وعلق كنانته على كتفه وأمسك برمحه واتجه نحو السبع تراجعت الوحوش خشية بطش هرقل بهم بعد أن قتل ملكهم. . فسلخ لبدته وتدثر بها وترك جسده وليمة لوحوش الغابة وطيورها.

دخل هرقل قصر يوريذوس تتبعه حشود كثيرة من أفرادالشعب تبهرهم تلك اللبدة التى تدثر بها هرقل.

نزع هرقل عنه اللبدة ووضعها عند قدمى يوريذوس وسط نظرات الإعجاب والدهشة وتمالك يوريذوس نفسه قال ساخراً :لولا مشاغل الملك وهموم الحكم لكنت قضيت عليه منذ زمن.

٢ - هيدرا الأفعوان الهائل.

لم تمر أيام قليلة حتى مثل هرقل أمام يوريذوس وسط مـجلسه الحاشد وطلب من هرقل أن يذهب إلى الوادى المخفض ويقضى على الأفـعوان الأرقم هيدرا التى تعيش فى المستنقعات العميقة ويأتى برأسها.

خرج هرقل من القصر وهو لا يدرى ما هى تلك الأفعوان هيدرا وكيف سيواجهها فقابل صديقـه بولوس فعظم ما فعله مع سبع نيميا وحـذره من الأفعوان الأرقم هيدرا الذى لا يبقى عـلى دابة وبهيمـة إلا التهـمها. . وأن يتـجنب الرؤوس السبع وسـمه الزاعف.

اتجه هرقل نحـو المستنقعات وولفـبين الأشجار يتلـمس مكمنه وظل يجوب المكان دون أن يجد له أثراً.

انسحبت آخر خيوط الشمس ليـخيم الظلام الدامس وتصعب معه الرؤيا. . ما زال هرقل يخوض فى مياه المسـتنقعات الممتدة دون ملل أو كلل وفجأه تميـد الأرض قدميه وتضطرب المياه ويقفز هرقل فى الهواء ليهبط فيجد نفسه فى جزء من المستنقع وقد زاد إضرابه ورأسـه تبرز من الماء لم يتـبينها هل هى رأس أفـعى عمـلاقة أم تنين وبرزت الرأس الثانية فالثالثة حتى صاروا سبعة رؤوس تمايل وتتموج وتتشابك أعناقها الطويلة وتذفك ولسان أحمر متوهج كالهب يخرج من فم مصاحباً رياح السموم وفحيح يصم الأذن وأنياب بارزة تصطك فإنما جبال ترتطم فتحدث دويا هائلا.

رفع هرقل هامته ونظر فوجد سبع رؤوس تتهـافت عليه . . فأمسك برمحه وقذفه فاخـترق أحد الرؤوس ومـالبثت أن انشقت فـخرجت رأس من بين الشطرين فـاستل سهم من كنانته ووجه إلى الـعين الوحيده التى تتوسط الرأس فحيـجها . . ثم أخرج سيفـه وبضربة قوية وضعها عن الجـسد فطارت بعيداً فمـا هى إلالحظات ووجد سبع رؤوس تبرز مكانها وصار يضرب بسيفه وكلما فصل رأس برزت سبع.

وقبل أن يدب اليأس فى نفسه نظر حوله فوجد أحد الرؤوس المفصولة يسيل منها السم المكتنف من مخالبها فغمس جميع السهام التى فى كنانته وأخذ يوجهها إلى الرؤوس التى تحوم حوله فيصيبها فى مقتل وتغيب عن الوعى. وأسرع وأشعل ناراً عظيمة وأخذ يفصل الرأس الأفعوانية ويكويها بجزع شجرة مشتعل فلا تنبت غيرها حتى تمكن من القضاء على هذا الأرقط العجيب هيدرا وحمل أحد رؤوسها على رمحه وعاد بها لى يوريذوس.

كاد يوريذوس يموت كمداً وهو يرى انتصارات هرقل الذى وقف وسط الحشد الملكى يروى كيف تم القضاء على هيدرا والناس تنظر إلى الرأس وترتعد فرائصها.

٣ - ظبى سيرينيا:

لا تجعل شوه النصر على هيدرا تسكرك أمامك مهمة شاقة ولنرى ستنتصر وتتمكن من القضاء على ظبى سيرينيا . هكذا حاول يوريذوس أن يقلل من نصر هرقل ويذهب عنه فى حقه ويثبط من عزيمته.

أنا له مهما كانت قوته ولما قضيت على سبع نيميا والأفعوان هيدرا فسأتمكن من ظبى سيرينيا هذا.

خرج هرقل من المدينة يسأل عن تلك البلدة سيرينيا ومازال يخترق الجبال ويقطع الوديان ويعبر البحور وطال به الترحال، وتحت شجرة باسقة جلس يستريح من عناء الطريق فوجد الفتاتين كياكيا وأريتيه قادمتين عليه.

قالت كياكيا. . لقد أخبرتك مالك وهذا العناء لقد وعدك برغد الحياة ومتعة الحب وها أنت قد جربت وذقت مرارة الحرمان وآلام الفراق ووقعت أسيراً مسخراً لرغبات يوريذوس وتحيطك لعنات حيرا.

صرخ هرقل صرخة أرعدتها وجعلتها تولى الأدبار. . ولكن أريتيه ظلت واقفة فى مكانها رابطة الجأش ثم أقبلت عليه توسيه وتطيب خاطره وتذكره بالأمل وأن يوم

الخلاص قادم لا محالة وبللت كفيها ومسحت عرقه الذى تصبب فأعادت إليه الطمأنينة وهيأت نفسه وسألها عن ظبى سرينيا فقالت:

خلف أكمة هذا الجبل ستجد هذه المدينة وهو ليس بظبى جبلى إنما وهبته الآلهة صفات لم نعرفها من قبل فى حيوان جبلى . . له قرنان من ذهب وأيطلان من نحاس وساقان من معدن صلد . . له خوار كالثور . . وكان الملوك إذا أرادوا أن يهلكوا بشرا أرسلوه يتعقب هذا الظبى فلا يعود من حيث راح وقد أراد يوريذوس ملك أرجوس أن يعجزك فأرسلك تقتفى أثر هذا الظبى الأعين فيرديك ويقتلك ولكنك ستنتصر ببركة الآلهة ولا تلتفت إلى ما قالته كياكيا وكما قلت لك يوم الخلاص ولكل مساء صباح آت.

استعاد هرقل زمام أمره واستجمع قوته وراح يقتفى أثر الظبى الذى كان يتنقل بين المراعى والغابة فى سرعة عجيبة وآثار حوافره المعدنية واضحة على صخور الجبال فلم يكن له مكمن ولا مأوى يستقر فيه.

على حافة الغدير لمح هرقل وميضا يبرق ويعكس ضوء الشمس وعرف فيه قرون ظبى سيرينيا صار هرقل يأخذ من جذع الشجر ساتراً هو يقترب من الظبى وهو يحاول ألا يصدر منه صوت.

صار الظبى فى مرمى سهام هرقل فنسل أحدهما وأوتره القوس فى لمح البصر أسرع الظبى اختفى عن الأنظار وكأنه رفل بجناحيه.

أسرع هرقل يتتبع أثر حوافره الواضحة على الأرض فوجد وكأن الظبى يدور حوله ويتتبعه وأصبح هرقل هو الفريسة وليس الصياد.

ظل هرقل يفكر كيف يصيد هذا الظبى المتوحش وهو لا يعرف من أين سيأتيه وبدء هرقل يأخذ حذره ويلوز بكهوف الجبال وشعابه وأعالى الأشجار ومازال الظبى يتتبعه وأخيراً وأعمل هرقل فكره فأخذ يحفر حفرة عميقة وجعل فيها أعواداً مسنونة من البوص والخشب المدبب وغطاها بفروع الأشجار وأوراقها واعتلى شجره وأخذ يترصد قدوم الظبى وطال انتظاره.

تذكر هرقل ما قـالته أريتيه من أن ظبى سـرينيا لايشفى غليله سـوى مناطحة أحد الوعول القوية ويصرعها.

تمكن هرقل من صيـد أحد الوعول وربط أحد ساقـيها فى أحد فـروع شجره إلى جانب الفخ الذى أعده.

أفلحت الخطة وإذا به ينظر ظبى سيـرينيا يضرب بحافـريه الأرض فيثيـر الغبار ثم انطلق سـريعاً نحـو الوعل ليرديه.. ولم يكـن يدرى أنه فى طريقه إلى الهـاوية التى سقط بها وصرعته السنون المدببة.

حمل هرقل جثـة ظبى سرينيا ودخل قصـر يوريذوس وهويختال وقد مـلأه الفخر وطارت به العزة.

٤ - خنزير أرمنيشيا:

لم يسـتقبلـه يوريذوس متـعللا بمرضه وأرسل إليـه رسولا يخـبره أن يتـوجه إلى أرميتشيا ويخلصها من ذلك الخنزير البرى الذى يخرب المراعى ويقطع القوافل طريقها وهو من القوة بحيث لا يمكن مواجهة ومجابهته وتخشاه الوحوش ويهابه البشر.

أيتها الأقدار ماذا فى جعـبتك وأخذ هرقل يستدعى ذكرياته وهو يطوى الأرض فى طريقه إلى أرميتشيا.

بعض راكب الخيل يسابقون الريح استقوفهم هرقل يسألهم سر تعجلهم فقالوا نحن نفـر من الموت وتخـشى خـنزير برى تمكن من أن ينشب أنيـابـه الحـادة فى اثنين من أصدقائنا ولـم تتمكن أن تخلصهما منه وصرعهما وقدأفلتنا من بطشه بأعجوبة ومعجزة ونراك ذاهباً إلى الطريق الذى هو قاطعه ونخشى عليك ملاقاته هو ومن معه.

من معه؟

لقد عقد حلفا مع السنتور على البشر وإيذاء البشر.

السنتور: إنها قبـيله شيرون معلمى العزيز.. ولكن بعضـها يتسم بالغدر وهى من

القوة والسرعة والرشاقة بحيث لا يمكنني مواجهتهم لابد من وسيلة القضاء على هذا الخنزير اللعين وأعوانه.

تذكر هرقل ما تبقى فى كنانته من سهام كان قد غسمها فى السم المسال من هيدرا فاختبر فرسه وشد وتره وتوجه إلى مكمن ذلك الخنزير البرى.

وكأن صخرة هوت من فوق جبل، نزل الخنزير على ظهر هرقل فطرحه أرضاً ثم تراجع إلى الخلف وأسرع نحو هرقل فجثم على صوره وأبرز أنيابه لينهش بها جسده قبض هرقل على عنقه وتمكن من إبعاده وقذف به بعيداً.. وعاد الاثنان للمواجهة وأصدر الخنزير خواراً هائلاً يستدعى به أعوانه من السناتير.. ثم قفز إلى أعلى مسدوداً حوافره إلى صدر هرقل فطرحه أرضاً مره ثانية وعاد ليعيد الكرة مره ثانية، فما كان من هرقل إلا أن أستل سيفه من غمدة بسرعة فائقه وسدده ليستقر فى صدر الخنزير لينفذ من ظهره.. وما كاد هرقل يبعده عنه إلا ووجد مجموعة من السناتير تهول فى اتجاهه وقد عزمت أن تفتك به فأمطرهم بوابل من السهام المسمومة التى صرعتهم.

كان شيرون فى أعقابهم يسرع الخطو بعد أن علم أنهم سيواجهون هرقل ليمنعهم من مواجهته إلا أنه دخل فى خضم المعركة فأصابه سهم قاتل توقفت السناتير على أثرها من مهاجمة هرقل والتفوا حول سيرون يبكون.

فزع هرقل وهويرى معلمه يترنح على الأرض وأسرع يقطف من أوراق النباتات وما قد يداوى صديقه ومعلمه، ولكن هيهات فلا ترياق يشفيه ولا نبات يداويه. ونزلت على وجه شيرون عبرة نفذت من عينى هرقل فتبسم شيرون ومال برأسه يودع تلميذه.

قام هرقل بإعداد حفرة عميقة وبمعاونة السناتير المتبقية دفن شيرون وسط دموع الندم والأسف.. وعادت السناتير إلى حبها وحمل هرقل رأس خنزير أرمنشيا وتوجه إلى قصر يوريذوس ولكن هذه المرة كان منكس الرأس دامع العين هذه المرة الثانية التى يقتل فيها أحد المقربين إلى نفسه وقلبه.

٥ - حظائر أو جياس:

قد يكون الصراع بين الأقوياء وركوب المخاطر يرضى غرور هرقل وتساعده فى ذلك قوته الخارقة ، فماذا لو كلفت هذا القوى نصف الإله بأحد الأعمال الدونية التى يقوم بها من هم أقل من الخدم سأرسله إلى ملك أوجياس ذلك الملك الذى يملك من الماشية والدواب مالا يحصيه العدد ولديه زرائب يعلو فيها روث البهائم هامات الرجال وهو تلال لا يمكن لأحد ازالته . . فليذهب هرقل وليشقى بإزالة هذا الروث وليشم خبيث الروائح . . هكذا تفتق ذهن يوريذوس فطلب من هرقل أن يذهب إلى الملك أوجباس ملك أليس ولينفذ ما يأمر به هناك دون أن يخبره بطبيعة المهمة وحمله رسالة إلى الملك قال فيها لقد أرسلت إليك من يقوم بالمهمة التى طلبت منى أن أرسل إليك ألف عبد لإنجازها ولا تأخذه به رحمة ولا شفقة.

دخل هرقل على الملك أليس فاستقبله اسقبال الملوك لهيئته شكله وعندما تسلم رسالة يوريذوس تعجب لما أتى فيها . . ورغم ذلك لم تتغير نظرة الملك أوجياس فأكرم وفادته وأمر فامتدت الموائد بأشهى الطعام والشراب ولكن لاحظ أن هرقل لم تمتد يده إلى الطعام فسأله عن السبب.

قال هرقل أشكرك ياسيدى على حسن استقبالك وكرم ضيافتك ولكنى أرسلت لأداء مهمة فى مملكتك أرجو أن تسرع وتخبرنى بها.

قال الملك . . ما سر استعجالك.

قال هرقل . . الحق أقول بأننى لا أطيق هذه الرائحة الكريهة التى تطغى على كل الروائح وأرى آثارها فى تلك الويدان والحشرات التى نحوم حولنا.

قال الملك . . لقد أنعمت علينا الآهة فزادت البركة فى الأغنام والماشية والبغال والأحصنه والخنازير حتى أننا لا نتمكن من دفع الروث من الحظائر فتراكمت وأصبحت تلالا وانتشرت الأوبئة والأمراض وأصبح فى كل بيت صريع أو مريض أو معتل ولا ندرى كيف نتصرف فى هذا الأمر العضال الذى يكاد يقضى على المدينة وأهلها.

طلب هرقل من الملك أن يريه موقع هذه الزرائب فهاله التلال المتراكمة والأقذار المتناثرة والروائح الكريهة ثم قال للملك إنك فى حاجة إلى جيش من العبيد ليزيل هذا الروث وإن إزالة إلى أين سيذهب به.. ونظر كل منهما إلى الآخر لايدرى ماذا يفعل.

نظر هرقل حوله فوجد شلال ماء ينحدر من أعلى الجبال ويجرى فى مجراه الطبيعى ليصب فى البحر الكبير .. فكر هرقل هذين ثم انفرجت أساريره وطلب من الملك معدات حفر وبعض نفر قليل .. فأسرع الملك ووفر لهرقل ما يريد.

أخذ هرقل أولئك النفر وصعد إلى أعالى النهر عند مصب الشلال.. ثم أخذ يكسر الصخور الصلبة ويزيحها والعمال يرفعون هذا الركام ويسدون مجرى النهر وفى غضون أيام قليلة تمكن هرقل من أن يحول مجرى النهر ليجرف مع تياره السريع تلال الروث والقاذورات ويقذف بها إلى مياه البحر الكبير وخلال ساعات كانت حظائر أوجياس صارت نظيفة.

فرح شعب المملكة وشكر الملك لهرقل صنيعه وأقيمت الولائم وقدم الملك لهرقل قطيعا كبيرا من الماشية هدية.

سأل هرقل الملك عن المهمة التى أرسل لإنجازها .. قال الملك تلك هى المهمة التى حاول بها يوريذوس أن يجرح كبرياءك ويحط من قدرك ولكنك بحسن نيه وجميل الطوية فعلتها وهامتك مرفوعة وقدرك محفوظ وكسبت حب هذا الشعب الذى أزلت عنه خطر الوباء وحفظته من المرض.

كلما حاولت إزالة وكسر قلبه وسحق قوته يزداد قوة وثقة وعزة نفس ماذا أفعل معه وصارت حيرا تصرخ وتولول لعدم تمكنها من إخضاع هذا الهرقل وإزلالة وتحطيم كبريائه.

٦ - عجل سينوس:

كانت الآلهة كثير ما تقيم علاقات مودة لمن يخلصون لها ويتقربون لمن يبذل جهداً

فى خدمه معابدهم، ومنهم نيتون إله البحار الذى أهدى مينوس ملك كرين عجلاً وهبته قوة خارقة وجسداً ضخماً وذلك ليقدمه قرباناً للآلهة فى عيدها الأكبر .

عجب العجل مينوس وراق له وقد كان على قوته وضخامته كالحمل الوديع.. وانتقى عجلا من حظيرته يقترب فى شكله من العجل الإلهى وقدمه قربان لنبتون فى عيد ميلاده.

عرف نبتون بحيلة مينوس فعظم غضبه عليه وصمم أن يكون هذا العجل لعنه يصيب بها ميوس وقومه فأصابه بمس من الجنون فتحول العجل إلى قوة غاشمة يصعب ترويضه والسيطرة فراح يرتع فى الحقول يدمر الزراعات ويقتل كل من يعترضه ويقترب منه فأرسل مينوس إلى قرينه من الخبث والاحتيال يوريذوس يطلب منه من يعينه فى وقف هذا العجل الهائج وترويضه أو قتله.

اغتنم يوريذوس الفرصة وأرسل هرقل ليقوم بهذه المهمة وعساه ألا يعود منها ويتمكن هذا العجل المجنون منه ويقضى عليه أو يصيبه أصابه تقعده وتجعله ذليلاً أويغرقه البحر وتلفه الأمواج فيستقر فى قاعه وترتاح حيرا ويزداد قدرى عندها.

ركب هرقل سفينة بالية بحارتها من العجائز وكبارالسن أبحروا مع هرقل بالأمر على غير رغبتهم لعدم قدرتهم على خوض عباب البحر والصمود أمام أهواله وكانوا يعلمون أنها رحلة الموت التى لن يعودوا منها سالمين وقد اعتمدوا على أن هرقل هو الذى سيقوم بالتجديف

توسطت السفينة العتيقة البحر الكبير وفجأه هبت عاصفة هوجاء كسرت الشراع ولم تتمكن السفينة من الصمود أمام تلك الأعاصير فذابت أخشابها وكأنها شرعة تعرضت لنار السعير وحاول هرقل إنقاذ البحارة من الغرق ولكن كانت الأمواج أسرع منه وأقوى وغاب الجميع فى لجة البحر العظيمة ولم يفق هرقل إلا وهو على شاطئ جزيرة وبحواره بقايا الشراع التى تمسك به وابتهل إلى الآلهة التى أنقذته من ذلك المصير الذى رأى فيه الموت بأم عينيه.

تجمعت حوله جماعة من الصيادين فقدموا له الطعام والماء ولبث عندهم عده أيام استعاد فيها حيويته وقوته وعرف منهم الطريق إلى مملكة مينوس.

اخترق هرقل غابة كثيفة الأشجار وعبر جسر يشرف على وادى فسيح فرأى بعض الخيول البرية تسرع نحو بعض الحقول والبساتين وخلفها عجل ضخم من الفيل وأرشق من الفهد وكلما لحق بفرس ضربه بحافره فيضرجه فى دمائه ويقع صريعاً، وظلت الخيول والأفراس تجرى وسط الحقول فنهش الأرض المزروعة وتهدم عروش الكروم وظل هذا الحال حتى تمكن هذا العجل المجنون من أن يصرع ستة بين فرس وخيل .. ثم وقف العجل ولم يظهر عليه أى أثر للإجهاد والتعب .. يدب فى الأرض فيتطاير الشرر ويثير الغبار.

اقترب هرقل من العجل فالتفت إليه واستدار فصار فى مواجهته وصدر عنه صوت لم يميزه هرقل هل هو صهيل حصان أو خوارثور، استعجب هرقل من حجم هذا العجل ولكنه تذكر أسد نيميار والأفعوان الأرقط وظبى سيرينيا وتمثل أمامه خنزير أرمنثيا فدبت فى نفسه شجاعة زائدة ولم ينتظر أن يهاجمه العجل وأسرع هو إليه بيديه مجردتين وقفز فوق منكبيه العريضة وضربة بقبضة يده ضربة قوية على رأسه جعلته يترنح وهوى على الأرض، ثم عاد هرقل وقبض بكلتا يديه على ذيله الضخم ورفعه وقذف به فارتطم بشجرة هائلة أفقدته الوعى.

أسرع هرقل وصفده بسلاسل صلبة قوية وصنع قفصا عظيما على عجلتين من الخشب ووضع فيه العجل.

جاء مينوس ليشهد إخضاع ذلك العجل الثائر المجنون وفرح فرحاً شديد وأهدى هرقل سفينة عملاقة وزودها بكل الاحتياجات لتصل إلى مملكة يوريذوس بأمان.

٧ - خيول ديوميديز:

كان ديوميديز ملك تراقيه من الملوك الطغاة قام بمساعدة السناتير فى حربهم ضد التياتن ومكنهم من النصر فقاموا بإهدائه مجموعة من الخيول المهجنة فأصبحت فى

شكل الخيول وطبيعة الأسود كثيفة الشعر لا تقتات من العشب والقلاء وإنما تتغذى على اللحوم وتستطيب لحوم البشر . . فأعلم ملك تراقيه أن أى إنسان غريب يطأ أرضه يصير طعاماً لهذه الخيول وأى معارض لحكمه أو مجرم قضى عليه بالإعدام يكون وليمة حية لهذه الخيول المتوحشة.

طلب يوريذوس من هرقل أن يذهب إلى أرض ديوميديز لعقابه وتأديبه لأنه جعل من رسوله غداء لهذه الخيول. . تلك هى المهمة المعلنة ولكن يويذوس كان يصف لنفسه أن هرقل سيكون وليمة شهية لهذه الخيول وقد أرسل بذلك إلى ملك تراقيه.

أعد ديوميديز فخا عند مدخل المدينة، فى أن أقترب هرقل وأثناء مروره تحت أحد الأشجار قفز فوقه مجموعة من الجنود الأقوياء وأحاطوه بشبكة وتمكنوا من أسر هرقل وساقوه إلى الملك الذى ألقاه فى جب عميق لا يرى فيه بصيص نور ولعدة أيام منع فيها الطعام عن الخيول فزادت شراستها وشراهتها.

أعلن الملك عن صراع بين هرقل وخيوله فى حلبة المصارعة فى يوم عيد جلوسه على العرش. . وفى اليوم الموعود احتشد الجماهير فى حلبة المصارعة.

خرجت الخيول تركض فى الحلبة تكاد تقفز إلى الجماهير المحتشدة وتنهشها أحضروا هرقل وقذفوا به وسط الحلبة وأسرعت الخيول تطأ جسده وبحوافرها الصلبه ولكنه فى رشاقة كان يفلت منها وبقبضة يده يضرب هنا وهناك وبين كر وفر لم تتمكن الخيول من قهر ذلك القوى الخارق.

أسرع هرقل وامتطى أحد الخيول الذى حاول أن يقذف به من فوق ظهره ولكنه لم يتمكن فقد أحكم هرقل قبضته على اللبدة الكثيفة.

تمكن هرقل من التوجه بالحصان إلى منصه الملك وقفز قفزة عالية أوصلته إلى مكان العرش فأمسك بتلابيد الملك ديوميديز وقذف به وسط الحلبة فانقضت عليه الخيول تنهش لحمه وتفتت عظمه وكان لهم وليمة ملكية ناضرة.

وسط هذا المرج عاد هرقل وقفز إلى الحلبة ومن الشبكة التى كبلته تمكن من تلجيم الخيول وأسرها.

فرح الشعب لتخلصهم من ذلك الملك الظالم وودعوا هرقل بالورود والرياحين وهو يغادر بلدهمْ ويجر خلفه قطيع الخيول ملجمة ليقدمها هدية ليوريذوس.

٨ - نطاق هيوبليت مليكه الأمازون:

كانت قبيلة الأمازون مجتمع نسائى خالص لا يجروء رجل على دخول حماهم ويسلك دروب غاباتهم أو يدك أسرار قلعتهم، وكانوا يملكون قوة هائلة تمكنهم من الإغارة على جيرانهم وقطع السبل على التجار والقوافل فكنوا ثروة عظيمة من الجواهر والياقوت والماس والزبرجد، وقامت الملكة هيوبليت بصنع نطاق من خيوط الذهب الخالص رصعته بعدد كبير من الجواهر فجعلها تبرق كالنجوم الساحرات ولها أطياف تسلب اللب وتذهب العقل.

شاع بين الناس أمر هذا النطاق وأصبح مطمع كل الملوك وحلم كل النساء جلست كيرا زوجة يدريذوس تسمع من خادمتها قصة هذا النطاق وأن به جوهره كان قد أهداها زيوس إلى أحد عشاقه من نساء البشر تحفظ للمرأه شبابها ونضارتها وتجعلها أجمل نساء العالم.

كانت كيرا بطبيعتها شغوفة باقتناء الجواهر النادرة فأسرعت لزوجها يدريذوس وطلبت منه أن يحضر لها هذا النطاق وإن أفنى نصف مملكته من الرجال والنساء.

لم يكن هرقل قد انتهى من وضع خيول ديوميديز فى حظائرها، فوجد رسول يدريذوس يأمره بأن يمثل بين يدى الملك على الفور.

دخل هرقل إيوان الملك فوجده وسط حاشية وبجواره زوجته كيرا التى قامت عن عرشه وأشار إلى هرقل قائلا: عليك أن تذهب إلى غابات الأمازون ولا تعد إلا ومعك نطاق مليكتهم وإياك أن تتلفه أو تنقص منه شئ.

نظر هرقل إلى يدريذوس فعجله قائلا: هذا ما أمرتك به ملكيتك فعليك أن تنفذ دون اعتراض أو امتعاض أو تهاون وكسل.

كان من الصعب على هرقل أن يأتمر بأمر امرأه ولو كانت ملكة أرجوس وزوجة يوريذوس ولكنه قضاء زويوس ولابد أن ينفذه.

ترك هرقل مملكة أرجوس وسار يضرب أكباد الأرض صباح مساء وهو لا يدرى عدد الأيام . . يسأل كل عابر هذا يذهبه شمالا وذاك يعيده جنوبا وآخر يطرحه غربا وآخر يشير عليه بأن يتوجه إلى الشرق.

بين الصقيع والهجير والظلمة والنور وشواهق الجبال ومنحدرات السهول والفيافى القاحلة والحقول الناضرة. . هام هرقل لا يعرف لغابات الأمازون طريق، لا صديق يؤنسه ولا خليل يهديه.

رعدت السماء وانفتحت مزاريب المياة فهطلت الأمطار وتحولت الأرض إلى برك ومستنقعات.

وقف هرقل ونظر إلى السماء فوجد حيرا تركب إحدى الغمامات والابتسامه ملء شدقيها والضحكات تعلو عن صوت الرعد والبرق ثم أشارت له باتجاه الغرب واختفت.

جلس هرقل يقى جسده بيده من الماء المنهمر ويخسف على نفسه بعض أوراق الشجر وعندما توقف السيل . . أخذ هرقل طريقه جهه الشمال فهو يعلم أن حيرا لن تدله على المكان الصحيح.

طالت أيام سيره ولم يجد تلك الغابات. . وهم أن يعود ويتجه نحو الغرب إلا أنه رأى أسرابا من الطيور تغدو وتروح وتختفى خلف سلسلة من الجبال من مرمى بصره فتوجه إليها.

تحت سفح الجبل وجد غابة عظيمة الأتساع لا يحدها بصره الخارق فأخذ طريقه إليها، سلك هرقل أول دروب الغابة الذى أوصله إلى بحيرة.

صفات الماء كـالجين المذاب يعكس ضـوء القمر وبواسق النخل تتمـايل مع النسيم وسكون الليل يلهب المشـاعر فـتوسد هرقل نتـوءاً من العشب وراح ينظـر إلى البدر ودارت به عجلـة الزمان إلى الخلف وتذكـر ما مر به من سـعادات هى قليلة ولـكنها طغت على كل مـا مربه من نواكب ومـواجهـات ثم تنهد هيت مـعها عـواصف من الصرخـات وقد مالت جـذوع الشجر والتف أغـصانه تكفن جـسده الضخم وشـباك عظيمة من الفولاذ تحيط جـسده، وفى سـرعة البرق وجد نفسه مكبل الأطراف ورأسه مثبته فى الأرض ومئات الرماح والسيوف والخناجر موجهه إلى كل جزء من جسده.

جمال باهر وأنوثة طاغيـة ومفاتن بارزة وأجسام ممشوقة وزنود قوية وعـيون واسعة وشعور تغطى الجزءالأعلى من الصدر الناهد العارى.

نساء بارعـات فى الحسن والقنـص فى رشاقه الغـزلان ونعومـة الأفاعى وشـراسة الأسود انقـضضن عليـه كما ينقض العـقرب على الأرنب فيـشل حركـته وينبش فى جسده مخالبه وأنيابه.

تحت هول الصـدمة لم يتـمكن هرقل من استـخـدام قوتة الخـارقة وكـأنه أراد أن يستـسلم لـهن ليوصلوه إلى ملكتهم بعد أن عـرف فيهم أنهم نساء قـبائل الأمازون لم يحاولن قتاله أو قتله وهو استكان لهم وسار معهن حتى وصل إلى قصر الملك وساحة العرض.

أضاءت المشاعل فى جوانب البـهوالكبير وكان ضوؤها رغم كثـرتها خافت، وشد وشاق هرقل من اليدين والقدمين إلى جوانب البهو بسلال قويه.

بدأت نســاء الأمازون تتـوافـد ولكن فى لباس الحـرب، جـاهزات دائما لخـوض الحروب والقتال وما هى إلا لحظات وقدمت هيـوليت فى ثوب حريرى شفاف وكأنها فينوس ربه الجمال والحسن وقد تزين خصرها بنطاق لم ير مثله من قبل، ما كاد ينظر إليه إلا وأغمض عينيه من شده بريق ما ترصع من جواهر نادره.

جلست الملكة على كرسى العرش وحولها وصيفاتها كأنهن حوريات نظرت إلى هرقل قائلة: ماذا أتى بك إلى أرضنا وتعرض نفسك للهلاك - ألم تسمع عن قوه قومنا وشده بأسنا وهوان الخلق علينا.

تعالت صيحات الحشود مطالبين بموته وجز رقبته وتمزيق أوصاله.

رفع هرقل رأسه ونظر فيمن حوله فأصابهم بالرعدة ثم نظر إلى الملكة وقال لها: أيتها الملكة العظيمة إن كانت لمملكتكم قوه فهاهى قوتى وضم ساعديه فنزع السلاسل من الجدار فهدم الجدار، وتمكن بأنامله من تحرير معصميه وقدميه من السلاسل صوار حراً.

شهرت السيوف وصوبت نحوه السهام والرماح وعادت لصيحات تعلو بهمهمات تزيد صار الجميع على حذر.

أردف هرقل . . ياأيها الملكة الكريمة . . ألا تعرفينى . . لم يعرفك شعبى ولكنى عرفتك منذ الوهلة الأولى أنت هرقل أين زيوس وأكاد أعرف سبب مجيئك وهو نفس السبب التى قامت من أجله حروب عديدة وزهقت فى سبيله أرواح كثيرة.

لقد أتيت من أجل النطاق.

ساد الهرج والمرج بين حشود النساء.

نظرت الملكة إلى الملء فعاد الصمت وسكت الحناجر وطاطأت الرؤوس فقد كانت الملكة تحظى باحترام الجميع.

قالت الملكة: لا مانع عندى من أن أعطيك النطاق بشرط.

دهش الجميع بما فيهم هرقل: وقال أنا مستعد لإنجاز أى عمل ترتضيه فى سبيل أن تعطينى هذا النطاق.

قالت الملكة . . شرطى أن أتزوجك لأنجب منك طفلة تحمل منك صفات الآلهة . . لتصير ربة من أرباب الأولمبوس فتحمى قومها وتزيدهم عزة ومنعة.

ما كان هرقل ليوافق سريعاً ولم ينس بعد زوجـته المحبوبة ميجارا لولا أن تذكر أن في ذلك إنجازه مهمة هى على طريق حريته وخلاصه.

أقيـمت الأفـراح وإمتدت المـوائد وقدمت القـرابين وأرسل زيوس بعض الارباب مباركـه منه لهذا الزواج وذلك نكاية في حيـرآ التى باتت ليلتها مقـهورة وبات هرقل سعيداً بين أحضان فينوس الأرض هيبوليت مليكة الأمازون.

وفى الصباح أهدت هـيبوليت نطاقها لهـرقل وودعته نساء الأمـازون عند مشارف الغابة وهن يتمنين أن تطول بينهن ليال هرقل.

عاد هرقل إلى قصـر يوريذوس وكان فى انتظاره الملك والملكة والحاشيـة فأسرعت الملكة وأخـتطفت النطاق من يد هرقل وناولتـه لوصيـفـاتها اللاتى قـمن بلفه حـول خصرها وعندما نظرت إلى المرآه غشى عليها من فرط فرحتها وسعادتها.

٩ - طيور ستيمنالوس:

أفاقت كيـرا وقد تحول خنقها وغـضبها على هرقل إلى ضوء وسـعت لدى زوجها يوريذوس تطلب منه العفو عن هرقل وعدم إرهاقه بمهام شاقه وأمور مذلة.

فقال لهـا: ذلك قضاؤه ويجب أن يمـر باثنتى عشرة مهـمة يقضيهـا لى وقد هان الأمر وأعدك بألا أشق عليه فيما هو آت.

كانت على مشارف مملكة أرجوس بحيرة أطلق عليـها بحيرة ستيمنالوس وقد حط عليها سرب مـن الطيور العملاقة، مخالبـها من النحاس تحوم حول البحـيرة فتنقض كالسهم المارق وتغوص فى الماء عائده بصيد من الأسماك الضخمة وعلى اليابسه تمزقها تنهش بعضها ثم تترك ما تبقى منهـا ينشر نتن الرائحة وشديد الأوبئة التى تنتقل بفعل الرياح تصيب البشر والماشية بالأمراض القاتله والأوبئه.

طلب يوريذوس أن يذهب فيقضى على هذه الطيـور ويقطع دابرها وما أسهلها من مهمة وكان فى كنانة هرقل بعض السهام المسمومـة المتبقية من معركتى هيدرا والسـناتير

وما هى إلا أيام قليله غـابها هرقل وعاد يبـشر يوريذوس بالقضاء على سـرب الطيور وقام بجمع أشـلاء الأسماك وبعض المواشى النافقـة ووضعها فى حفـرة هائلة وردمها وبذلك منع الأذى على أهالى المدن المجتاوره لهذه البحيرة.

١٠ - قطيع الجريونز:

مرت عدة أيـام هادئة ظن فيها هرقل بأن حـيرا قد غفلت عنه وبعـد عن شرورها ونسى ملك أرجوس مهامه واكتفى بما حصل عليه.

مع نسائم الفـجر الأولى فـزع هرقل من نومه على صـوت رسول يوريزوس الذى يطلبه فى الحال توجه هرقل إلى قصر الملك وقـد دارت بخلده أمور عظيمه وهيأ نفسه لمهمه صعبه وأمر جلل.

كان يوريذوس تبدو عليـه مظاهرالقلق وعندما مثل أمامه هرقل واقـترب منه وكان قصير القامه ضعيف البنيه فظهر الفـرق فى البنيان واضحاً فقد كانت قبضت يد هرقل فى حجم عـنق يوريذوس فتراجـع الملك وابتعد عـنه . .ثم قال: لقد عـرفت أن فى مقاطعه أريثيا قطيع من الماشية تدر نوعاً من اللبن يضاعف من قوه البدن ويزيد حجمه أضعاف فيجعل القزم عملاق. اذهب وائتن بهذا القطيع من الشياة والنعم.

وكـأن قضـاء زيوس لم ينـته وغـضـبـة حيـرا لم تخـمـد وسطوة يوريذوس لـم تخبـو،وأخذ هرقل يجـوب البلاد مـستسـلماً لهذا القـضاء الإلهى ينقـضى عن هذه المقاطعة حتى أخبره أحد الرعاة بأنها تقع فى شعاب جبال أريثيا على مسيرة سبعة أيام جهة الشـرق وحذره من دخول هذه الشعـاب فما دخلها إنسـان أو حيوان وأفلت من جريونز العمـلاق أسلم هرقل قدميه الأرض وبصـره للشمس يعد الأيام السبـعة حتى وصل إلى سلسلة جبال، دروبها متعرجة وكهوفها عـميقة ومهاوى سحيقة وبعد جهد جهيد ومعارك صـغيره قضى فيها على بعض الضوارى اعترضـته هوة عظيمة الاتساع سحيقـة القاع وكان الليل قد بدأ يرضى سدله، فـأشعل هرقل النار فى بعض الأعداد الجافـه وافترش الأرض وتلحف السمـاء وهو يفكر فى هذا الجريونز العمـلاق حارس القطيع وكيف سيتغلب عليه؟

ارتسم على وجه القمر طائر عظيم الجناحين وظل يقترب من مكمن هرقل ويتوجه نحو النار المشتعله فأطفأتها الرياح الصادرة من جناحيه العظيمتين

أسرع هرقل واختبأ فى أحد الكهوف ينظر ماذا سيحدث من أمر هذا الطير وما هى إلا لحظات وظهر فى الأفق طائر آخر واقترب الطائرين من وكر به عدة فراخ صغيرة وأخذا يطعماهما حتى اكتفت.

تسلل هرقل إلى الوكر فتمكن من تقييد أرجل أحد الطيور ومع إشراقة الشمس غادرت أحد الطيور الوكر وظل الأخر مرابطاً مكانه.

اقترب هرقل من الطائر الذى فرد جناحيه فغطى قمة الجبل ومد منقاره يريد أن ينشبه فى جسد هرقل الذى أفلت منه بأعجوبة فارتطم بصخرة كبيرة فرجفت الطائر ضرب بجناخيه فارتفع عن الجبل.

أسرع هرقل وأمسك به فأخذه وطار لى الجانب الآخر من الهوة السحيقة وعندها أفلته هرقل وقد فك وثاقه تمكن هرقل من عبور الهوة وأنطلق العقاب إلى كبد السماء.

أخذ هرقل طريقه إلى سفح الجبل وما كاد يصل حتى وجد ظلالاً ممتدة أمامه فنظر خلفه فإذا بمارد ضخم كالجبل فتذكر سريعاً يوريذوس الذى كان بالنسبه إليه قزم وها هو قزم بالنسبه لجربونز.

هم جريونزان يهوى على هرقل بقبضه يساريه بالأرض أسرع هرقل ومر من بين ساقيه وتسلق صخرة عالية فأصبح فى مستوى رأس العملاق الذى أستدار يبحث عن هذا القزم العفريت.

عندما واجه العملاق هرقل عاجلة برمحه الذى أخترق عينه الوحيدة التى تتوسط رأسه فهاج وماج وقد أصبح أعمى يتخبط بين الصخور أخذ هرقل يحدث جلبة وأصواتاً يتتبعها المارد حتى ساقه إلى هوة سحيقة فوقع فيها وجلس هرقل يشكر الآلهة.

أخذ هرقل يجمع القطيع الضخم وساقه فى طريق العودة إلى مملكة آرجوس، عند أسوار القلعة كان يوريـذوس ينتظر هرقل وأحسن أستقباله وأمر بحـراسه القطيع حتى يصل إلى حظائره الخـاصة دون أن يمســه أحد من الحشـود التى وقفت تتـعجب من شكل هذا القطيع الذى كان يزلزل الأرض بحوافره الضخمة وبدانته.

١١ - تفاحات هسبريا الذهبيه:

مازالت حيرا تقتفى أثر هرقل وترصد انتصاراته المتواليـة فتستعر فى قلبها نار الحقد وتفور لديها رغبه الانتقام، وها هو قد تمكن مـن استمالت يوريذوس فأجلسه مجلسه وأحسن وفـادته وبدلاً من إقامته فى زرائب وحظـائر الماشية والحيـوانات أصبح هرقل يقيم فى أحد القصور منعم يكرم.

أرادت حيرا أن تفســد هذه العلاقه وتعيد ليوريذوس حـقده على هرقل ونفوره منه فوســوست إليه إذا كانت زوجـتك قد أمـتلكت نطاق هيبوليت فـلماذا لا تملك أنت تفاحات هسبريا الذهبية؟

أفاق يوريذوس من نومه فـاستدعى هرقل إلى مجلسه وسأله عن تفـاحات هسبريا الذهبية، أخبرة أنه لا يعرف عنها شيئاً ولم يسمع بها من قبل.

أريدك أن تحضرها لى مهما كانت المخاطر.

أيها الملك لقـد أرهقتنى وكنت أحسـبك بما قضيتـه لك قد اكتـفيت ولك ها أنت تزيدنى رهقا وتعرضنى من جديد للمخاطر.

انتفض يوريذوس لـقد عاملتك بما أنت ليس أهل لـه حتى صرت تعـصى أوامرى وتحاول أن تتحايل علـى قضاء زيوس العظيم إننى آمرك أن تحضر لى تفـاحات هسبريا ولا تبطئ فى تنفيذ هذا الأمر.

حمل هرقل عـتاده الحربى وامتطى أحد خـيول ديوميديز كـان هرقل قد تمكن من ترويضه وطلب من يوريذوس أن يسـتعين به فى هذه الرحلة التى لا يعرف لهـا مبدأ ولا منتهى.

غادر هرقل مملكة أرجوس وهو لا يعرف إلى أين سيتجه وترك الذمام للحصان ليتجه لأى اتجاه.. نحو المشرق أخذ الحصان طريقه كالبرق وكأنه تخلص من محبسه دون أن يحسب لمن يمتطيه حساب تطاير الشرر من حوافره.

ليل يعقبه نهار والحصان لم يكل أو يتعب وفجأة ثبت ساقيه الأماميتين فطار هرقل من فوق ظهره إلى مسافه بعيدة وقبل أن يقوم هرقل كان الحصان يسابق الريح جهة الشمال ولم يسمع هرقل سوى دبه حوافره وصدى صهيله.

وقف هرقل يتعجب وقد ظن أنه تمكن من ترويض هذا الحصان الطائش.. ماذا يفعل الأن وسط هذه السهول الفاحلة إلا من نبات الصبار ودوى الريح لا كهف يأويه ولا عريش يظلله، الظلام دامس.

لا شئ يخيفنى ولكن إلى أين أتجه وأى الدروب أسلك.. سأنتظر حتى يبلج الصباح وأتبين الطريق.

صوت الرياح يدوى وأصوات غريبه ولغة لم يعهدها ففتح هرقل عينيه أطياف تتحرك من حوله..وشيئا فشيا بدأت تظهر ملامح لهذه الأطياف وتلبس أبدان وشكلت حلقه حول هرقل.

من أنتم وأين أنا؟

أنت فى وادى الجن ونحن حراس هذا الوادى.. كيف دخلت هذا المكان الذى لم يجرؤ إنسان على دخوله.. ومن أنت؟

أنا هرقل بن زيوس!

أنت صاحب المجازف الاثنى عشر.

وكيف علمتم بذلك؟

نحن نعرف كل شئ عن عالم البشر وأنصاف الآلهة.

وهل لكم أن تدلونى على تفاحات هسبريا؟

تفاحات هسبريا . . مالك وهذه التفاحات الذهبية.

ماذا تعرفون عنها؟

تلك تفاحات حيرا وقد أهدتها لها جى ربة الأرض يوم زفافها وهى تفاحات نادرة وعجيبة ليس لأنها من الذهب الخالص فقط وإنما لما تترصع به من اللآلئ النادرة وقد نقشت عليها صور الآلهة وحدائق الأولمبس فصارت من أندر العجائب وبها جوهرة تشع ضوءاً يقشع الليل البهيم وكأنها كوكب درى.

لم تأمن حيراً عليهم فى مجمع الآلهة وحراسها فأرسلت بها إلى الهسبريد بنات هسبروس إله الغرب العظيم وقد عرفت بنات هسيبروس لهذه التفاحات قيمتها فجعلتها زينة قصرهن وجعلت من لادون التنين الهائل حارساً عليها.

سأحصل عليها لا تنفيذاً لرغبه يوريذوس ولكن لأغيظ حيراً . . ولو كانوا فى كبد السماء أو باطن الأرض أو أعماق البحار ولو كان يحرسها ألف تنين.

إنه ليس بتنين عادى لم يره أحد ومن رآه فنى وقد قيل فى وصفه أنه ذو سبعين ألف رأس وفى كل رأس سبعين عين وسبعمائه ناب ينضحان بالسم وينفث نار طولها ألف ذراع تذيب صلب الحديد وتخترق شاهق الجبال.

أنا له حتى أحصل على هذه التفاحات التى صارت غالية عندى وإن قضيت نحبى وخارت قوتى فقط دلونى على مكانها.

تقدم إليه أحدهم عرف من سماته أنه كبيرهم.

أسرع يابنى ما دخل هذا الوادى بشر وخرج منه إلا وقد مسه طائف من الجن فيذهب عقله ويفقد رشده، ولكنك ستسلى للحصول على هذه التفاحات الذهبية فتكون قد فقدت عقك وهانت عليك نفسك . . فاذهب إلى نهر أريدانوس والزم ضفته وهناك ستعرف طريقك وتهتدى إلى دربك.

وأين هذا النهر . . ؟

اتبع هذا النجم ستحط بك الأرض وتعلو حتى ترى بحيرة عظيمة وعند الشلال ستجد مجرى النهر وعلى مسيره ثلاثة أيام انتظر الثلاث ليالى القمرية .

تلاشت الأبدان واختفت الأطياف كما ظهرت .

أخذ هرقل طريقه وبصره معلق بالنجم الذى بدأ يختفى خلف أشعة الشمس، فحط رحاله فى انتظار قدوم الليل ليتابع مسيرته .

بدأت الشمس فى المغيب وهم هرقل يتابع رحلته فسمع صهيل حصان يقترب منه وبدأ يظهر شيئا فشيئا وتبين لهرقل أنه حصانى الذى قذف بى وادى الجن . . ترى هل رآهم قبلى فنفر وهرب ثم عاد إلىّ بعد أن أبتعد عن الوادى .

اقترب الحصان من هرقل الذى أقبل عليه يمسح رأسه ويتلمس بدنه وكأنه يشكر له عودته .

امتطى هرقل صهوة الحصان وصار يتتبع النجم حتى وجد بحيرة كبيرة وأخذ يتفدها حتى وجد شلال هادر يصب فى نهر عظيم .

حاذى هرقل الشاطئ ثلاث ليالى ثم توقف ينتظر الثلاث ليالى القمرية . . وهو لا يدرى ماذا سيحدث أو كيف سيهتدى إلى تلك التفاحات .

اكتمل البدر وانعكس شعاعه الفضى على صفحات النهر وأوراق الشجر وجلس هرقل ينتظر مالا يعرفه . . ومرت ليله وظهر ضوء لفجر وتوسطت الشمس كبد السماء ولم يحدث شئ .

قضى هرقل يومه مهموماً ولكنه ظل متشبساً بالأمل .

سحبت الشمس خيوطها الذهبيه ولاح القمر فى الأفق يوجهه الباسم هكذا خيل لهرقل ومع النسمات سمع أصوات غناء حالم وألحان شجية وإذا بعرائس ترفل بذراعيها خارجة من الماء الغدير وهن يبتسمن لهرقل وأقبلن عليه .

مالك يابن الإله . . وقد عصفت بك الحياه وجعلتك تهيم على وجه الأرض دون أنيس أو جليس أما آن لك أن تستقر فى مكان تعرف الأمان وتنعم برغد الحياه ورضا الإله.

أيا عرائس النهر لقد اقتربت من نهاية الطريق وقد أنجزت لكثير من قضاء زيوس وما تبقى إلا القليل.

وما هو هذا القليل؟

تفاحات هسبريا الذهبيه!

أين أجدها؟

أعانتك الآلهة على هذا القليل أنطلق إلى البحر الكبير وهناك ستجد كثبان خضراء تتوسطها ثلاث شجرات يظللن ايكة هى لنريوس إله البحر يلجأ إليها عندما يخرج من البحر لينعم بدفأ الشمس.

كيف أتعرف عليه؟

أنه رجل مهيب على وجهه خط الزمان أخاد يده وأشتعلت رأسه بالمشيب ولحينه الكتلة البيضاء تتدلى على صدره العريض، وأهدابه تكاد توارى عينيه الواسعتين ويتكئ على عصا من الذهب المطعم باللؤلؤ.

انطلق هرقل دون أن يودع عرائس النهر اللاتى أخذن يتمتمن له بالدعاء.

رجل عجوز لا يكاد يرفع هامته التى أنحنت تحت وطئة الزمن، يجلس فى أبكه تظللها الأشجار الوارقه ونظره معلق بأمواج لبحر الكبير وكأنه يحصيها عدداً.

اقترب هرقل وألقى عليه التحية.

ماذا أتى بك يابن الإله ومن دلك على مكانى لتقطع على تأملاتى.

أستحلفك برب الأرباب أن تدلنى على حدائق الهسبريد فيكون ذلك دينا فى رقبتى.

أتريد التفاحات الذهبية.

نعم.

ولكن حدائق الهسبريد ذات منعه ولن تتمكن رغم قوتك الخارقة أن تنفذ إليها.

دلني عليها وأترك لى سبيل الدخول إليها.

أسرع يابنى لا يمكن لأحد دخول حدائق الهسبريد وقد أحاطتها حيرا بوسائل لا يمكنك اختراقها ومخاطر لا يمكنك اجتيازها.. ولكن سأدلك على سبله لتلبغها اذهب إلى المسكين بردميثوس فهو مكبلا بجبال القوقاز تنفيذاً لعقاب زيوس.. وخلصه وهو الوحيد الذى يعرف كيف يمكنك أن تحصل على التفاحات الذهبيه.

أسحب هرقل فى هدواء وترك العجوز لتأملاته بعد أن ودعة فى اجلال وأحترام وأنطلق فى إتجاه جبال القوقاز التى يعرف لهال مسلكها ودوبها.

أخذ هرقل يجوب سفوح الجبال يدقق البصر ويرهف السمع حتى سمع أنين صادر من نفس هالكه «وقوع مخالب وأظافر تنبش فى جسده.

أقترب هرقل من مصدر الصوت فوجد رخ عظيم ينهش كبد بروميثوس ويمزق جسده وبمخالبه يفقع عينيه وما يترك جزءمن جسده إلا واوجد فيه جرحاً غائراً والدماء تنصح منه.

أوتر هرقل قوسه بأحدى السهام القاتله وصوبه إلى عنق الرخ ليريديه يخلص بروميثيوس من هذا العذاب المقيم.

تمكن هرقل من تخليص بروميثيوس من أصفاده رحرر قدميه ومع طولع الفجر كانت جرح بروميثيوس قد ألتئمت وأستعاد قوته.. فقص عليه هرقل قصه التفاحات الذهبيه.

أنت هرقل إذن.. ابن زيوس.

نعم.

أنت هرقل الخصم العنيد لحيراً.

أنها عدوتى اللدود.

مسكين أنت يابنى فما عادت حيرا بشراً ولا إلها إلا ونالت منه.

لن أظل لهـا عبـداً وأن فنيت حيـاتى ولابد أن أنجـز قضـاء زيوس لأتخلص من يوريذوس اللعين.

وقر قلب برومـيثيوس وقـال لهرقل: أنت لك على يد فقـد أنقذتنى من هذا الرخ ولك عندى دين لابد أن أقضيه.

أذهب إلى أخى أطلس هناك فى أفريقيا المظلمه.. على قـمة جبال الشمال الغربى يحمل قبه السماء بوشاحه اللازوردى يرفرف بين المشرق والمغرب.. أقرئه منى السلام وزف إليه خبـر نجاتى من لعنتى ثم حدثه بحـاجتك فهو وحـده الذى يعرف أين تقع حدائـق الهسبـريد وهو وحده الـذى يمكنه أن ينفذ إليـها، وهو وحـده الذى يمكنه مواجهة لادون التنين الهائل.. ولكن احذر مكر أطلس فـهو يتحين الفرصة للخلاص من قضائه الأبدى بحمل قبة السماء ولوتهدم نظام الكون.

كلم هرقل بروميثيوس يلملم شتات نفسـه وقصد البحر العظيم ليلاقى العجوز مرة ثانية ويخـبره بما حدث ويطلب منه أن يسـاعده للوصول إلى شـواطئ أفريقية ليـقابل أطلس العظيم.

أرشد العجوز رب البحار هرقل لصنع سفينه تعبر به البحر الكبير ليصل إلى أطلس انتهى هرقل من صنع السفـينة وأنزلها إلى مياه البحر وقـد تزود بالماء والغذاء فلا أحد يعلم كم عدد الأيام التى سيقضيها هرقل يخوض عباب البحار.

أسلم هرقل شـرائع السـفينة للرياح تـقذف به فى تلك اللجـم الموحشـة ثم هبت عاصفة هوجـاء جعلت من السفينة ريشة فى مهب الريح وضربتـها الصواعق وأحاطه بهرقل من كل جهة وأصبح لا يرى شمـاله من جنوبه والسفينة تعلو إلى عنان السماء مع الأمواج الصاخبة ثم تعود به فتغوص مرة من مقدمتها ومرة من مؤخرتها فاستسلم هرقل لقضائه.

ضحكات عالية يعـرفها هرقل جيداً أنها حيرآ تظهر أمـامه ساخرة ثم تدور وتلوح بيدها فتزاد العاصفة وترعد السماء وتقـصف برقة السفينه فتجعلها شطرين وما هى إلا لحظات إلا وغابت السفينة وما عليها فى لجة الماء وغاصت فى الأعماق.

غاب هرقل عن وعيه وغاب وهو فى طريقه إلى القاع فإذا بحوت عظيم يقترب من هرقل ويرتقى ظهره وكالسهم اخترق الأمواج العاصفة وقذف به على شاطئ البحر .

مع شعاع الشمس بدء الدفء يسرى فى الجسد الساجى بلاحراك على الشاطئ ويدأ رويداً بدأت الحياه تدب فى الجسد ويستعيد هرقل وعيه ويستجمع قواه.

نظر هرقل حوله فوجد تبه عاليه فقصدها واعتلاها فإذا به ينظر سهلا فسيحا وقرية كل شئ فيها صغير الحجم فأخذ سبيله إليها.

الأكواخ صغيرة والدروب ضيقة والأوانى والأدوات لا ترى وقف هرقل وقد استبد به العجب وعلامة الدهشـة، فلا أثر لمخلوقات، المدينة مساحتهـا صغيرة جلس هرقل ينظر إلى المدينة وكأنـها مدينة ألعاب خـاصة بأطفال صـغار، وبعد فـترة رأى هرقل بعض الأقزام يتحركـون ويظهرون تباعاً وهم مترددون فى الأقـبال على ذلك العملاق الهائل بالنـسبه لهم.. ولكنهم أنسـوا إليه فـاقتربوا منه وصنعـوا سلما ليـتمكنوا من الحديث إليه .

عرف منهم أنها مدينه للأقزام وعلم منهم أن هناك مـارداً كبيراً يدعى أنتيوس دائم الأغارة عليهم ينهب محاصيلهم ويقبض مواشيهم وفى بعض الأحيان يخطف بعضهم ليكونوا وجبـه شهية له، وأنهم يطمـعون فى أن يمد لهم يد المسـاعـدة ويخلصهم من ذلك المارد الأعور.

اتخذ هرقل منهم دليلا يدله على سكان ذلك المارد وكـان يكمن فى أحد الكهوف خلف أحد الأكمة المحيطه بالمدينه.

وقف هرقل فوق أحـد الصخور فرأى المارد يجلس وأمـامه قدر كبيـر به ماء يغلى فوق نار مستعرة وقفص خشبى حشر به بعض الأقزام يعدهم المارد ليكونوا وجبة شهية

هجم عليه هرقل فـأطاح به أرضاً ولكنه قـام سريعاً وتواجهـا الخصمـان وكان المارد يفوق هرقل طولاً وعرضا ويملك قـوة غاشمة وقبضة قوية مـا تهوى على صخرة إلا وتدكها.

ظل الاثنان يتـصارعان وكلمـا تمكن منه هرقل انهك قوة، فـما يلبس أنتـيوس أن يلمس الأرض حتى يستعيد قوته وتزداد.

صـرخ الدليل الذى كـان يرافق هرقل . . ابتـعـد به عن الأرض أنه ابن جى ربة الأرض وهى التى تمده بالقوة كلما خارت فعرف هرقل نقاط القوة فيه والضعف.

قرر هرقل أن يظل أنتـيوس بعيدا عن الأرض فرفـعه بيديه القويتـين وقذف به إلى أعلى ليرتطم بالصـخور وكلما هوى تلقفه وأعـاده إلى أعلى حتى أنهكه ثم تمكن من عنقه الضخم فاعتـصره بقوه وقذف به إلى سفح الجبل فاستقـر جثه هامدة وقام هرقل يتخليص الأقزام من القـفص فسحبوا بعض الماشـية التى كانت مقيـدة ونزلوا ومعهم هرقل إلى المدينة وقد أمنوا شر هذا المارد أنتيوس.

أعد الأقزام وليمة لذلك البطـل الخارق وبعدها سئلهم الطريق إلى أطلس فنظر كل منهم إلى الآخر منهم لم يسمعـوا هذا الاسم من قبل فانبرت فتاة صغـيرة فقالت عند عرائس البحر قديكون الخبر فهم يعرفون الكثير.

طلب هرقل من الفتاة أن تدله على مكانهم. . حملها هرقل على كتفه وصارت به تدله على الطريق وكان قريباً ، فتركته وعادت.

طال انتظار هرقل حتى كـاد أن ييزس. . إلا أنه وجد الماء يترقـرق والأمواج تعلو دون صخب أو هديـر وجد عرائس البـحر تظهـر الواحدة تلو الأخـرى وخرجن إلى الشاطئ وأخذن يلعبن بالحصى والأصداف التى طرحها البحر وزادت المداعبات وعلت الضحكات، فخرج هرقل عليهم ياعـرائس الماء الجميلات ، هل أجدبينكم من تدلنى على مكان أطلس. . فزعت عرائس البحر وهرولن تجـاه البحر كل منهن تركب موجة وتختـفى فى لجة البـحر. . إلا واحـدة استدارت وعـرفت أنه ليس المارد أنتـيوس. . وقالت: من أنت حتى تسأل عن أطلس العظيم.

أنا هرقل . . ابن زيوس.

عرفتك وسمعنا بمجازفاتك ومغامراتك . . اذهب أيها المغامر إلى السد الذى يفصل المحيط عن بحرنا (البحر الأبيض) فإذا تمكنت من اختراقه والنفاذ منه تكون على بعد فرسخ من أطلس .

وقبل أن يشكرها هرقل كانت قد ركبت إحدى الموجات ولحقت بأخواتها.

تابع هرقل المسير محازيا شاطئ البحر حتى وصل إلى سلسلة جبال شامخة وأخاديد غائرة حتى وصل إلى سد عظيم يفصل الجبلين، لم يستطع هرقل أن يتسلق هذا الجبل الأملس فما كان منه إلا أن رفع يده إلى السماء يدعو زيوس أن يعينه أن ينفذ من هذا السد.

برقت السماء ووجد حيرآ تقف فوق السد وهى تبتسم فى سخرية، فرفع هرقل يده وبقبضة شديدة وجة ضربة اهتز لها لسد وانتفضت حيرا وباليد اليسرى هو بقبضة ففتح ثغرات كبيرة نفذ منها إلى الجانب الآخر تاركا الجبل خلفه عمودين مازال اسمهما حتى الآن أعمدة هرقل وبعد أن عبر نظر إلى السماء فوجد زيوس ينظرإليه مبتسماً فشكر له واستمر فى سيره.

على إحدى الجبال الشامخه هالة ضخمة من النور، صعد هرقل إلى تلك القمة فوجد أطلس العظيم وقد حمل على كتفه العريض قبة السماء والنجوم حوله متناثرة كحبات اللؤلؤ وبريقها يخطف الأبصار.

اقترب هرقل من أطلس العظيم وألقى عليه التحيه فبادله أطلس التحية . . ثم قال هرقل : بروميثيوس يبلغك السلام ويبشرك بأنه قد تخلص من لعنته الأبديه.

ومن ذلك القادر على تخليصه من عذابه المقيم.

أنا الذى خلصته.

إذن أنت من المقـربين إلى الآلهة فـلا يكن لأحد أن يخلص بومـيثيـوس من المردة والتياتين أو من البشر .

أنا هرقل ابن زيوس من الكـمين الأمـر الذى جـعل حيـراً تنقم عليـهـا وتريد أن تنجـعها فى وقـد تمكنت من أن تنفذ إلى زيوس وتجعـلنى بقضاء زيوس عـبداً للنذل بوريذوس لمده عام أنفذ مـا يطلبه منى دون اعتراض أو تأفف وأن أصـدع لما يأمر وقد أمرنى بإحضار تفاحات خسبريا الذهبيـة. وقد ذكر لى بروميثيوس بأنك الوحيد الذى يعرف أين تقع حدائـق السهبريد وأنك الوحيـد القادر على النفاذ إليهـا وإحضار هذه التفـاحات النادرة. . وبـذلك تكون أسديت إلى مـعروفـاً يظل فى عنقى أبد الآبدين وتنقذنى من الهلاك المبين.

كيف لى أن أنفذ إلى تلك الحدائق التى يحرسها التنين العملاق لادون.

لقد وهبت من القوة خـوارقها ولكنى لا يمكننى مواجهـة هذا التنين القاتل، وكم أنت أطلس العظيم قـادر على مـواجهـته فـمن أين له هذه القـدرة. . إن كل دواب الأرض تخفظ قـدرك وجميع الآلهة تعـرف مكانتك ولولا أن بروميثيـوس يعلم فيك القوة التى تمكنك من التفوق على ذلك التنين ما بعثنى إليك.

أهو قال لك ذلك؟

نعم وأكثر.

سرت فى جسد أطلس روح العظمـة والخيلاء وخرج القبة بيمنه ويسـاره ثم رفعها عن كاهله وأعادها مرة أخرى.

ثم نظر إلى هرقل وقال أصـبت كبد الحقـيقة فـإن لم أكن أنا أطلس العظيم قادراً على مواجـهة هذا التنين التافه فـمن له فى ذات الوقت نضرب حيراً فى مـقتل ولكن كيف أترك مكانى هذا لأحضر إليك التفاحات الذهبية؟

أنا أحمل عنك هذه القبة حتى تذهب وتأتينى بالتفاحات.

دون أن يفكر أطلس . . رفع قبة السماء واستقربها فوق منكبى هرقل وانطلق فهذه أول مرة يترك هذا المكان منذ أمد كبير ودهور طويله.

أطلق أطلس لنفسه العنان وظل يجوب الأرض بين البساتين والحدائق والفيافى القاحلة ويعتلى قمم الجبال ويغوص فى أعماق البحاروساح فى العالم الفسيح الذى يحفظ له توازنه ويحكم دوراته وفصوله.

وفى غمرة هذة النشوة الطاغية تذكر حدائق السهبريد والتفاحات الذهبية والوعد الذى قطعه وكان بحكم موقعه يعرف كل مكان على سطح الأرض. ودلف إلى الحدائق مباشراً وكانت محاطة بزسواريصعب أرتقاؤها اخترقها أطلس دون عناء وسار يبحث عن الشجرة التى تتدلى منها تفاحات حيرا، وفجأه وجد سهاماً من اللهيب والشرر أخطأ وجهه بماسفه قليلة فعرف أن التنين العملاق لادون فى أثره، وعيون كثيرة يتطاير منها الشرر تخرج من بين الأشجار فصوتها يصم الآذان، مد أطلس يده فإذا بشعاع يخرج من أطراف أنامله يعمى الأبصار ويفجرالرؤوس التى تحولت أشلاءها لتغطى وجه الحديقه، وفى هذه اللحظات نهر الرأس الأساسية للأدون وقبل أن يوجه إلى أطلس دفعة قوية من النار الملتهبة أسرع أطلس وتناول إحدى التفاحات وكان ظهر بريقها والقمة إياها فارتدت دفعه النار إلى جوفه بسمها الزعاف فتفجر جسده وخمدت ناره وتقدم أطلس بكل ثقة وانتزع باقى التفاحات الذهبية وكانت متلألئة وضاءة.

عاد أطلس إلى حيث ترك هرقل يحمل قبه السماء وكان مزهواً مختالا بما حصل عليه سعيداً تلك السويعات التى تحرر فيها وأخذ يعرج إلى السماء ويهبط وحيرا تتبع خطواته وهى ترى تفاحتها بين أنامله يتلاعب بها وهى تخجل أن تقترب منه أو تطلبهم.

اقترب أطلس من هرقل فتذكر أنه سيعود إلى محبسه يحمل القبة دون حراك لدهور قادمة وهم أن يعود لولا أن ناداه هرقل بعد أن عرف ما يضمره.

أحضرت يا أبتاه. .لقد عدت سريعاً. . كم استمتعت وأنا أحمل القبه وأرى العالم أمامى وتحت قدمى.

إذا كان ذلك ممتعا والحمل خفيف فما رأيك أن تظل فى موضعك بضع سنين وسأعود إليك لأحملها عنك.

لك ما تريد أيها العزيز أطلس ولكن هناك نتوء بين كتفى. . أحمل القبة لحظات حتى أزيله وأعود فأحملها عنك.

رفع أطلس قبه السماء عن هرقل الذى ابتعد بسرعة وتناول التفاحات الذهبية وانطلق تاركا أطلس متصلباً فى موضعه وقبة السماء بين منكبيه.

كانت رحلة العودة طويلة مضنية لاقى فيها الأهوال ومر ببلاد الأقزام وأخيراً وصل إلى مملكة أرخوس وفوق كتفيه قانية من ذهب صنعتها له الأقزام ووضع بها التفاحات الذهبية.

ألقى هرقل بالقانية عند أقدام يوريذوس الذى استقبله بالترحاب وأقام الولائم وقدم القرابين لزيوس ومجد هرقل.

١٣ - رحلة إلى دار الفناء:

مازالت حيرا تتلوى كمداً وتموت غيظاً وهى ترى غريمها يخرج من كل ناكبة أقوى ومن كل معركة بنصر مظفور وكم فلت من المنايا وكأنها تفو منه، فكأن للموت موتا وللفناء فناء . . لماذا لا ترسله إلى دار الفناء فقد لا يعود منها.

وسوست حيرا إلى يوريذوس أن يرسل هرقل إلى دار الفناء ويعود بسيربيروس ذلك الكلب الهائل ذو الرؤوس الثلاثة.

أفاق يوريذوس من نومه وقد انشرحت أساريره من الفكرة التى روادته فى الحلم وحضر هرقل إلى مجلسه فقال يوريذوس: لقد اقترب موعد حصولك على الحريه ولم يتبق لك إلا مهمة واحدة وعليك أن تقضيها.

ظهر الشر على وجه هرقل واستعجل أن يعرف هذه المهمة مهما كانت صعوبتها فإن الحرية غالية والخلاص من ربق العبودية نعمة.

قال يوريذوس: لقد تمكنت من إحضار نطاق هيبوليت والتفاحات الذهبية وأنت تعلم ندرتهم وأهميتهم بالنسبه لي ولزوجتي وأريد أن أجعلهم في مكان أمين في قبو سحيق وأجعل عليهم حارساً لا يمكن أحد الاقتراب منه فلا يكونوا عرضة للسرقة .. ولا أرى غير سيروبيروس الكلب الجهني حارس أمين عليهما.

كان هرقل يعرف الطريق جيداً إلى هيدز دار الفناء ولكن المرور إليه يحتاج معاونه بعض الآلهة حتى يسمح له بلوتو في النفاذ إليها.

وفي مجمع الآلهه كانت حيرا تجلس على عرشها تنظر إلا ما سينتهي الأمر فأوعزت إلى هرمز رسولا الآلهة أن يساعد هرقل على الولوج إلى دار الفناء دون أن يعرف بلوتو.

كان بلوتو رب الفناءيلهو مع برسفونية في حين كان هرمز يأخذ بيد هزقل يدلف به بوابة السعير ثم تركه يواجه مصيره.

وسط أنين المعزين ونواح المصلوبين والحميم يسيل أنهارا يذيب الأبدان ويشوى الوجه سار هرقل يبحث عر سيروبيروس حتى وجده ينهش الأبدان ورؤوسه الثلاثة موزعة كل منها موكلة بجسد تنبش فيه مخالبها فتخرج أحشاؤه فتلعضها بلسانها الطويل وعيونه الستة يتطاير منها الشرر.

اقترب هرقل وقذف عليه شبكة حماء أعدها خصيصا لهذا الغرض فكمم أفواهه وأغمض عينيه وحمله على ظهره وأسرع خارجاً دون أن يلحظه إله الموتى..

دخل هرقل مدينة أرجوس والحرية ترقل حوله ولا تكاد قدماه تلمس الأرض من فرحته ودخل ساحة العرش فوجد يوريذوس منتفخ الأوداج سعيداً فقد انتهى من إعداد قبو لا يعرف مكانه أحد إلا هو بعد أن أمر فقتل كل من اشترك في إعداده وضع فيه النطاق والتفاحات الذهبية وكل ما يملك من كنوز وجواهر.

شكراً ياعزيزى هرقل اليوم وقد أنهيت مهـامك الثلاثة عشر وأصبحت حراً طليق فقد أترك لى هذا الحارس الأمين.

خرج هرقل من قصر يوريذوس وهو لا يصـدق أنه تخلص من قضاء زيوس الذى أذله فترة طويلة لم يستمتع فيها ببهجة الحياة.

فى هدأة الليل وسكونـه وقد أمـر يوريذوس الحـراس والخدم أن يتـركـوا القصـر استجمع قوته هو وزوجته وأخذا يجر الشبكه حتى وصل إلى القبو الخفى ، ثم عمدا إلى خـيوطهـا يفكها بحـذر وفجـأه خـرجت أحد الرؤوس الثـلاثة ففـزع يوربذوس وانتفضت زوجـته وفى سرعه لم يتوقعـها يوريذوس كان سيروبيـروس خارج الشبكة فخلع قلبه وتراجع إلى الخلف فسقط فى القـبو هو وزوجته وأغلق باب السرداب على الجميع وصار يوريذوس وزوجته فى القبو مع غنائهما وكنوزهما وأمام السرداب وقف سيروبيروس يحميهما من المجهول حيث إن هذا المكان لا يعرف بوجوده أحد.

انطلق هرقل سعـيداً بحريته وتعددت لقـاءاته بمحبيه ومعـجبيه من البـشر والآلهه وعرج إلى قمـة الإولمبوس واستقبل فى مجـمع الآلهة استقبـال الأبطال الأفذاذ وأخذ يسرد حكاياته ويقص مغامراته مع السباع والأفعوان ونساء الأمازون وتندد الجميع معى أطلس الذى أراد أن يكيد بهرقل الذى هزم المكيدة بالمكيدة.

أقيمـت على جبال الأولمبوس حلقـات تصارع فيهـا هرقل مع بعض الأرباب وقد حضـرها زيوس تعبيـراً عن فخره وزهوه بابنه المـطيع الذى تمكن من اجتيـاز المخاطر والأهوال.

زواج هرقل:

عاد هرقل بعد أن انتهت الاحتفالات إلى مجتمع البشر بزرع الأرض ويرعى الماشية ويعين كل محتاج وينصر كل مظـلوم ويحارب السناتير ويعاون الإغريق فى صراعتهم ضد طروادة.

كان لهرقل جـارمشاكس كثيراً مـا أثار حفيظته فذهب إليه هرقل ليـحفظ كل جار لجاره حقه فثار الرجل فى وجه هرقل الذى عـاجله بضربة صرعته فحكم عليه زيوس أن يعود هرقل إلى ربقة العبودية يعمل فى خدمة أمفالية ملكة ليديا بضع سنين.

تمكن هرقل بما وهب من قوة خارقـة وهيبة المنظر وجمال الخلقة أن يسـتميل قلب هذه الملكة الجميلة وبدلاً من أن يكون عـبداً لهاسار معبـوداً وبدلا من أن يكون خادماً لها صـار ملكاً عليهـا وقضى أيامه فى نعـيم الحب مغمـوراً برضى الملكة، ينهل من نهرها الفياض.

لم تكن حيرا بعيداً عما يحدث وكمـا سعدت بعقاب هرقل حنقت وغضبت عندما رأت أن العقاب تحـول إلى هناء وراحة ومتعة فأوعـزت إلى زيوس أن يبعده عن تلك الملكه الفاسقة التى خانت عهد زيوس العظيم.

طرد زيوس هرقل من مملكة ليديا وطلب من حيرآ أن تكف عن أذاها وأن هذه هى المرة الأخيرة التى سـتلاحق ابنى لعنتى ولعنتك وأننى أعلم بأنك الذى أقـحمت جاره عليه وكنت سببا فى أن الرجل لقى مصرعه.

خرج هرقل من مملكـة ليديا وهو حزين على فـراق ملكتها التى فـجرت مشـاعره وأثارت غرائزه وأطلقت لسانه . . أخذ يطوف أرجاء الأرض يبحث عن مأوى ومكان يعيش فيه حتى وصل إلى مملكة كاليـدون فدخلها يبحث عن خان يلوذ به ولى نصف الليل وهرقل يغط فى نوم عـميق فـسمع هدير الأرض من تحتـه ترتجف فقـد ضرب المدينة زلزال قوى هدم المعبد وقصرالملك . . فأسرع نحو المعبد فلم يجد به أحد فأسرع نحو قصرالملك فعرف أن الملك وأسرته حبـستهما الانهيارات وباتوا تحت الركام الثقيلة.

قام هرقل بحمل الأحـجار وأبعاد الركام وتمكن من إنقـاذ الملك وأسرته من الهلاك المحقق.

شكر الملك وأسرته لهرقل صنيـعه، وقام هرقل بإعاده بناء المعبـد وساعد فى إعادة بناء قصر الحكم . . فأصبح بذلك قريباً من الملك وأسرته.

كانت ديانيرا ابنة الملك أونيوس بارعة الجمال حتى أن الآلهة كانت تتهافت عليها، ولكن الأميرة الجميلة آنست لهرقل ورق له قلبها وبادلها هو حبا بحب وعشقاً بعشق، وصارت تجمعهما خميلة فى أطراف الغابة يبث كل منهما إلى الآخر معسول الكلام ويتناجيان من وحى الهوى وعلم منها أن أخيلوس أحد آلهة الأنهار قدخطبها من والدها وأن الملك قد أجابه طلبه.

فقالت لهرقل والدموع تنساب من عينيها الجميلتين:

«أيامنية الروح والفؤاد، هل أسعد بأن تزيح هذا الكابوس عن قلبى وتقف بحبك حائلا بينى وبين الشقا الذى يتربص بى.. فنكون أهنأ زوجين ينعمان بلذه الحب ويرفلان فى برد السعادة. ويغنيان مع الطير الحان الهوى والحياة».

ولمست كلمات ديانيرا أوتار القلب العاشق فأثارت فى نفسه نخوة الرجال وثورة الغيرة وحمية البطولة وحب المغامرة واقتحام المخاطر، واعتزاز النبلاء وحماسة الشجعان فقال لها: أيتها الجميلة قرى عينا فليس أيسر على هرقل من حرب الآلهة لقد صارعتهم جميعاً فى حفل الأولمب، وقد مر بى من المغامرات والمخاطر ما ينخلع من بعضه قلب أخيلوس.

دخل هرقل على الملك فأحسن استقباله وأجلسه بجواره فتحين هرقل الساعه وطلب من الملك يد أبنته ديانيرا أطرق الملك برهه ثم قال كم أتمنى أن أهبها لك ولكن أخيلوس سبق وطلبها وقد وافقت وأنت تعرف ماله من حول وطول وجبروت ولكنى لأفضله عليك لعملى بمدى حب أبنتى إليك وسخطها عليه.

خرج هرقل من القصر رفع رأسه إلى السماء أيازيوس العظيم لقدحرمتنى كثيرا وعذبتنى كثيراً وكنت عندك أهون من الإبهام وها أنا أقف بين يديك ليكن بينى وبين أخيلوس يوماً فوق رؤوس الأشهاد من يظفر بالأخر تكون له ديانيرا.

كان أخيلوس قد وهب القدره على التحول فى أشكال عديدة وصور مختلفة فوافق أن يواجه هرقل واثقا من قدرته على قهرذلك المغرور التعس.

وفى اليوم الموعود اجتمع الناس من كل فج يشاهدون هذا الصراع وكانت الآلهة مجتمعة فوق جبال الأولب ترقب هذه الملحمه وتواجه الجبارين وتصارع العملاق.

تعلقت الأبصار بسواعد تعلو وتهبط كالصواعق والأرض ترتجف لوقع الأقدام وارتطام الأبدان وأخيلوس كلما تعب منه شق تحول إلى شكل جديد من أشكال الضوارى والأفاعى والتنين وكان هرقل كلما بدى عليه الإرهاق وخارت قواه نظر إلى ديانيرا التى تستعطفه بدموعها ألا ييأس فيستمد منها القوه وتعيد له حيويته.

تحول أخيلوس إلى ثور عظيم الحجم قوى البدن وترفين يحمل عليها العالم وضرب بقدميه الأرض وأندفع نحو هرقل الذى قفز إلى أعلى وأمسك بإحدى القرون وكسرها فاندفعت الدماء تخضب كل الجسد الذى تهاوى على الأرض فأثار زوبعه خشيت الأبصار ولمحت الآلهة أخيلوس وقد تصور خنزيراً وأسرع يبتعد عن ساحة الوغى هارباً دوت الساحه بالتصفيق وانطلقت الهتافات وباقات الزهور تغمر ذلك البطل المغوار وأسرعت الجموع تحمله على الأعناق حتى أوصلوه إلى ساحة الملك لقصر الملك.

أقيمت الزينات وحفلات الطرب وامتدت الموائد وفتح قصر الملك أونيوس أربعين يوماً يستقبل المهنئين من جميع الأجناس والممالك بزواج هرقل العظيم من ابنته ديانيرا.

هرقل والرحلة الأخيرة:

أمضى هرقل أياماً سعيدة بين الأحضان الدافئة والعيون الكحيلة يغب من أطياف الهوى ما يحلو له فكانت له البسمة والحنان وكان لها الحمى والأمان.

طلبت ديانيرا من هرقل أن يطوف بها أرجاء الأرض ويجوب الآفاق.. فخرجا ينشدان جمال الطبيعة فمن بساتين وحدائق إلى جبال وسهول يقضون النهار فى سياحة ومرح وعندما يجنى عليهما الليل يلوذان بمأمن ينهلان من نهر الحب. وذات صباح اعترضهما نهر عظيم فجلسا على حافته وقد هماً بالعودة وعند انتصاف النهار

مر بهما سنتــور وعرف برغبتهما فى عبــور اليم العظيم عرض السنتور على هرقل أن يحمل ديانيرا على ظـهره ويعبربها إلى الضـفة الأخرى ثم يعود فيـحمل هرقل حتى يصل بسلام.

نسى هرقل ما كان بينه وبين قبيلة السناتيـر من عداوه وبغضاء أو لعله ظن أن بعد وفاة مـعلمه شيـرون زالت العداوة وذهبت البـغضاء ولـم يكن يـدرى أن هذا السنتور مبعوث حيرا مازالت تحمل له الأحقاد تسعى لتكيل له الأحزان.

أعان هرقل زوجـته فى اتقاء ظهـر السنتور واطمأن إلى اسـتوائها خـاض السنتور سريعــا وأطلق ساقيه للرياح وعلى ظهــره هذه المسكينة التى لا تعرف لها نصـيراً ولا منجيــا فأطلقت صرخة مـدوية أفزعت هرقل فرمق السنتـور يعدو مسرعـاً ففطن إلى خيانته التى أرتوت من دماء هيدرا السامة وصوبه نحو عنق السنتور فأصابه.

أحس السنتــور بأن السم يجـرى بجســده مجـرى الدم أنه إلى الموت يسـرع وبداء جسمه ينتفض والحياة منه تنسحب، أسـرعت إليه حيراً فوسوست له بأن يجعل هرقل يموت بذات السم الذى قتله.

مال السنتور برأسه نحو ديانيرا وقال لها: ياعزيزتى إنما فعلت ما فعلت لأنقذك من هذا الذئب الذى عاش حياته يتقلب بين أحضان النساء لقد عاشر قبلك الكثير وعندما يمل الزوجة أو الخليلة أو العاشقة يتركها تكتوى بنار الوحدة ذليلة تعانى لوعة الفراق، ما عرف هرقل الحب يوماً وما نعمت معه امرأة إلا أياماً معدودة اسأليه عن أومنالية أو الجميلة ميجارا.

أراك لا تصدقينى لأنك خدعت به . . قبل أن أموت خـذى قميصى هذا فاحفظيه لديك فإذا أحـسـت بجـفوة أو تغيرت طبيعتــه مرة . .اجعليه يلبسه وأقنعـيه بأن يقيه أعداءه ويبعد عنه الشرور.

ولكنه تخضب بدمائك!!

هذا هو السر فيه وهو الذى سيعده ليقبل قدميك ويكون طوع أمرك وعبداً فى محرابك وخر السنتور وقد فارقت جسده الحياة.

أخفت ديانيرا القميص المخضب بالدماء والمسمومة عن نظر هرقل الذى وصل إليها بعدأن عبر اليم سابحا متلهفا عليها وعلى سلامتها ولكن لقاءها كان بارداً على غير ما كان ينتظر هرقل.

طلبت ديانيرا العودة إلى ديار أبيها حتى لا يتعرضا لمثل هذه المخاطر.. عاد الاثنان إلى مملكة كاليدون ولكن ما عادت ديانيرا تلك العاشقة الوالهة المحبة ، فقد دبت فى قلبها الشكوك وشغلت بالها الظنون.

سألها هرقل ما سبب هذا التغيير من طبيعتها وعزوفها عنه؟

أذهب إلى أومفاليا أو ميجارا أو النساء الآخريات اللاتى عرفتهن فقد تجد عندهن السلوى ويعود إلى قلبك الحب الدفين.

أو منااليا وميجارا والنساء الأخريات .. ما هذا الذين تقولينه.. ميجارا كانت زوجتى وقد مات منذ زمن طويل أومفاليا امرأه عابرة فى حياتى أما أنت فأنت الزوجة والخليلة والأم والابنة .. أنت أصبحت كل حياتى ولا تغنينى عنك نساء العالمين.. لا تجعلى من ظنونك سداً بينى وبينك ولا تهدمى ما قد بنيت لأعيش حياة مستقرة هانئة.

ابتسمت ديانيرا وارتمى هرقل بين أحضانها وباتا ليلتهما فى سعاده وهناء .. ولكن القميص مازال حبيس خزانتها فقد لان قلبها ولكن عقلها مازالت تترنح فيه الظنون.

كانت دنانيرا تسعى لإنجاب طفل يوطد علاقتها بهرقل فسلكت فى ذلك كل مسلك وحارت بين الأطباء والسحرة وقدمت القرابين وبذلت فى سبيل ذلك جهداً عظيماً، وطالت الأيام وتعددت المحاولات دون فائدة ترجى فزادت عندها الوساوس وعظم عندها الخوف من أن يهجرها هرقل لعقمها وعدم قدرتها على إنجاب أطفال.

خرج هرقل بعد أن أوكله والدها ملك كاليدون لمهمـة عند أومفاليا ملكة ليديا وقد حـاولت ديانيـرا أن تثنيـه عن هذه الرحلة ولكن والدها أصروهـو لا يعلم لهـذا الاعتراض سببا.

غادر هرقل مملكة كاليدن واستقبلته ملكة ليديا بكل ترحاب وكانت قد تزوجت من أحد رعايا مملكتها وأكرمت وفادته وطالت أيام ضيافته.

دبت نار الغيرة فى قلب ديانيـرا وتذكرت وساوس السنتور فأخـرجت القميص من مخبأه وأرسلت به رسولا إلى زوجها هرقل ومعه رساله تسأله بحق حبها له أن يلبس هذا القمـيص وليجـعله ملامسـاً لجسـمه فإنهـا تخشى عليـه أن يصيـبه مكروه وهذا القميص سيمنع عنه كل سحر أو شر وهى تظن أن هذا القميص سيعيده لها.

لبس هرقل القـميص وهو يبـتسم من أفكار النسـاء.. وما كان الـدم الجاف على القميص يتبلل بعرق هرقل فإذا بالسم الزعـاف يخترق هذا الجسد الذى بدأ يشتعل من الداخل ومن الخارج فأخذ يصرخ حتى التف حوله جميع من بالقصر.

حاول هرقل أن ينزع عنه القميص وهم من حوله بمساعدته ولكنهم لم يتمكنوا فقد كان القميص قد التصق بجسده وبدأ جلده يتـمزق ولحمه يتهرأ وصارت الدماء تنضح من كل أجزاء جسده.

وسط العويل والصراخ والنحيب والبكاء سقط الجسـد العملاق يترنح يلفظ أنفاسه الأخيره وقد تحول إلى جثة هامدة

أسرع جميع الآلهـة فى محاولة لأنفذه ولكنهم وجدوا أن الروح قـد فارقت الجسد فأدملوا جراحـه وأعادوه جسداً سليمـاً قامت الآلهة بمصاحبـة الروح إلى قمة الأولمب تزف ابن زيوس العظيم الذى كـان فى استـقبـاله وبشره بأن قـد تخلص من همـومه وأحـزانه وصاحـبه إلى قـصره المنيف الذى بـنى خصـيصـا له قريبـا من قصـر رب الأرباب.. وكانت حـيرا تظن أنه سيذهب إلى العـالم السفلى فأصابهـا الهم والحزن وندمت على ما فعلت.

أما الجثمــان فقد قامت ديانيرابحمله ودفنه فى جبل أوبتــا وابتنت لنفسـها داراً تطل على القبر الذى أحاطته ببستــان من الزهر والفل والرياحين ترويه بدمعها ولم يمر عام إلا كانت جثـتها مسجـاة بجوار جثته وضــمهما القـبر ولكن الأرواح سارت كل فى طريق .

* * * *

آجاممنون
ميراث الشر

مازل الظلم متفشيا والغدر ينشب مخالبه والخيانة تخرب النفوس والأطماع تزلزل أركان الأمان، والكراهية عمياء والغرائز تثير الشهوات وتهتك الأعراض، وقبة الميزان تترنح بين الحق والباطل واليأس والرجاء والخير والشر وتلك نواميس الحياة وستظل ما دام الليل يعقبه نهار وما دامت على الأرض جزء من اليابسة لم تغمره المياه.

آجاممنون
ميراث الشر

وتعتبر أسطورة آجاممنون تجسيد للشر . . كل الشر . . الغدر . . الظلم . . الخيانة وسلوك المفاسد والموبيقات للوصول لغايات خبيثة وأغراض دنيئة .

لعنة قابيل:

تآمر ثويسترس لقتل أخيه أتريوس للاستيلاء على عرش مملكة موكيناى بمساعده ابنه أيجيستوس الذى قتل غدراً وشرد أسرته .

نجا الطفلان آجاممنون ومنيلادوس ولدا أتريوس من المذبحة التى راح ضحيتها باقى الأسرة عندما هرب بهما الخادم الأمين ديلادوس إلى مملكة سبيكون حيث تمكنا من الاختفاء إلى أن تتوقف عنهما مطاردة عمها وابنه

ظن تويستوس وابنه آيجستوس أن الأمر قد استوى واستقر لهما الحكم ودان لهما الملك وأنهما قد خلصا من أتريوس وأسرته وانقطع نسله .

بعد فتره وقد خف عليهما الطلب، انتقل بهما الخادم ديلادوس إلى كالودون أيتوليا فى كنف الملك أوينيوس وكان صديقًا لوالدهما حتى وصلا إلى طور الفتوة والشباب وكان خادمهما يذكرهما بالعرش وغدر العم وقسوه ابن العم .

رحل الشابان إلى إسبرطة ينشدان عند الملك ترنداريوس العون لاسترداد ملكهما والانتقام من العم القاتل مستغلين عداوة الملك ترنداريوس لعمها .

وجد الملك ترنداريوس الدافع لغزو مملكة موكيناى وتخليصها من ثوريستوس فجهز حملة وتنازل ثويتيس عن العرش وخرج من موكيناى وكان ابنه إيجستوس قد سبقه من الخروج منها خوفاً من انتقام أبناء عمه منه ولجأ إلى الملك كولارابيس يلوذا بالأمان .

استقـرت مملكة موكيناى بعد أن اعـتلى أجاممنون عرشهـا ودانت له بعض الممالك الإغريقيـة بعد أن زاع سيطه ونشر عدله فرض الأمن والسـلامة وحل الرخاء ودان له الشعب بالولاء.

كان تناتالوس ابن عم آجاممنون يحكم مملكة بيزا المجاورة وكان آجاممنون يكن حقداً وكرها لعمه بروتياس الذى لم يساند والده حين غدر به أخوهم ثويستيس.

قويت شوكة آجـاممنون وزادت سطوته فتحين الفرصـة وهاجم مملكه بيزا وقتل ابن عمه وضـمها لعرشـه. .أحسن آجاممنون معاملة أرمـلته كلوتمنسترا التى كـانت تتمتع بقسط وافر من الجمال والخبث.

عرض آجاممنون الزواج على كلـوتمنسترا فرفضت فى أول الأمـر ولكنها كانت تود السلطة والنفوذ وها هى قد أصـبحت أسيرة لا حول لهـا ولا قوة. . فلماذا لا ترضى حتى تتـمكن من الخلاص من هذا الذى تحول من مظلوم إلى ظالم ومن مـغدور إلى غادر ومن مسلوب إلى سالب وناهب.

كانت لكوتمنـسترا أخت لهيلينى الجمـيلة وأبنة لتونداريوس الذى ساعد آجاممنون فى استعادة عرشه. . فأخذ آجاممنون للوتمنسترا إلى والدها وطلب منه العفو والموافقة على تزويجه ابنته .

عـفى تونداريوس عن آجـاممنون وبارك زواجـهـمـا وبعـد فـترة تزوجـت هيلينى مينلادوس شقـيقه آجاممنون وعاش الجـميع فى سعادة وأنجبت لكـوتمنسترا ثلاث بنات هذا الكترا وإفيجينيا وخروسوثميس وولداً واحداً هو أورستيـس.

حرب طروادة:

كانت هيلينى أجـمل نساء الإغريق وزوجه مـينلاووس وقد فتن بجمالهـا القاصى والدانى. وعرفها باريس وأوسم شباب طروادة وفتن بها فخطفها ولاذ بدياره.

ثارت ثائرة الإغريق واعـتبروا ذلك امـتهانـاً لهم، فصمـموا على اجتـياح طروادة وتخليص هيلينى وتأديب باريس وقومه الطرواديين.

تجهزت الجيوش الإغريقيه وعقد لواءها لأخيليوس العظيم، ودارت رحى الحرب التى استمرت عشر سنوات والتى تعتبر أكبر الملاحم الإغريقيه.

كان آجاممنون أحد قواد هذه الحملة العظيمة وغاب عن زوجته كلوتمنسترا طول هذه السنوات العشر كانت خلالها ترعى شئون المملكة ومصالح الشعب سنوات طوال وذلك قبل أن يظهر إيجستوس وينتهز فرصة غياب ابن عمه آجاممنون لينتقم ويستعيد عرش موكياى.

طال زمن الحرب ونشب خلاف بين القادة الإغريق وكان ضحيته بالاميديس القائد الإغريقى الذى حكم عليه بالإعدام رجماً بالحجارة.

حزن ناويليوس لقتل ولده وعقد العزم على الانتقام من كل ملوك الإغريق وأمرائهم، ولكن كيف وهو لا يملك جيشاً وليس لديه سطوة.

تفتق ذهن ناويليوس من فكرة خبيثة يضارع بها أبالسه الجحيم ورأس الشياطين فأخذ يجوب بلاد الإغريق يتقرب من زوجات وبنات الملوك والأمراء المرابطين فى أرض المعركة والغائبين عن بيوتهم وزوجاتهم وأسرهم . . يحضهم على الرذيلة ويدفعهم إلى طريق الخيانة مبين لهن أن أزواجهن يتمتعون بالسبايا والجوارى وقد تركوهن تنهش فيهم الغريزة والمتعة وتسلط عليهن الواحدة تلو الأخرى يذبح فيهن العفة والطهارة ، فصار العشق تاجاً والفسق منوالاً والخيانة مشروعة والفضيلة سقماً وهماً.

شاعت الرذيلة فى البلاد وتحولت دور الحكم أوكاراً للفسق والمجون وكانت كلوتمنسترا الملكة الأم أكثرهن استلذاذاً وترحيبا بهذا النمط من الحياة ووضعت كل المشاعر النبيلة تحت قدميها ونحرتها على مذبح الشهوات التى أطلقتها من عقالها.

تلاقت رغبات كلوتمنسترا مع أطماع إيجيستوس الذى أخذ يتقرب منها يبث فيها عبارات الغزل وتظاهر بعشقها فبادلته عشقاً بعشق وسبحا معاً فى بحور الفسق وغاصت فى سراديب الخيانة واتفقا على قتل آجاممنون إذا ما عاد من المعركة.

كان رجال القصـر لا يملكمون عليها قوامة ولم يتـمكنوا من ردها لجادة الصواب فكانوا يتـابعون ما يحـدث فى صمت وقـد زاد عنادها وتجبـرها مسـتمدة قـوتها من إيجيستون الذى زين لها ما تفعله وأعانها عليه.

كان زيوس كبير الإلهة يرقب ما يحدث دون أن يتدخل فترك الفضيلة تنحر والفساد يعم والأعراض تستباح وتختلط الأنساب والكـل يسعى لهواه وقضاء لذته واكتفى بأن حذر إيجيستـوس وهدده وتوعده ولكن إيجيستوس لم يأبه بهذا التهـديد والوعيد فقد كـانت إرفروديتى ربة الرغـبة والحب الماجـن توسوس له بأن زيوس يغـار منه وأنه لا سلطان على قلوب العاشـقين وتزكى فى نفسه رغـبة الانتقام من آجـاممنون بأن يهتك عرضه ويستولى على مملكتة ولم تجد فى ذلك عناء.

كلما غاب الزوج عـن زوجته تخمد نار الحب إن وجـد وتبحث المرأة عن بواعث الكراهية لتـستـعين بها على ارتكاب الخطيـئة وسلوك دروب الخـيانة، وما أكـثر هذه البواعث عند كلوتمنسترا فـآجاممنون قاتل زوجها الأول تاتنالوس وقتل ابنهـا التى انجبته منه وعندما لاحت الحرب أسرع فى الاشترك فيهـا بل وقدم ابنته آيقيصينيا قربانا للآلة وها قد مرت العشر سنوات هجر فيها فرشها فغابت عنها متعتها ولذتها وهو قد تزوج من الأميرة كاساندرا ابنه الملك الطراودى برياموس بعـد سبيها وأنجب منها طفلين وقد تأكد لها ذلك، ما الذى يمنعها من أن تعيش حياتها ولما التردد والتآمر على قتله إذا ما حضر.

مقتل آجاممنون:

وضعت الحرب أوزارها بعد حـصار طروادة لزمن طويل وبقى توطيد أركان الحكم فعمت بلاد الإغريق الفرحة بهذه العودة المظفرة وأقيمت الأفراح فى كل الممالك.

أرسلت كلوتمنسترا إلى زوجها بأن يرسل لها ميعاد وصوله لتعد له الاستقبال اللائق بالملك المغوار والقائد العظيم والمحـارب الشجاع فأخبرها بأن يستـعد للعوده ولكنه لا يعرف موعداً محدداً إلا أنه استتباب الأمـر وسقوط طروادة نهائيا ستقام المشاعل على جبل إيدا إيذاناً بعودة الملوك والأمراء إلى ديارهم.

صفت كلوتمنسترا فريقاً من حملة المشـاعل يحتل كل حامل مشعل قمة جبل يكون فى مرمى بصر الآخر على طول الطريق بين طروادة ووموكيناى ، يرصد الشعلة فيقوم بإشعال شـعلته. . وفوق القصـر موكيناى يظل أحـد الحراس يرصد آخر شعلـة يخبر الملكة بأن آجاممنون قد بدأ التحرك فى طريقه إلى البلاد.

ما أقـصى ساعات الانتظار فهى تمر بطيـئة مملة قاتلة وكـانت كلوتمنسترا تستـعجل الأيام وتدفع السـاعـات لأن تمر لتـتـخلص من ذلك الكابوس الجـاثم على صـدرها فحرمـها النوم وأرقها السـهـاد وكان إيجيبتـوس يشاركها هذا الأرق والقلق فـهو يعد نفسه لاستعادة ملكه والانتقام لأبيه.

سيطر الإغـريق على طروادة وقتلوا وذبحوا فـيها من الطراوديين، دمـروا مبانيـها وخربوا ديارها وقتلوا سكانها وانتشى المنتصرون وغـادروها غير آسفين على ما حدث وقد أتوا على الأخضر فيها واليـابس، ردموا الأنهار بالجثث وأشعلوا النار على جبل إيدا تأكـيدا على سـقوط طروادة وإيذانا بالرحـيل عنها والعـودة إلى الديار ملهوفـين لأسرهم وزوجاتهم وآبائهم بعد طول غياب.

سرعان ما أضيئت المشاعل لتنقل أخبار العودة أسرع الحارس الموكل برصد الإشارة من فوق قصر آجاممنون إلى سيدته يزف إليها الخبر.

تغير وجهها وبقدر لهفتها لهذه الساعة كانت خائفة وجلة فقد حانت ساعة المواجهة وبدأت تراودها الأفكار . . ماذا سيـحدث إذا فشلت خطتها وتخلى عنها إيجـيسترس وكشف آجاممنون هذه المؤامرة ؟! ماذا لو سبقها إليـه أحد الموالين إليه وأخبره بعلاقتها الآثمة فيأخذ حذره؟!

لم تفيق من هواجسها إلا على صوت إيجيسـتوس الذى أسرع إليها وأخذ يطمأنها على نجاح الخطة وأنهما على وشك الخلاص من غدوهمـا المشترك. . وأخبرها بأنه قد أرسل أحد أعوانه المخلصين إلى شاطئ البحـر يرقب وصول السفن ويعمل على إبعاد أى نفر يحاول الاقتراب من آجاممنون.

استعادت كلوتمسترا طبيعتها الغادرة وبعد أن ذكرها إيجيستوس بإنفاقهما وزين لها المستقبل بعد الخلاص من ذلك الغادر القاسي. . فبدأت تعمل على تنفيذ المؤامرة.

وصلت سفينة القائد آجاممنون إلى شواطئ ناوبليا سالمة برعاية هيرا التى أمرت الرياح فارتعد البحر وعلت الأمواج ومزقت السفن وغرقت بعضها بقادتها والكنوز التى نهبت من طروادة.

أنحنى آجاممنون يقبل أرض الوطن ورفع يده إلى السماء يبتهل لسلامته وغنائمه وعودته إلى زوجته وأبنائه.

أسرع تابع إيجيستوس فأرسل إليه من يخبره بوصول آجاممنون ومرافقته أعد إيجيستوس كمينا داخل القصر من عشرين رجلا مات قلبهم وقويت سواعدهم وأشهروا سيوفهم وشحذوا خناجرهم.

أقيمت الأفراح واصطف الرعايا على جانبى الطريق تحى الموكب العظيم الممتد يتقدمه البطل آجاممنون يتهادى فى عجلته الحربية بنيفه يبرق ودرعه ينطق وإكليل النصر يتوج جبينه وعربات كثيرة محملة بالغنائم وجند كثيف يخلفه.

وصل الموكب إلى قصر الملك وكانت كلوتمسترا فى كامل زينتها وبهائها تنتظره عند باب القصر لترحب به، وقد افترشت الأرض بالورود وبسطت البساط الأحمر موطئ لقدمى البطل المغوار والزوج العزيز.

طلبت كلوتمسترا من زوجها أن يسير على البساط الأحمر الأرجوانى وهو يمشى الآلهه رفض آجاممنون حتى لا تغضب عليه الملائكة ،ولكنها أصرت على ذلك فهو عندها أفضل من اللهه. . لم يكن يدرى ما تدبره هذه الخبيثة.

وطئ البساط وهو يمنى نفسه بحياة هانئة سعيدة مع زوجته وأبنائه وسط رعاياه ومحبيه، يستشرف غد ينعم فيه بالراحة والأمان والاستقرار ،وهى بجانبه تزفه إلى الموت وتسوقه إلى نحره وتنظر فيه معشوقها إريجستوس وقد غمرها بحبه وحنانه ومعسول كلامه.

لقد أحبها آجاممنون وعرف فيها الزوجة الوفية والصدر لحنون والأم الرءوم والصديقة المخلصة ينظر إليها فتبتسم له وتشعل فيه نار السنين التى قضاها بعيداً عنها فعاد الحب يتدفق فى صورة وهى قد كرهته وعادت إليها صورة زوجها الذى قتله وأبنها الذى نحره وأبنتها التى ضحى بها وغربته التى طالت سنين وزواجه وأبنائه من غيرها فتشعل فى قلبها نار الحقد والغيرة.

وقف آجاممنون فى شرفة قصره منتشيا يلوح لمستقبليه يرد إليهم التحية وبينهم وقف إيجيستوس ينتظر اللحظة المناسبة ليتدخل وكانت هناك بين المرافقين كاساندرا وأولادها وأتباعه المخلصون.

كانت كاساندرا ذاهلة لا تعرف مصيرها وسط هذا الزخم العظيم وهى التى اختارها أبوللون إله عالم الغيب فوهبها بعض علمه فدار أمام عينيها مشاهد لم ترغب فى تصديقها ولا يمكنها أن تعلنها فى هذا الموقف ، فقد رأت آجاممنون مخضب بالدماء جثه هامده وكلوتمنسترا تمسك بخنجر يقطر دما وبجانبها شخص لا تعرفه.

فزعت كاساندرا وصرخت صرخة عظيمة ولكنها لم تسمع . .وأخذت تلوح لآجاممنون لم ير يديها التى تاهت وسط الآف الأيدى.

تأبطت كلوتمنسترا يد آجاممنون ودلفت به داخل القصر وظلت تغدق عليه من مشاعر الحب والحنان فأسلم نفسه لها وهو لا يعلم مصيره المحتوم وساعاته المتبقية.

التقطت كلوتمنسترا قطعة من القماش واقتربت بها من أجاممنون فظن أنها تريد أن تجفف بها ما علق بوجهه من ماء الورد التى ألقيت عليه.

وفجأه ظهر أفراد الكمين والتفوا حوله وشلوا حركته وقامت كلوتمنسترا بإلباسه ما كان بيديها فغطته من رأسه إلى أخمص قدميه، عندها ظهر إيجيستوس وطعنه طعنة قاتله بسيفه فتهاوى الجسد على الأرض فأسرعت كلوتمنسترا وأستلت خنجرا ولم تترك الجسد إلا وقد فصلت عنه الرأس.

صرخ بعض الخدم صرخة مدوية وصلت إلى الجموع الغفيرة والتى ما زالت مرابطة أمام القصر أسرعت كاساندرا نحو القصر فعاجلتها كوتمنسترا بطعنة نافذه أردتها صريعة.

نشبت معركة سريعة بين أتباع آجاممنون المخلصين وأتباع إيجيستوس وكلوتمسترا الذين أحاطوا بالقصر وتمكنوا من السيطرة عليه.

خرجت كلوتمنسترا إلى شرفة القصر وبيدها رأس آجاممنون وبجانبها وقف إيجيستوس مزهوا فرحاً بالانتصار على غريمه.

تمكن إيجيستوس من فرض سطوته على البلاد وأباد نسل آجاممنون واستولى على قلب كلوتمسترا واعتلى العرش بعد أن قضى على معارضيه إما بالقتل أو النفى.

تمرست كلوتمسترا على الخطيئة واستعذبت الخيانة واختارت طريق الهلاك وهى معتقدة أنها التى اختارت قدرها وصنعته، اختارت الرجل الأفضل ورفعته اختارت الرجل الذى يحبها وعشقته وعاشت فى ذلك اختارها لينتقم ويعيد عرشه ومال أبيه وهو الذى أفقدها زوجها وقتل أولادها وسلبها كل سئ وعاش فى ذلك الوهم سنين وهو لا يعلم أنه كان أداه للآلهة لتنفيذ قدرها وتحقيق لعنتها التى أورثها تاتنالوس لابنه بلويس ، ثم أورثها لابنه أتريوس الذى أورثها لابنه آجاممنون.

* * * *

جاسون
كنز الكنوز

بين الأمل والرجاء والرغبة والخشية وفورة الشباب ورجاحة العقل، والقناعة والطمع قام جاسون بين رفاقه وفى شجاعة تمنى أن تدوم قال: يا رفاق لقد تجاوزنا مهالك كثيرة واقترب منا الموت وقد اختلطت أنفاسه بأنفاسنا، وعبرنا بوابة الموت التى كادت أن تسحقنا بين فكيها لم تهن عزيمتنا ولم تخر قوانا، لقد صارعنا الموت حتى بات يخشانا لقد اخترتكم ليكون مجدى مجدكم وعزى عزكم وقدرى قدركم، فهلم إلى المصير المحتوم والقدر المرسوم ليكون لنا كنز الكنوز.

جاسون
كنز الكنوز

كان أيسون ملك تساليـا حاكما عادلاً، طيبالذكـر لحلمه ووقاره ولكنه لم يفطن لما يكيد له أخوه بلياس الداهية الماكر، الذى قابل عطف أخيه بالحقد وكرمه بالغل.

تآمر بلياس مع بعض أتباع أيسون فـانتزع منه الملك، وكاد يفتك به وبأسرته ولكن أيسون تمكن من الفرار هو وزوجته وأبنه الرضيع جاسون.

هام الملك ايسون وأسـرته يضربون الأرض إلى أقصـاها هربا من ذلك الأخ الغادر فمروا بقبيلة السناتير والتقوا شيرون زعيم السناتير [١]ومعلم آخيل العظيم.

سمع شيرون مـنهم وعرض على أيسون المساعدة فى استـرداد ملكه والقضاء على الظالم الغادر بلياس.

لم يرض أيسون بما عـرضه عليه شـيرون ولكنه طلب منه أن يتـعهد ابنه جـاسون بالتربية وأن ينشئه بطلاً كما فعل مع أخيل.

رحلا أيسون وزوجته يبحثان عن مكان آمن بعـيدا عن مملكه تساليا تاركين فلذتهما فى ايد أمينه.

تعهد شـيرون جاسون الذى شب وقـد تعلم كل فنون الفروسية، فـبرع فى حمل السيف ورمى الرمح وأصابه السهم، وتفجر شبـابه وبدت ملامحه على جسده القوى ووجهه البهى واكتمل برجاحة عقله وحسن منطقه وعذوبة لسانه.

أيقن شيرون بأن الفتى الشجاع أصبح مؤهلا لخوض غـمار الحياة ومواجهة نواكبها واجتياز مخـاطرها، فأخبره عن والديه بعد أن ظل سنوات يسأل عنهـما وكان شيرون يراوغه، وأخبره عن عمه الذى استولى على ملك أبيه بالغدر والخيانة.

---

(١) السناتير مخلوقات عجيبة النصف الأعلى رأس إنسان كاملة والنصف الأسفل جسدحصان قوى.

ثارت فى قلب الفتى رغبة الانتقام وسيطرت على جوارحه ، فتمنى لو كان له جناحين يطير بهما ويحط على هذا الظالم ينتزع منه الملك ويبحث عن والديه ويعيد لهما العرش.

عرف شيرون فى الفتى حماسته ورغبته فى الانتقام فأوصاه بحق ما علمه إياه ألا يعميه حقده وأن يتروى ويتحلى بالحكمة وأن ينصر الضعفاء فينصروه وأن يكرم البؤساء فيسيدوه وأن يرفع الظلم فيمجدوه وألا يعبث فى الأرض فساداً فينال رضى الآلهه ويعينوه.

أخذجاسون العهد وأوثقه مع معلمه واستشق الحسام وربط البغال وشد الرحال فى طريق ملكه المسلوب.

ساح جاسون يطوى الفياض يفترش الأرض ويتلحف السماء، يضرب فى الوديان ويخترق الجبال يطوف سفوحها ويعتلى قممها، يصارع الضوارى من السباع والجوارح من الطيور ويسحق الزواحف، كل هذا يزيده إصراراً على الوصول إلى تساليا مملكة أبيه.

سيل عظيم جارف يعترض هذا الفتى المجازف، المياة فى انحدارها الشديد كالسيوف القاطعة تفت جلاميد الصخور فتتلاطم وتنسحق قبل أن تصل إلى مهبطها.

وقف الشاب عاجزاً أمام أهوال الطبيعة التى لا تعترف بشجاعه ولا يثنيها سيف باتر ولا رمح مارق.

الهوة سحيقة والسيل عارم جارف وهو ليس بقوة هذه الجلاميد المنهارة التى تئن تحت وطأت الماء المنهمر، فوقف حيال ذلك ينظر ويفكر ويتدبر أمره فإذا بعجوز شمطاء تتوكأ جزعاً غليظة مقبلة عليه..

- أيتها الأم العجوز ماذا أتى بك إلى هذا المكان؟

- أريد أن أعبر إلى الجانب الآخر.

- ألا ترين فأنا الفتى اليافع أخشى العبور!

- احملني على كتفك وتوكأ عصاى وسنعبر معاً!

- أحملك على كتفي واعبر أنك توردينا موارد التهلكة!!

- أيها القلب الشجاع والروح المغامرة . . عليه مواجهة الموت توهب لك الحياة.

- أي حياة هذه التي ترتجيها وجلاميد الصخور لا تصمد أمام ذلك السيل العرم.

- الصخور ليس لها عقول تتفادى بها المخاطر . . هناك درب وطريق نسلكه فنبتعد عن مسقط المياة ونتقي مسيلها.

وجم جاسون قليلا وذهب بنظره إلى الدرب التي أشارت إليه العجوز فإذا بنتوء ضيق وممر غير مستوى يكاد يسمح بمرور فرد واحد عليه، فكيف وهو يحمل مثل هذه العجوز فوق كتفيه.

مدت العجوز يديها المعروقة فناولته الجزع، فهم أن يعيده إليها وينجو بنفسه من هذه المجازفة التي لا يعرف لها عواقب غير إذا أفلتت إحدى قدميه هوى والعجوز إلى هوة سحيقة وقدتحولا إلى أشلاء ممزقة.

تذكر جاسون ملك أبيه وغدر عمه وعهد شيرون وكلام العجوز فدبت في قلبه الشجاعة وسيره الأقدام فرفع العجوز على ظهره وتوكأ عصاها وأخذ طريقه بين الصخور والنتوءات إلى أن وصل إلى الدرب الضيق متفادياً مسقط الماء.

لم تكن المسافة طويلة ولكنه مر بوقت عصيب فرزاز الماء المتطاير يضرب عينين وجسده بقسوة وغضب لأنه تجاسر واقترب والعجوز فوق كتفيه لا تجعل قدميه ثابتتين ونعاله المبتلة تنزلق بين الحين والآخر، لكنه كان يتشبث ببعض النتواءت البارزة قليلا إلى أن تمكن من عبور مجرى السيل وبلغ عدوته الأخرى بعد جهد ولؤى .

على العشب اللين وضع حمله وتمدد يبسط جسمه المرهق وساقيه المرتعشتين ويديه المدامية وقد أصابته بعض الجروح.

تلفت جاسون حوله يطمأن على الحيزبون المتهالكة أين تلك الكومة التى ليس بجسدها شئ حى إلا لسانها الطلق؟

فإذا به يرى قداً ممشوقاً وجسداً ناهداً وسيقان عاجيه وذراعاً مرمرية ووهاً باهيا وعيوناً ساحرة وأهداباً باهرة وشعراً يخضل منه الليل وشفاها قرمزية وابتسامة مشرقة.

بهت الفتى وبهر، فرك عينيه مرات وعاد يتفحص ما يرى ويجول بعينيه فى هذا الجمال الباهر.

- بحق السماء وباسم جميع الآلهة.. أى ربة أنت.

- ألم تعرفنى بعد؟

- ما رأيت مثل هذا الجمال من قبل بين البشر ولم أسمع عنه بين الآلهة والأرباب، فلا تتركينى فريسة لظنونى ولا تجعلينى موضع اختبار فأخطئ القول وتسوء العاقبة.

- أيها العبد الصالح.. أنا حيرا ربه الأرباب .. سيده الأولمب!!

خر جاسون بين يديها.. فمسحت بيدها على رأسه وسألته حاجته، فطلب منها مباركتها ورعايتها.. فوعدته ورفعت رأسها صوب السماء ورفت فى الأثير وأبرقت فغابت عن النظر.

عرف الفتى أنه ما كان يجتاز هذا المأزق دون مساعدة حيرآ، وما كانت تساعده لولا لطفه وإقباله على مساعدتها.

لملم جاسون شتات نفسه وانتعل الفردة الباقية من نعاله فقد فقد الأخرى على معبره.. ثم أخذ طريقه ويتحمم سبيله حتى وصل إلى بولكوس حاضرة تساليا.

لم يهنأ بلياس كثيراً بالملك المغتصب بعد أن تنبأوا له أن ملكه سيزول على يد شاب من دمه سيأتيه من بلاد بعيدة ومن علاماته أنه ينتعل فى إحدى قدميه نعلاً واحداً.

قدم جاسون والـبلاد تلبس حلة زاهية رغم وجوم البشر وهوان الرعـية وكان الملك بين أتباعه فى المعبد الكبير ينحرون الذبائح ويقدمون القرابين التى اقتطعت من أقوات الشعب الفقير الذى يتضور جوعاً ويحيا بؤساً.

اخترق جاسون جموع الفقراء الذين يتصارعون على حشايا القرابين وعظامها حتى أصبح فى مواجهه الملك فى شجاعة وإصرار.

أمـعن الملك فى ذلك الشـاب مفـتول العـضـلات وتعلو وجهـه قـسمـات الغل والقسوة.. وقد تربعت سواعده على صدره الممتلئ ورسخت قدماه على الأرض.

هال الملك هذا المنظر ارتعدت فـرائصه عندما وجده ينتـعل بنعل واحد فعـرف فيه قدره وبدت النبـوءه ستتحقـق، فطلب من حرسه الكثيف أن يحـاصروه ويأتوا به إلى قصر الملك.

فى باحة القصر وقف جاسون ولم تتغير طـبيعته وقد بدأت الدماء تغلى فى عروقه ونظر إلى الملك والشرر يتطاير من عـينيه وبدأه بالحديث .. بل أمره أن يتـرك القصر طواعية قبل أن يتركه مجبراً.

قال الملك تمهل يابن أخى.

- كيـف أتمهل وقد غـدرت بأبى ولم تردعك هذه الأخوه وبادلت الكرم بـالخداع والسخاء بالدهاء لم تراعِ شيبة وتحفظ كرامة ولبست تاجا لست أهلا له واستويت على عرش يمـوج فوق بحر من الكراهية والحـقد من شعب ألبسـته ثوب الفقر وسـخرته لخدمتك وشلة من المنافقين والأفاقين والرعاع.

كانت كلمات الفتى كسهام المنايا تخترق صمت الطاغى تزلزل عرشه وتهتك عرضه وتصم أذنه وترجف فؤاده .. ولكنه ظل مـتماسكا يفكر فى خدعـة تخلصه من هذا الموقف الصعب والمصير المحتوم ولكن فكره لا يسعفه.

- أسرع يابنى إن الأمـر ليس كما تعـرف فالناس يبالغـون حين ينقلون ويضيـفون حين يقولون ..لقدوصل والدك إلى أرذل العـمر وصارت عافيته ضعـيفة وناء كاهله

بمطالب الشعب وقد ساءت حال الرعيـة التى أوشكت أن تثور على القصر وتفتك بمن فيه فكان لابد من يد قوية تسيطر على أمور الحكم وتقضى على ثورة الرعية.

بدأ المكر يؤتى ثماره والخديعـة تثبط من عزيمة الفتى ولكن عـقله وقلبه مازال فى حالة تمرد ونكران.

عاجل بلياس المحنك ابن أخيه الغر بكلمات معسولة فقال له: ياابن أخى كم كنت أشـتاق إليك وقـد أرسلت كـثيراً من يبـحث عنك وعن أخى وزوجـتـه ولكن كل المحاولات باءت بالفشل الذى أحزننى وكسر قلبى وأرق سهادى ليطب خاطرك وليهدأ روحك. .أن رعـاياك بالخـارج ينتظرون عـودتك وهناك بعض الأمـراء والملوك الذين جاءوا يشـاركوننا أعيادنا. . فلنـخرج الآن نشاركهم الولائم والأفـراح وبعد ذلك . . سنجلس معاً نتدبر الأمر وسأكون طوع بنانك.

تصْدر بليـاس الموائد المصطفة والعامرة بمشـاهى الطعام ومفاخـر الشراب وحوله ملوك وأمراء وحاشية ضخمـة وعلى الجانب الآخر من المائدة جلس جاسون وقد شرد ذهنه بين ما سمع وما يرى وكيف تطوى الأحداث وما هى العواقب المنتظرة.

كان بلياس يفكر كـيف يتخلص من هذا الشاب القوى اليافع ويعلم أن خـدعته لم تنطوى عليـه وأن الحقيـقة لابد أن تجلى أكاذيبـه وتفند ادعائه فـأومأ إلى أحد أتبـاعه ووسوس له.

ما كادت المـوائد تفرغ إلا وانصرف الجمـيع إلى بهو عظيم ووسائد وثيرة وقـانيات يغنين وأقداح الشراب تدور تملأ الأجـواف وتذهب العقول والراقصات تتمـايل فتزيغ الأبصار وتثير الشهوات.

الفتى مـازال رابط الجأش متقـدالذهن لم يخمر عـقله أو يزيغ بصره وعمه يرقـبه فعرف أنه لن يصل إلى مراده وأنه لن يسبى قلـب ابن أخيه ويمكله عن طريق الفسـاد والرذيلة.

فأمر وأحضر المنشدين يرددون قصص البطولة والشجاعة والمغامرة فارتسمت على وجه الفتى أمارات الجد وأحسن الاستماع وانتبه لما يقص الراوى.

عرج الراوى على أحد الملاحم فقال: اسمعوا وعوا حكاية العجوز المتصابى والملك الذى مال قلبه فهوى وملكه طيشه فجار وظلم ونزع عن امرأته تاج الملك وألبسه إلى غانية بنى بها وترك امرأته وطفليها فريسة لها تذيقهم مر الحياة وتسيمهم شر العذاب.

تمكن الراوى من جذب الانتباه وأقبل الجميع ينصتون لما يروى..

تلك قصه أثماس أحد ملوك تساليا قديماً وذلك الملك الذى أسلم أمره لامرأه غانية تلاعبت به فهدم أسرته وهجر زوجته وشرد أبناءه وصارت المرأة البائسة تندب حظها وتشفق على طفليها من تلك الضرة التى هيمنت على الملك والقصر والرعية وخافت أن يصيبها منها أذى.

وفيما هى واجمة الوجه شاردة الفكر مرتعدة من كوخ جعلته الضرة مأوى لها ولأبنائها فإذا بهرمز رسول الآلهة الذى أشفق عليها ورق لحالها يهبط عليها يسألها العون والمساعدة .

- نيفيل . . أيها العزيزة . . لقد جئتك لأساعده وأحقق لك مطلبك.

- أيها الإله الراعى.. إننى أخشى على ولدى من غد كابين الغادرة وأريد أن أرسلهما.

إلى ملك كولضين أين عمى فيرتاح قلبى وتقر عينى ولكنى لا أدرى كيف أرسلهما إليه.

قال هرمز: لا أهون على من ذلك فى أن يرتد إليك طرفك إلا وتكون لديك الوسيلة.

وما هى إلا طرفة عين إلا ووجدت نيفيل فى يد هرمز كبشا عظيم الهيئة فراؤه من الذهب وقرناه وحوافره من خالص الأبريز وقدمه إلى الملكة البائسة.

ساعدت المرأة ولديها أن يمتطيا ظهرالكبش بعد أن قبلتهما وبللت قدميهم بدموعها وظلت ترقبهما حتى غاب الكبش عن نظرها فشكرت هرمز وهوت وقد فارقت الحياة.

تتبس فركسوس وأخته هله بالفروة الذهبية والكبش يسابق الريح يطوى الفيافى والوديان ويعبر البحار والسهول.

أحس الطفلان بأن الكبش قد هدء من سرعته قليلاً ففتحا عينيهما ينظران عجائب الخلق بين السماء والأرض.

نظرت هالة إلى الأسفل فراعها الارتفاع الشاهق فارتعدت وأفلت يدها فسقطت هاوية وابتلعتها الأمواج الهائجة فاستقرت فى قاع البحر، ومنذ ذلك الحين ويعرف هذا المكان باسم الهلسبت (الدردنيل).

لم يتوقف الكبش ولم يلو على تلك الفتاة البائسة.. وأكمل رحلته حتى وصل إلى مملكة كولخيس فهبط ونزل الفتى فركسوس وهو يبكى أخته التى فقدها وأمه التى تركها.

أحسن ملك كولخيس استقبال الفتى ثم قام بنحر الكبش وقدم بدنه قربانا للآلهة وسلخ الفروة الذهبية ونشرها على سندبانة فى وادى الموت ووكل عليها تنينا عظيم فلم يقربها سارق ولم يطالعها ناهب، ومازالت فى مكانها تعادل كنوز الأرض ومن تدثر بها يوهب العظمة والخلد.

زاغت عين الفتى جاسون وشرد ذهنه فى تلك الفروة العظيمة التى ما سمع بها بشر إلا وتمنى أن يملكها ولوبذل فى سبيل ذلك عمره ولكن هيهات أن يصل إليها إنسان.

لاحظ بلياس ما طرأ على ابن أخيه من تغير بعد أن أثار فيه نخوة الرجولة والشجاعه فأيقن أن قد وصل إلى مرامه.

انتهز بلياس الفـرصة واقترب من ابن أخيه وانفرد به وأخـذ يغريه بقصص البطولة وكيف أنه قادرعلى إحضار هذه الفروة التى ستسطر اسمه بين الخالدين العظماء الذين سيذكـرهم التاريخ وتمجده الرغبة وينال رضى الآلهـة وتوصله إلى مكان أمه وابيه ثم يعود ليجد الملك والصولجان.

نظر جاسون إلى عمـه ليعرف مراده.. استدار بلياس ولكنه أكـمل حديثه، اعرف أنك عظيم الشـأن خارق القوة نـابه العقل وأنك قـادر على الحصول علـى هذا الفراء الثمين،لقد تعلمت على يد شيرون والسنتور العظيم الذى علم أخيل الذى سطر اسمه على أسوار طروادة وأنت لست بأقل من أخيل لتكون أنشودة الزمان.

لك منى عهـد أن أحافظ على ملكك وعليك عهد أن تحـصل على هذا الكنز، مد يدك لنوثق هذا العهد.. فـمد جاسون يده فأطبق بليـاس عليها وأعلن على الملأ هذا الميثاق وهو يعلم أنه يرسل ابن أخـيه إلى ساحة الموت المحقق فمـا عادأحد من وادى الموت.

خلا جاسون إلى نفسه يفكر فيـما هوقادم عليه من أهوال ومخاطر وهم أن يذهب إلى عمه يخبـره بعدم قدرته على هذه المجازفة.. ولكنه تذكر شيرون مـعلمه وتأكيده بضرورة المحافظة على العهود والوفاء بالمواثيق وتذكر الرعـية الذين يدون فيه الشجاعة والإقدام فعقد العزم على مواجهة مصيره ومجابهة قدره.

انصرم الليل ومع خيوط الشمس كان جـاسون يغادر أسوار المدينة وكان فى وداعه عمه وبعض الرعية لكل منهما دعاء ومراد.

انطلق جـاسون لا يعـرف طريق وادى الموت ومملكة كولخـيس، وفى الطريق لاقى قافلة فـاقترب منها يسـألهم أى الدروب يسلك ليصل إلى مملكة كولخيـس رحبوا به وأطعـمـوه وزوده بالماء ولكنهم لم يدلوه علـى الطريق وذهب كل منهم إلى صـوب ولكنهم نصحوه بأن يذهب إلى معـبد جونر.. ومن تكون جونر هذه.. أهى ربة لم يسمع عنها.. فكلت قدمـاه وأرهقه طول السفر.. فتذكر ذلك المعـبد فذهب يبحث

عن معبد جونر وظل حتى وصل إليه فسأل عن سدنتها خدام المعبد فلم يدله أحد ، فكمن إلى سنديانة عظيمة بجانب المذبح ومر بخاطره حيرا ربه الأرباب التى وعدته بالعون والمساعدة عندما يحتاج إليها وما اكبر من هذه حاجة . . فأخذته سنة من نوم واستيقظ على صوت السنديانة الناطقة باسم صاحبه المعبد . . ارتعد الفتى فهولا يدرى للصوت مصدراً ولا للآلهة هيئة.

- أنا نبوءه جونر.

- ولكنى دعوت حيرآ.

- هى ذا.

- حيرآ هى جونر.

- نعم. . فهى تحمل أسماء عديدة فهى سيدة المعبد ربة الأرباب.

أنت العزيز لديها وأوفت بعهدها برعايتك وحفظك وقد عرفت مرادك وطلبك، إليك هذا الفرع الممتد أمامك اقطعه واجعله متكأ لك واذهب إلى آرجس الذى انتهى من صنع سفينة بإشراف مينرفا وهى السفينة التى ستحملك لى مملكة كولخيس ولتكن العصا معك دائما فهى حارسة السفينة وعليك أن تتخير أشجع الرجال فى القتال والنزال وأمهرهم فى الملاحة وركوب البحار فالأمر جد خطير والرحلة شاقة وعصيبة وأهوال البحار عظيمة إياك أن تفقد عصاك فهى لك الدليل وبها النجاة. . فإذا ألم بك خطب إليها واسألها تجبك وتشر عليك. . اذهب إلى سيف البحر خلف هذه الأكمة ستجد أوجس وعماله ومنيرفا فى انتظارك.

ميناء عظيم وجموع غفيرة من البشر وحركة دائبة نجارين وحدادين وعمال بناء سفن وتجار وصناع وقوافل ومنازل وحانات.

دخل جاسون المدينة يسأل عن أرجس فلقيه وعرف أرجس العصا وصاحبه إلى السفينه فوجدها مدينة عائمة لم ير مثلها من قبل.

ها هى سفـينتك ما الاسم الذى ستطلقه عليـها أراد أن يطلق عليهـا اسم حيرآ أو جونو ولكن عظم عليه ذلك فأطلق عليها اسم أرجو نسبة إلى بانيها فشكر له أرجوس ذلك وشرعـا يتخـيران الرجـال الأشداء الذين سيـصحـبوا جاسـون فى هذه الرحلة المرعبة.

أعلن جـاسون ونادى أشجع الـرجال ليصـحبـوه إلى وادى الموت.. وادى الكنوز النادرة فيشاركوه المجازفة والمغانم.

أسرع الـرجال الذين يدفـعون حـياتهم لقـاء حجـر من ياقوت أو حـفنة من لؤلؤ أوسبيكة من ذهب وانضم إليهـا بعض نفر ممن تستهويهم الرحلات الغـامضة وتسيطر عليهم روح المغامرة وبعضهم يتـحلون بالنبل والنجدة ومد يد العون فكان منهم هرقل الجبار، ومكستو ، وزدمتوس ، ويتزيوس ، وأرفيوس وبولكس ويليوس.

أعدت العدة وشحنت الـسـفينة بالماء والغذاء والسلاح، تحررت السفـينة من مربطها وارتفعت الأشرعة، وهبت الرياح وقذفت السفينة فى لجة البحر وغابت عن أنظار من وقف على الشاطئ يرق قلبه على هذا الرهط الذى لن يرى الشاطئ مرة أخرى.

فى طريق الأهوال ضـربت المجاديف فـسارت الـسـفينة تشق البـحر بيـن الأمواج المتلاطمة والظلمات الحالكة والضباب الكثيف والبرد القارس، تلاحقت الأهوال تمسك بتلابيب بعض الأبطال العظام لم يهن لهم عزم ولم يأخذهم نصب إلى أن وصلوا إلى جزيرة معـزولة على الجانب الآخر من المعمـورة فأرخوا رواسيهم ونزلوا إلى شـاطئها يبحثون عن ماء يتزودون به وثمار يقتاتون.

كانت الأرجو فى حـاجة لبعض جذوع الشجر للتـرميم وصنع بعض المجادف التى هلكت أثناء الرحلة العصيبة فصحب هرقل غلامه هيلاس وانطلقا إلى الغابة يقتصفان من جذوعـها وفروعـها ما يصلح حـملها إلى دغل بعيـد يبحثـان عن جذوع غليظة مستوية فأصابهما الظمأ وقد سمعا خرير ماء ينصب فأرسل هيلاس ليملأ جرته.

ذهب هيلاس يبحث عن مصدر المياه فلم يجد سوى بئر ينضح بمائه فاقترب منه وألقى بجرته وقبل أن تمتلى خرجت عرائس الماء وقد بهرهن هيلاس بحسنه وجماله حيث كان هيلاس من أجمل شباب زمانه فأخذت عرائس الماء يتغزلن به فقد سباهم وسحر عيونهن وهن الجميلات وفتن قلوبهن وهن الفاتنات وبرزت من بينهن الربة دونا فبهرت بهذا الفتى وقالت وحق زيوس ما هذا ببشر فليكن أميراً على قلبى وسيداً على أمرى.

اقتربت منه فهم أن يرجع فخذيه إلى الماء، فظن أنه غارق لا محالة ولكنه وجدنفسه وسط الماء يتنفس ويسمع ويرى ولكنه حاول أن يتخلص من هذا الجنى الجميل خوفا ورعبا طمأنته دونا بابتسامة جميلة ولسان حلو.. لا تخف سأجعل منك إلها وستعيش معنا كريما مبجلا.

- أنا مولى هرقل وهو ينتظرنى يتضور جوعا وظمأ.

- لقد أخطأ هرقل وصحبه عندما أرسلوا على جزيرتنا ولكنى أشكرهم لأنهم أوصلوك إلينا وزواجك منى سيكون لك نعمة تشكر عليها رب الأرباب.

فرح هيلاس فقد تخلص من طوق العبودية وقد أصبح أميراً معظما خالداً، ولكنه أسف على فراقه لهرقل ورفاقه.

طال أمد الانتظار على هرقل فذهب يبحث عن غلامه وتتبع أثره الذى انتهى عند البئر فعرف أن غلامه هيلاس قد استقر فى قاعه انفطر قلب هرقل ولام نفسه واعتبر أنه هو سبب وفاته وغضب غضباً شديداً.

حضر جاسون وبعض الرفاق يبحثون عن هرقل وهيلاس، فوجدوا هرقل وقد علا وجهه الأسى والحزن وعرفوا بفقد هيلاس وطلبوا من هرقل أن يعود معهم إلى الأرجو ويستكملوا الرحلة ورفض هرقل استكمال الرحلة.

غادرت الأرجو شواطئ الجزيرة تاركين هرقل يصنع لنفسه سفينه يعود بها إلى

الميناء ومافـتئ هرقل ينسى هذا الفتى الوسيم الـذى ذهب ضحية شـربة ماء. وهو لا يدرى النعيم الذى يتمرغ فيه الأمير هيلاس.

راحت الأرجو تمخر عـباب البحار إلى أن صادفتـهم جزيرة أكثر من سابقتـها بعداً وهى جزيرة تراقيا فـرسوا على شاطئها ونزلوا فى مراكب صـغيرة تمكنهم من الغوص فى المياه الضحلة.

أوغل الرفاق داخل الجزيره فوجدوا أطلال قصر وهياكل معبد متهدم وعثروا داخل القصر على رجل عجوز أعمى ما أن سـمع وقع أقدامهم حتى قام من مجلسه يهش بعصـاه لا شئ ويصرخ يطلب النجـاة فأسرع بـعض الجنود وقد ذهبوا لعـون مليكهم فبادرهم جاسون بالسلام وإلقاء التحية.

وهدوأوا من روع الملك فينوس فأكرم وفادتهم فسألوا عن حاله وذلك المظهر المزرى للملك. . فقال لقد أصـبت بلعنة لم يتقذنى منها أحد، لقد تسلـطت على طيور غريبة لها جسم الطيـور وريشها ومخالبها رأس إنســان بطباعه السيئة ومكره الخـبيث وكلما حان مـوعد الطعام وتمد المـوائد ، تهب هذه الطيور كالعـاصفة الـهوجاء فـتأتى على الطعام ولا تترك لى سوى الفتات وقد حاول الجند القضاء عليها دون فائدة ولم يتمكن أحد من إصابتها والنيل منها فأصابـنى ما أصابنى من شقاء وبؤس ذهب ببصرى وكاد يذهب بعقلى . ذلك قضائى الذى لا مفر منه.

صاحبتكم السـلامه قالها الملك وهو يودعهم على شاطئ البحـر، عاد جاسون إلى الأرجو وهو حزين على هذا الملك الذى أعماه شقاؤه وستر ديه لعنته.

قص جاسـون قصة الملـك على رفاقه الأرجـونوت (المقاتلين) فـقام ولدى بوريس وهما من العماليق الشجعان عرف عنها شدة البأس وقوة العزم وسرعة البديهة وعرضا على جاسون مسـاعدة هذا العجوز الشقى وتخليصـه من هذه الطيور. . انشرح صدر جاسون لما عـرضا هذان البطلان وصاحبهمـا إلى قصر الملك الذى دهش ورحب بهم فتركهم جاسون وعاد إلى السفينة يرم اجزاءها المتهالكة ويتدبر أمر الرحلة القادمة.

جلس الملك على المائدة وبحواره البطلان وقد وضعوا سيوفهم ورماحهم أمامهم ونبالهم وسهامهم بين أيديهم وما هى إلا لحظات والأجنحة تصفق فتعصف بالمكان فأصيب الملك بالزعر، وما عادت الطيور تقترب من المائدة حتى انهارت عليهم السهام كالغيث القاتل فصرعوا منهم انكثير، وعاد البطلان يطلقوا الرماح فأصابوا منهم مقتلا والطيور بين كر وفر فأعمل البطلان سيوفهم فى جز الرقاب التى انهمرت كالمطر مخضبة فى دمائها وافترشت أرض البهو طيور منها القتلى والمصابين. . انسحبت طيور الهاربز وانتشرت فوق تلة قريبة من القصر وطلبت من فينوس أن يوقف القتال حتى تتمكن من نقل الجرحى من جنودها وجمع القتلى منهم. . رفض فينوس طلبها إلا بعد أن تقسم بأغلظ الإيمان وتؤكد بأنها لن تعود إلى تراقيا مرة ثانية لا هى ولا أحد من جنودها. . ترددت الملكة ولكنها أمام إصرار فينوس نزلت على رغباته وأقسمت بالا تعود إلى هذه الجزيرة مرة أخرى.

أشار الملك إلى بطليه بأن يغمدا سيوفهما وتركوا ساحة القتال للملكة وجنودها ليخلوها من الجثث والمصابين والأسرى فهاموا بإنجار عملهم وسط أنين الجرحى وعبرات الحزن على القتلى شكر فينوس ولدى بوريس لما بذلاه فى سبيل تخليصه من لعنته وحمد صنيعهما وطلب منهما أن يبقيا معه يكرم إقامتهم ويفئ عليهم بالنعم والقصور والجوارى الحسان. . شكر له كريم خلقه واعتذروا فقد عاهدوا جاسون بمصاحبته إلى آخر الرحلة وما هم بالعهد ناكرين.

غادرت الأرجو شواطئ جزيرة تراقيا فى طريقها إلى مملكة كولخيس وهم فى عرض البحر والجنة العظيمة وكانت الشمس مشرقة والسماء صافية والموج هادئ على غير العادة فإذا بغيامة شديدة لا يصاحبها ريح تحجب ضوء الشمس، وقف جاسون ورفاقه على سطح السفينة يتبينون الأمر، الغمامة تقترب وصاح أحدهم إنها أسراب من الطيور تقترب.

وما كانت الغمامة إلا أسراب من الطيور مختلفة الأشكال والأنواع الكبير منها والصغير يسعون للانتقام من أولئك الذين قتلوا أصحابهم وذلوا ملكتهم.

اقتربت أسراب الطيور من السفينة وأخذت ترجمها بوابل من الحجارة المسمومة فألحقت بمن عليها الأذى فأسرع الجميع يبحثون عن منجى فما كانت سهامهم تنفذ ولا سيوفهم تبتر أو تجز.

وبدأت النيران تنتشر على سطح السفينة وقد حوصر جاسون ورفاقه بين سعير النيران وماء القيعان.

أسرع جاسون إلى العصا يسألها المشورة التى تخلصه ورفاقه من هذا البلاء العظيم ارتجفت العصا، فتكلم رأسها العجيب وسط ذهول جاسون فأشار عليه بأن يضرب جنوده أغماد السيوف ودروعهم ضربا شديداً ليصدر عنها صوتا يرعب الطيور وتفر مذعورة ولا تعود.

طلب جاسون من الجنود أن يفعلوا ما أشارت به العصا وقالت الرأس العجيب وكانت فكرة عظيمة وفرت الطيور ونجت الأرجو وجاسون ورجاله من سعير مقيم أوغرق محتوم.

مازالت الأهوال تحوم حول الأرجو والعواصف والرياح تتلاعب بهم والأمواج تراقصهم فتخلع القلوب وترعد الأبدان وكلما زادت الطبيعة من قسوتها زاد تلاحمهم وإصرارهم على اجتياز الأهوال وإنجاز المهام.

اقتربت الأرجو من برزخ مسمبيجيدز المتلاطم الأمواج وهو المنفذ الوحيد للوصول إلى مملكة كولخيس.

مضيق رهيب يصل ماء بحرين عظيمين وعلى عدوتيه تنتصب صخرتان كأنهما بوابه الجحيم فقلما تمر بينهما سفينة دون أن تسحق وكم حاول بحارة شجعان أن يدلنا من بين هذين الفكين العظيمين وكان مآلهما قاعاً بعيد القرار.

وقف جاسون ورفاقه ينظرون هاتين الصخرتين اللتين يمنعان الطيور من عبورهما

فماذا يكون حال الأرجو إذا ما تجاسروا وهموا بالاقتراب منهما، ولأول مرة منذ بداية الرحلة يشعر جاسون ورفاقه بخيبة الأمل على ما أنفقوه من وقت وجهد وعذاب.

بدى الأمر صعباً والمرور مستحيل وصارت الأنظار معلقة بذلك القصف الهائل وسط الريح العاصف والأمواج الهادرة التى تزلزل الأرجو، ساعات انقضت وقد أسرع الجميع بوضع سدادات فى آذانهم تقيهم صوت الرعد والبرق.

عاد جاسون إلى عصا جونو يسألها كيف السبيل لعبور هذا المضيق القاتل، الصوت ينبعث من الرأس العجيب وقد اعتاده جاسون.

أطلق حمامة بيضاء لتمرق بين الصخرتين حين يرتطمان وأعرف سرعتها لتعرف هل يمكن للأرجو أن تمرق بين الصخرتين بسرعة هذا الطائر أم لا.

أعد جاسون العدة وأطلق الحمامة، وانتظر الجميع أن تسحق الحمامه بين الطودين العظيمين. . أسرعت الحمامه وسط الغمام الكثيف والرعد المخيف وانطلقت كالسهم مارقة والعيون تتبعها.

تفجرت الصخرتان كالآلف تطبق على الحمامة تمنعها من المرور وترديها أعماق البحار، وكان عجب جاسون ورفاقه عندما وجدوا الحمامة وقد انطلقت إلى الجانب الآخر تاركة عدداً من الريش من ذيلها بين الفكين القاتلين.

تجددالأمل بين الرفاق ولكن كيف يصلون بسرعة الأرجو إلى سرعة هذا الطائر المسكين الذى أفلت من السحق بأعجوبه ، ولكنهم بدأوا الاستعداد إلى اقتحام هذا الهول وعبور مضيق الموت.

وهنا برزت أهمية اختيار البحارة المهرة ذوى الخبرة فى قياس شدة الرياح واتجاهها وعرق المياه واضطرابها، وثقل السفينة والبراعة في توجهها، وقوة السواعد وصمودها وبدأوا فى إجراء التجارب بأن يطلقوا الحمامة ويسابقونها فى عرض البحر وأعادوا التجربة أكثر من مرة إلى أن اقتربوا من سرعة الطائر وفى كل مرة يزداد الأمل وتتجدد الثقه.

تأهب الجميع وتمركز كل فرد فى موقعه على سطح السفينة فى باطنها ارتفعت الأشرعة ومدت المجاديف ووقف أحصاب القوى الخارقة على جانبى السفينة.

تقدمت السفينة نحو المضيق عند المتصف وفى لحظة انفراج الصخرتين انطلقت حمامة تسابقها الأرجو . . كالسهم الذى أفلت من قوسه وتركه وتره ومرت الأرجونة بين الصخرتين اللتين انطبقتا على الحمامة فسحقتها وأصدرت صوتاً راعداً جعل من على سطح السفينة يقع مغشياً عليه من هول الموقف وشدة الصوت.

انطلقت السفينة إلى الجانب الآخر لا تلوى على غضب بوابة الجحيم، وتلاقى البحارة يهنئ بعضهم بعضاً على النجاة من الموت المحقق والذى رأوه رؤيا العين.

على شواطئ كولخيس وقف جمع غفير يتابعون وصول هذه السفينة القادمة من اتجاه بوابة سما جيذز ويتعجبون كيف أفلت هذا الفلك بمن عليه من بوابة الموت، وتطاير الخبر إلى قصر الملك، حضر الملك فى حاشيته وحرسه ليكون فى استقبال أولئك الذين تمكنوا من الوصول إلى شواطئ كولخيس دون أن يسحقوا.

نزل جاسون وبعض رفاقه من أصحاب الهامات والشرف، فسلم جاسون بسلام الملوك معتزاً بنفسه متفاخراً بصحبته مبدياً حسن نواياه.

أحسن الملك إيتيس استقبالهم فى القصر المنيف ومدت الموائد عامرة والتى تظهر كرم الملك وسخاءه وقوته ودهاءه، فهو لا يعرف حتى سبب وفادتهم ومكنون طويتهم.

- لعلها كانت رحلة شاقة قالها الملك وهو يدور بنظره بين ضيوفه.
- أذهب شقاءها كريم عطفكم وحسن استقبالكم قالها جاسون.
- ترى ما سبب قدومكم وتحملكم ما فى هذه الرحلة من مخاطر.
- لنا عندك حاجة . . أعزك زيوس بالنصر والسؤدد.
- لا شك أنها عظيمة وغالية وثمينه.
- هى كذلك.

- وما هى؟

- الفروة الذهبية التى تقتنيها - فهى تراث آبائى وعز شعبى وكنز أمتى.

- علت وجه الملك أمارات التعجب وضحك ملء شدقيه ونظر إلى الملأ الحاضر من حاشيته ورفاق جاسون ثم قال: أى فروة ذهبية تبتغى، لقد ذبح فركسوس الكبش بيديه أمام عينى وسلخه بين يدى وقدم اللحم قربانا للآلهة وفرق الحوايا على الرعية وأهدانى الفروة الذهبية - فلما تجشمت هذه الرحلة وتكبدت هذه الأهوال وعرضت نفسك ورفاقك لأن تسحقكم صخرتى سملجيدز لشئ لم يعد ملك.. يابنى رفقاً بحالك ومن معك.. عد إلى بلادك ولتعلم بأن الفروة لم تعد فى حوزتى والطريق إليها محفوف بالمخاطر وحراسها ليس لى عليهم سلطان.

- أيها الملك العظيم إيتيس إذا كان الأمر ما تقول وأنه ليس لك على حراستها سلطان فاتركنى ورفاقى نواجههم فلن نعود خاويى الوفاض ولن نقف مكتوفى الأيدى.

- يابنى أبقى على شبابك وشباب من معك فإن حراس هذا الكنز لا تجدى معهم القوة والفتوة ولن يتركوكم تستولون عليها أو تقتربون منها، فهم ليس كما تحسب أو تتخيل.

أصر جاسون على مواجهة هذه المخاطر واجتياز هذه المجازفات بعد أن استشار رفاقه ووجدهم لا يقلون عنه رغبة فى الحصول على هذا الكنز.

أعاد عليهم إيتيس النصح بعدم المجازفة ولكنه وجدهم وقد زاد إصراهم فقال: ما كنت أريد أن أوردك ورفاقك موارد التهلكة وأبعدكم عن طريق المنايا والخطوب لكنكم استعظمتم قوتكم وهونتم من المخاطر فاسمع لما أقول لتعرف ما أنتم مقدمون عليه وأعدوا له العدة واستجمعوا له القوة واستعينوا بالمدد الإلهى.

عليك أن تلجم عجلى فلكان الهائلين اللذين ينفذان اللهب من منخريهما ويفتكان بكل من اقترب منها فلا تغرنك فى ذلك قوتك وشجاعة من معك، ثم تحرك بهما

الأرض الجافة الخشنة التى تقدست باسم مارس العظيم والتى يعوزها الجهد والتعب والشقاء فإذا فعلتم ولانت لكم الأرض فازرع ما حرثت بأنياب تنين كما فعل قدموس الذى بنى طيبة الأثينية، وهى مخزونة فى عرين الأسد الجبار داغر وعليكم قتله قبل الحصول على هذه الأنياب وعليك أن تحذر غدره وسرعته، وإذا ما بذرت هذه الأنياب فستنبت جيلا من المردة الأطياف مقنعين بدروع من الحديد يصارعونكم بأسنة الرماح، فإذا تمكنت منهم وقضيت عليهم. سيخرج عليكم تنين هائل له الرؤوس عدد الأطياف المقنعة، لسان اللهب الذى يقذفه يصهر جلمود والصخر ويذيب دروع الحديد وأنفاسه بيد الأخضر واليابس فإذا تمكنت من اجتياز هذه الأهوال ولا أحسبك ورفاقك قادرون على هذا . . تكون لك الفروة الذهبية كنز الكنوز وبحصولك عليها يكتب اسمك بحروف من ذهب فى سجل التاريخ .

بين الأمل والرجاء والرغبة والخشية وفورة الشباب ورجاحة العقل والقناعة والطمع، اعترض بعضهم خوفاً ورهبة وقبل بعضهم شهامة ونخوة وانتحى بعض ثالث شفقة ورحمة.

قام جاسون بين رفاقه فى شجاعة تمنى أن تدوم. . يارفاق لقد اجتزنا مهالك كثيرة واقترب منا الموت حتى كنا نشعر بأنفاسه تخالط أنفاسنا وعبرنا معاً بوابه الموت التى كادت تسحقنا بين فكيها ولم تهن عزيمتنا وتخر قوانا، لقد صارعنا الموت حتى بات يخشانا. . ودرجات المجد والعزة لا ترتقى لا ببذل كل عزيز وغالٍ ، لقد أخافوكم ليكن مجدى مجدكم وقدرى قدركم ونحن تحت سمع وبصر الآلهة التى تمد يد العون لكل مجازف ومخاطر .

حرك فيهم القوى الكامنة وأطلق فيهم حب المغامرة وارتياد المجهول. . ولكنه عندى اختلى بنفسه استولى عليه الهم وأخذ يفكر كيف السبيل لاجتياز هذه الأهوال التى ذكرها الملك أيتبس الملك الذى قال له إن المواجهة سيكون هو بطلها. . هو وحده الذى سيقاتل، هل يتمكن وحده من تلجيم عجلى فلكان وأن يحرث بها الأرض وأن

يصرع الدرغـام ويواجه بنت الحـرث من المردة وكيف سـيتـمكن من مصارعـة التنين المخيف.

وضع جاسون رأسه بين يديه يقدح ذناد فكره ويتخيل هذه المجازف فانقبض صدره وزاد همه وشرد ذهنه.

وسط هذه الهواجس ودون أن يسأل سمع صوت العـصاة تردد اسم ميديا، فالتفت ناحيته يسأل.

- من هى ميديا؟!

- ميديا الأميرة بنت إيتيس ملك كولخيس التى شغفتها حبأوصارت بك والهة.

- كيف وأنا لم أرها وهى لم ترانى.

- لقد كانت تتابع خطوتك وعرفتك منذ أن وطئت قدميك أرض الجزيرة.

- لقد عـبرت هذه الصعاب ليـس من أجل حب أو نزوة ونحن لا نروم إلا الفروة الذهبية.

- ميديا ليست فتاة عادية فقـد برعت فى فنون السحر وقد تفيدك فى الوصول إلى مرادك.

- وكيف ألقاها.

- فى جنح الليل اذهب إلى الجـهة الغـربية من الـقصـرستجـد ضوءاً فـى إحدى الشرفات وروائح تعبق المكان وستجدها ساهدة تنظر القمر وتسبح مع النجوم.

خيم الليل فسكنت الكائنات واكـتمل القمر بدراً فجعل القـصر يسبح فى هاله من النور، وانقدت النجوم فزاد بريقها ليلهب قلوب العشاق ويجمع المحبين.

استرق جاسون السمع فعرف أن كل من بالقـصر أوى إلى فراشه فتسلل إلى الجهة الغربية فوجد شرفة ينبعث منها ضوء خافت، فتسلق شجرة مواجهة لها.

وجه أسمـر جميل وعيون كـحيلة واسعة وشـعر كالليل البهيم يـتدمى فلا يرى له نهاية يبرق فى ضوء القمر كاللجين.

مال الفرع الذى يحمله، قفز إلى الشرفـة دون أن يدرى عواقب فعلته، هبت ميديا فسكنت فى مكانها تحدق فى ذلك المغامر الذى تنتظره.

تقدم جـاسون نحو ميـديا التى انفجرت باكـية وارتمت بين زراعيه وطفـقت تقبل وجهه ويديه ودموعها تبلل صدره الرحب.

كان هذا الإحساس المتفجر والرغبة الثائرة والعاطفة المتدفقة كفيلة بأن تحرك جلاميد القلوب وتذيب جبال الثلج إلا أن عـاطفة جاسون لم تتأثر وجواحه لـم تتحرك وقلبه لم ينبض وقدشعر أن هناك جاجزاً يفرق بينهما.

- جاسون . . أحبك وقد صرت فى الماء والهواء ولا حياة لى بدونك.

- ولم هذا البكاء؟

- أخشى عليك هول ما ستقابل وشر ما ستلاقى.

- لا تخـافى كم واجهت أهوالا. . لقـد صارعت الموت ولم أهابه والنصـر الذى يأتى بعد المخاطر تاج على رؤوس الشجعان، وبقدر المخاطر يكون المجد.

- إذا كنت قد عقدت العزم فلابد من أن أمد لك يد العون.

- وكيف تكون مساعدتك؟!

- لا يغرنك بكائى ولهفتى عليك. . فأنا ميديا التى لا تقهر ولدى من القدرات ما يفوق الخيال ويدك الجبال ويجفف الأنهار.

- وكيف ستساعديننى؟!

- عليك أن تعدغى وتقسم على أنك ستفى بما تعد وتبربما أقسمت.

- بما أعد وعلام أقسم.

- تعد بأن تكون لى إلى الأبد فأكون لك الخادم المطيع والعبد الذليل وتقسم بجونو بهيا كاتية.

- أما جونو فأعـرفها ربه الأرباب ولها على يد ومعروف لكن من تـكون هيا كاتية هذه؟

- ألا تعـرفهـا إنها ربة السـفر والسـحـر والخوارق السـفلية. . احلف بحـونو أن تتزوجنى وإن رفض أبى وأن تأخذنى معك ونعيش معاًإلى الأبد.

- إلى الأبد. . أحلف بذلك وأقسم بأن تكونى لى زوجة إلى الأبد.

- الأن يمكنك أن تطمئن سيتحقق حلمك وسيكون لك النصر وتحصل على الفروة الذهبية وعندها أكون لك زوجه وتكون لى متاعاً.

أحضرت ميديا علبتين صغيرتين إحداهما ذهبية وأخرى فضية وحجر أسود وناولتها جاسون. .تلك هى أسلحتك فى معاركك القادمة.

نظر جاسون إلى ما فى يده وتعجب. . تلك هى أسلحـتى التى ستحمينى وتعيننى على المواجهة. . كيف؟

لا تعجب. . فإذا ما واجهت عجلى ملكان افتح العلبـة الفضية يتصاعد ريح يقيك لفحات النار والسعير المنبعث من منخريهما، فـتصبح فى مأمن وتتمكن من تلجيمهما وتضع بسرعه النير على عنقيهما وتكون بيدك القصبة التى تشد المحراث فيسهل عليك حرث الأرض. وإذا ما واجهت المحاربين حصاد الأنيـاب فألقى عليهم الحجر الأسود فتبيدهم وعنـد مواجهتك التنين الهائل والأفعوان القاتل فـما عليك إلا أن تفتح العلبة الذهبية فـينبعث فى الأثير ريح إذا وصل إلى أنفاسـه تحول إلى حمل وديع وغط فى نوم عميق فتجـز رأسه. . أما الدرغام فأنت أشجع الشجعـان لابد أن تصرعه بنفسك فتكون لى الحمى وأزهو بك بين أقرانى.

هب نسيم الفجـر وهم جاسون بالعودة إلى غرفتـه،إلا أن ميديا مازالت تستـبقيه حتى امتلأت غرفة ميديا بضوء الشـمس فأسرع جاسون يغادر الغرفة وتظاهر بالتريض عندما قابله بعض حراس القصر وخدمه.

تحولت حقول مارس الجرداء إلى ساحة نزال وقد جاء الناس من كل فج عميق ليشهدوا عجلى فلكان التى سمعوا عنها ولم يروها وهى تقضى على هذا الشاب الذى قتله غروره وألقت به نوازعه فى أحضان المنايا فلن يجد منها مفرآ فاعتلوا الجبال وافترشوا السفوح ونصبوا الخيام وقام الملك ببناء خيمة ملكية فوق تلة تشرف على باحة النزال وتكشف ماحولها وجعل عليها حراساً أشداء.

حشر الناس متدافعين متشابقين وكان رفاق جاسون قد احتلوا موقعاً قريباً مجتمعين تأخذهم الرهبة ويفزعهم القلق وفى قلوبهم حسرة ولا يملكون لصاحبهم غيرالدعاء وكان الملك قد افترش مقعده بين حراسه وحاشيته وخلف الحجب جلست ميديا تتمتم بتعاويذ وتطلق المباخر.

انطلقت الأبواق ودقت النواقيس، فخمدت الأصوات وتعلقت الأبصار بذلك الشاب اليافع الذى يتقدم بخطى ثابتة لا درع يقيه ولا رمح يرميه لا كنانة ولا قوس ولا يحمل من سلاح سوى خنجر بيمينه ولجام بيساره .. خرست الأبواق.. ودق الناقوس الكبير ثلاث فعلا صرير الأبواب يصم الأذان وسمع خوار يرجف القلوب وهبت لفحة وكأن أبواب الجحيم قد فتحت فتراجع جاسون خطوات إلى الخلف يتقيها وقبل أن تتبعها أخرى كان جاسون قاب قوسين أو أدنى من عجلى فلكان اللذين ظهرا للأنام فغشى من غشى وهرب من هرب وأكثرهم قبع فى مكانه خوفا وجزعا وحبست الأنفاس وذهلت العقول من هول ما ترى.

كان جاسون أسرع من النفثة الثانية وفتح العلبة الفضية فتصاعد منه ريح ذهب مع الشهيق فسكن العجلان وغاب زفيرهما ، تلقف جاسون النير ووضعه فى مكانه أعلى عنقهما وشدد وثاقه وربط إليه المحراث، وما عاد الزفير بوهجه النارى إلا وجان جاسون يمتطى العجلين ويسوسهما.

شب العجلان وكاد جاسون يطرح أرضاً ولكنه تشبث بالقرنين العظيمين وثبت فى موضعه وقدبعد من المواجهة ومازال العجلان على حالهما من التمرد والعصيان ينفثان لهب أزرق ما مس شيئا فى الميدان إلا وصهره.

الجميع فى وجوم وخوف أن ينطلق العجلان من عقالهما فيبيدان من فى الميدان من الشر والملك أسرع وتوارى خلف حراسه وميديا تغمض عينيها ويكاد قلبها ينفطر ومن فوق قـمة الأولمب وقـفت الآلهة والأرباب تنظـر ما يحدث وهم بـين متعـاطف مع جاسون لبسالته وحانق عليه لجراءته ورفاق جاسون على أشابيرهم يكادون ينزلون إلى الميدان.

مرت دقائق كالدهر حـتى سكن العجلان وخضعا لمشيئة جاسون بعد أن تمكن من ترويضهما والسيطرة عليهما، فمسح بيده على ظهرهما ولما أستوثق من خضوعهما نزل وبدأ يـسوسهما وقام بحرث حقول مارس وسط ذهول الحاضرين وإعجابهم الذى تحول إلى فرحة وهتاف.

هطلت الأمطار بغـزارة فلانت الأرض وسـهل العـمل ومع مغـيب الشمس كـان جاســون قد انتهى من حـرث حقول مارس، وحـررالعجلان وأدخلهـما إلى الزرائب وأغلق عليها الأبواب الحديدية وما كاد يفعل إلا وشـعر بلهيب لحفة والعجلان ينطحا الأبواب فيزلزلان الجبل ويميد الأرض.

قـبل بزوغ الشـمس كان الملأ كل فى مـكانه ينتظرون الجـولة الثانـية من الصـراع الرهيب مع خيوط الشمس الأولى كان جاسون فى مـيدان المعركة وكان فى كامل هيئة بدرعه وسيفه وقوسه وسهمه وتوجه إلى عين الدرغام داغر ليحصل على الأنياب التى سيزرعها.

خلف الأكمة كـان داغر يزرع الأرض يبحث عن صيـد يقتات به اختـفى جاسون خلف هذه الأكمة ولم يتبعه أحد خوفا من أن يكون وجبة شهية لأسد ناهم.

لم يجد جاسون عناء فى معرفة مكان داغـر فقد سمع زئيره المرعب ملتمس طريق إليه متتبعاً صوته الذى يوجل القلوب.

تواجه الأسدان هذا بسيفه ورمحه والآخر بأنيابه ومخالبه.. وثب داغر وكاد يقضم رأس جاسون الذى أفلت منـه بأعجوبة، ثم أخذ الاثنان يدوران فى حلقـة كل منهما يبحث عن موطن ضعف فى غريمه.

قذف جـاسون رمحـه فأصاب كتف داغـر ثم هجم عليه بطعنة نجـلاء أصابت منه مقتلا وكان داغـر قد نشب صدر جاسون فأحدث فيه جـرحاً غائر وقد ترك جزءاً من الدرع وقد التحم بكتفه.

تحامل جاسـون ودخل عرين الأسد وجمع كـومة من الأنياب وعاد إلـى أصدقائه وسط التهليل والتكبير وأهازيج الفرح إلا ملك كولخيس الذى بدا على وجهه الوجوم وعلامات القلق بعد أن وجد جاسون وقد انتصر فى جولته الثانية.

التفت أصـدقاء جـاسون حوله فى الخـيمـة المخصصـة له يدملون جرحـه بعد أن خلصوه من شظايا الدرع ولكن جاسون كان قد بدأ يشعر بآلام مبرحة ولا يتمكن من تحريك ذراعه.

انتصف الليل وجاسـون ورفاقه لا يعرفون كيف سيـدمل هذا الجرح الذى قد يمنع جاسون من استكمال ما بدأ.

باب الخيمـة ينفرج وتظهر ميـديا فى عباءتها السـواد ونقابها الذى يخفى وجـهها اقتربت من جاسون، وكشفت جرحه وأخرجت كـيسا به مسحوق أبيض وضعته على الجرح ووضعت يدها عليه وتمتمت بعبارات لم يفـهمها أحد ثم قبلت جبينه وانطلقت فى خفاء.

فتح جاسون عينيه يتحسس جرحه فإذا به قد اندمل وكأن لم يكن هناك جرح وجد بجانبه درعـاً خفيف الوزن وسيـفاً وخوذة هم هدية جونو إليـه ليخوض بهمـا جولته الثالثة.

أيقظ رفاقـه الذين أصروا على المبيت مـعه فأعجـزهم ما رأوا من اختـفاء كل أثر لجرح كان يحتاج شهوراً حتى يبرأ منه جاسون.

ظهرت على وجه جـاسون تباشير النصـر وامتلأت نفسه بالثـقة وتجدد لديه الأمل فجرع الأنياب ووضعها فى خوذته وارتدى ملابس الحرب ولبس الدرع وتقلد السـيف.

كان الملأ والملك والحاشية والحرس على يقين بأن جاسون لن يظهر هذا الصباح لما ألم به في معركته مع درغام.

صاحب خروج جاسون بين رفاقه من الخيمة هتاف أفزع الملك من نومه الذى كان يغط فيه فقام مذهولا وهو يرى جاسون يدب بقدميه على الأرض حاملاً خوذته ودرعه يومض وسيفه يبرق ويرد التحية للحشود المحيطة بحقول مارس.

تقدم جاسون نحو الحقول بمفرده ثم أخذ بغرس الأنياب فى الأرض وما أن أنتهى من غرس الناب الأخير، ظهرت الأطياف تحويها دروع صماء وخوذات حديدية وأذرع هيكلية تحمل سيوفاً تلاعب الهواء وسريعا ما تجمع جيش لو تسلط على أمة لأفناها وقف جاسون رابط الجأش قوى العزيمة أخذته العزة فنسى الحجر الأسود الذى ربطه حول وسطه تحت الدرع.

استعد جيش الأطياف وشرعوا فى مهاجمة جاسون وبسرعة التفوا حوله وجعلوا من أنفسهم دائرة وجعلوه فى وسطها وانهالوا عليه بسيوفهم ودرات معركة كانوا يتحركون خلالها فى رشاقة متناهية وسرعة فائقة، وكان جاسون كذلك يبادلهم الضربة بعشر والسرعة بأضعاف . .على وتير المعركة وسيف جاسون يحصد الرؤوس بالعشرات وكلما تطايرت رأس أنبتت اثنتين فأصبح عددهم يتضاعف وهم فى حركة دائبة لا تعرف الكلل ولا يعتريهم الجهد.

القلوب وجلى والحناجر تصرخ تؤازر جاسون وتشعل فيه الحماس ورفاقه قد أشهروا سيوفهم وهموا يساعدونه وعندما اقتربوا من الحقل وجدوا سياجا غير مرئى يمنعهم من دخول الحقل فما كان منهم إلا أن يقرعوا سيوفهم بدروعهم ليشحذوا همة جاسون الذى بدأت قوته تنهار وكان الملك سعيدا وهويرى جاسون يئن تحت وطأة السيوف التى اقتربت كثيرا من نحره.

قامت ميديا تصرخ الحجر الأسود .. الحجر الأسود. . وكيف لجاسون أن يخرج الحجر الأسود ويداه لا يكفيان صد هذا الجيش واتقاء ضربات السيوف.

وفجأة هبت رياح أرسلتها جونوأ بعـدت الأطياف قليلاً إلى الخلف فأسرع جاسون وأخرج الحـجر الأسود، وفى رشاقـة وخفة قفـز خارج الحلقة التى أحكمـوها حوله وألقى فى وسطها الحجر الأسود الذى فرق شملهم فأخذت الدروع تتهاوى والخوذات تتطاير والسيـوف تتساقط وخلت حقـول مارس من كل حركة إلا وقع أقـدام جاسون الذى خرج من الحقول محمولاً على أعناق رفـاقه وهتافات الجماهير التى أصمت أذن أيتيس ملك كـولخيس الذى تبدل خوفـه على فقدانه للفروة الذهبـية وكنز الكنوز إلى خوفه فقـدانه لمملكته وشعبه الذى أحب جـاسون واعتبروه بطلا بعد أن اجـتاز الجولة الثالثة وانتصر على تلك الأطياف الحديدية السافكة للدماء.

عاد جاسون وأصحابه إلى السفينة أرجو يحتفلون بهذه الانتصارات العظيمة لبطلهم الفذ ويستعدون للجولة الرابعة والأخيرة.

جمع جاسون رفاقه وقص عليهم قـصته مع ميديا ابنه الملك والذى تعهد بأن يكون لها زوجاً وهو كاره ولكنها مدت له يد العون والمساعدة فأصبح عليه يد وعهد.

وفى المساء ترك جـاسون الأرجو وسط دعـوات أصدقائه فـقد كان عليـه أن يسبق الفجر للوصول إلى الغابة حيث التنين المخيف.

عرج جاسون على قصر الملك وصعد إلى شرفـة الأميرة ميديا ليطمئن على مفعول العلبة الذهبية ويعرف منها أقصرالطرق للوصول إلى مكمن الأفعوان الهائل.

استقبلت ميديا جاسون بالقبلات الحارة، وكان يتفادى النظر إلى عينيها التى تصيبه بالقشعريره لما بها من بريق غريب يذهب به إلى عالم الشياطين والمردة.

أخذت ميديا تـتراقص حوله وهى تصف حالها عندما كـان يصارع أولئك الأطياف المردة وكيف انخلع قلبها عندما وجدته وقد خارت قـوته وكاد يصرع فهتفت به الحجر الأسود . . الحجر الأسود وقد تنفثت الصعداء عندما حملوه أقرانه على أكتافهم وهم يهتفون له.

سألها عن قوه تأثير ما بداخل العلبة الذهبية فذكرته بتأثير العلبة الفضية والحجر الأسود فطمأن قلبه وتفجرت نوازعه وعرف منها مكمن التنين وكيف يواجهه وناولته سوطا وأخبرته أن ضربته تعادل ألف سيف.

انطلق جاسون يدخل فى الغابة الكثيفة.. الظلام حالك والأغصان متشابكة والجذوع تترنح بفعل الرياح الصرصارة العاتية.

لمح جاسون عيوناً براقة تلاحقه وأخذت هذه العيون تتضاعف وترسل إليه بشرر وكأنها غيلان تحوم حوله تتحين خطف روحه وإرسالها إلى العالم السفلى.

عواء ذئب يشق الفضاء تتعبه عواءات أخرى قطيع من الذئاب الوحشية التفت حول جاسون لم يتبين غير عيون شرسة، وأنياب شرهة لا يردعها سيف ولا يرويها رمح فأخرج السوط، وراح يلوح به فى الفضاء المحيط فإذا به كلما لمس شيئا من جزع شجرة أوجسد ذئب أفحمه وحوله إلى كتله من الحجرالمذيب.

وتجلى ما بجاورها فأخذ يطيح بجثث الذئاب التى تناثرت مخضبة بالدماء، وتحول عواؤها المرعب إلى أنين خافت وانسحب باقى القطيع إلى غير عود.

تابع جاسون مسيره وبيده ذلك السوط الجهنمى الذى وهبته إياه ميديا فزاده قوة ومنعة وملأه منها خوفا وفزعا.

وادى فسيح وبقايا أشجار وجزوع متفحمه أكلتها النيران، فعرف جاسون أن أصبح فى حاضره الأفعوان قاذف اللهب وحارس الفروة الذهبية.

سنديانة هائلة الجزع باثقة الفروع بدأت تظهر للعيان مع خيوط الشمس التى أرسلها أبوللو من عليائه وبريق الفروة الذهبية يومض وهى معلقة على السنديانة على بعد خطوات قليلة من جاسون وما كان جاسون ينتصب واقفاً مأخوذ ببريق الفروة حتى وجد رأس التنين الهائل تحول بينه وبينها، فتحولت فرحته إلى جزع وبشاشته إلى عبوس وتراجع خطوات إلى الخلف يحتمى بجزع شجرة عملاقة أكلت النار نصفها

الأعلى نفثة مصحوبة بوهج شديد تندفع نحو جاسون وتحول جزع الشجرة إلى جمرة مشتعلة.

تراجع جاسون خطوات كثيرة ووقف يتدبر أمره وكيف يسيطر على هذا الأفعوان وكيف يقترب منه.

ارتقى جاسون شجرة عالية يترقب حركات التنين وتحين فرصة اقتراب أحد رؤوسه منه يتشمم رائحة جسد بشرى فقذف برمحه الذى اخترق أحدى عينى التنين الذى ثار وهاج والتفت رؤوسه الثلاثة فأصبحت كالجبل المجدول فأسرع جاسون وأخرج السوط وضرب به العنق فأحكم جدلته وأوثق الرؤوس الثلاثة إلى جزع شجرة السنديان ثم أخرج العلبة الذهبية وفتحها فخرجت منها أمواج من الدخان وكأن عفريتاً ينطلق من مصباح سحرى غشيت رؤوس الأفعوان الهائل فخمدت قذائف اللهب التى تنفثها.

استل جاسون سيفه وبضربة واحدة كانت الرؤوس الثلاثة متناثرة فى أنحاء الغابة والدماء تروى الوادى، ولكن ذنبه الطويل مازال يضرب بشدة فى كل اتجاه وبأعجوبة نجى جاسون من إحدى لطماته.

اعتلى جاسون السنديان ونزع الفروة الذهبية وقفز بعيداً عن ذيل التنين الذى أخذ يتهاوى إلى أن سكن بلا حراك.

عاد جاسون إلى الأرجو مزهواً فخوراً ربما يحمل كنزا يعادل كنوز العالم فاستقبله أخوانه ورفاقه بفرحة بالغة وقد عقدوا العزم على مغادرة مملكه كولخيس قبل أن يفيق ملكها أيتيس من نومه.

كانت ميديا قد عرفت بوسائل علمها وبواسطة البلوة السحرية قد رأت المعركة بين جاسون والتنين وتيقنت أن جاسون بين وقد عزموا على مغادرة الجزيرة قبل الفجر.

هرعت ميديا تجمع كنوز أبيها الذى يغط فى نومه وزخرت بها عدة عربات تجرها الخيول وأثناء انشغالها من إعداد العدة لهروبها أوشكت على مغادرة قصر أبيها، كان

ابستروس أميـر البلاد وولى العهد والأخ غير الشقيق لميـديا يؤرقه السهاد، ويقف فى شرفة غرفته فأسرع إلى أخته ليقف على ما يجرى.

-أختى العزيزة ماذا تحملين فى هذه العربات وعلام تنوين.

- إنى ذاهبة مع جاسـون فى رحلة إلى أجمل بقاع العالم، أرض اللؤلؤ والفيروز والعلم والفنون . . بعيداً عن أبينا الملك الظالم الذى يحبسـنا فلا نرى من نعيم الدنيا إلا ما يسـمح لنا به . . وعليك أن تصـاحبنى فى هذه الرحلة فترى جمـال الطبيـعة والفاتنات الساحرات من عرائس النهر وحوريات البحار وفاتنات البشر.

- ولكنى أميرالبلاد وولى العهد وملك هذه البلاد بعد رحيل أبى.

- لن يموت أبوك ولكن تكون يوماً ملكاً، ولكنى سأوفر لك كل ما ترغب فيه . . هلم لا تسرف فى الكلام وتضيع الوقت.

مازالت ميديا تطوى الفـتى أبستروس حتى قنع بما تقول وقفـز إلى جوراها وأسرعا فى اتجاه الشاطئ.

نظرت ميـديا نظرة عتاب إلى جاسـون بيد أنها ركـبت سطح السفينة هى وأخيـها وسط دهشة جـاسون ورفـاقه الذين أسـرعوا بنقل كنوز كـولخيس إلى باطن السـفينة بحوار الفروة الذهبية.

أسلمت الأرجو شراعها للرياح وأخذت المجاديف تضرب الماء بقوة لتطوى السفينة عباب البحر وتصارع لجته حاملة الهاربين بكنوز أيتيس وأبنتة ولى عهده.

أسرع الحراس بخبرون الملك برحـيل الأرجو التى وصلت إلى عرض البحر ، هب أيتيس فـزعاً يتفقد فـراش ولديه فلم يجدهما هرع إلى القـبو فوجده خاليـا فأيقن أن ميديا قد هربت بكنوزه ولطالما كانت على خلاف شديد معه.

فلتذهـب إلى الجيم ولستـولى على كنوز المملكة ولكن فلذة كـبدى وولى عـهدى وساعدى وأملى فى الحياه ابستروس لا يمكن أن تحرمنى منه.

أطلق الملك نفير الحرب فتجهزالأسطول وشرع يتتبع الأرجو كانت سفن الملك خفيفة سريعة فتمكنت من ملاحقة الأرجو قبل أن تصل إلى مضيق سملجيدز.

تقدمت سفينة الملك الأسطول وقام الملك بين الملاحين يحضهم ويحرضهم ويبث فيهم العزيمة والإصرار على ملاحقة الأرجو وبين الترغيب بسخاء المكافأة والترهيب بطول العذاب أخذ الأسطول يتواثب أعراف الموج ويشق عباب البحر كالسهم ، حتى بدت الأرجو فى الأفق تتهادى مطمئنة.

اقترب الأسطول من الأرجو وصارت فى مرمى البصر ثم من حيز الكلام، فبرز الملك يهتف بابنته ميديا أن تعود وأخوها أبستروس إلى بلادهم ولن يمس الأرجو بضر ظهرت ميديا وطلبت من أبيها أن يعود أدراجه فقد أختارت مصيرها وسيشاركها أخيها هذا القدر والمصير.

أمر الملك بحارته الاستعداد لحرق الأرجو وأسر من عليها، فأسرعت ميديا بإحضار أخيها إلى سطح السفينة مهددة أبيها بقتل الفتى إذا ماهم بإحراق الأرجو.

لم يكن أيتيس يعرف طبيعه ابنته جيداً وعرف أنه مجرد تهديد ولا يمكن لميديا أن تقتل أخاها فاقترب أكثر بأسطوله الذى أحاط بالأرجو.

على مرءى ومسمع من الملك قامت ميديا بطعن الفتى بخنجر وصرعته على الفور بهت أيتيس وجاسون وجميع من كان على السطح من هذه الفعلة الشنعاء.

كاد أيتيس يقفز إلى الماء لينقذ ابنه من تلك الابنة التى تنفث كرهها لزوجته أم أبستروس فقتلته شر قتلة فأمر الجنود والبحارة حرق الأرجو بمن عليها ومع انطلاق أول سهم حارق كانت ميديا تلقى فى البحر ذراع أخيها الذى بترته فأمر أيتيس أن يتوقفوا عن الرمى وانتشال ذراع الفتى.

ماذا أصاب تلك الفتاة أبها جنه أم التبسها سحر انتزع من قلبها الرحمة بل انتزع قلبها وألقى به فى الجحيم تبت يداك من فتاة ملعونة فى الأرض والسماء وبكل لسان.

مازالت ميديا تجز جسد الفتى وتبتر أعضاءه وكان أيتيس البائس الملكوم يجمع الأشلاء المتناثرة من جسد الفتى قبل أن تغوص وتكون طعام السباع البحر وسمكه.

ابتعدت الأرجو عن الأسطول تاركة ايتيس يكفن حد ابنه وسط دموعه يجتر أحزانه ويلعن كنوز الأرض ويدعو على ابنه بأن تذوق ظلم المرارة فلا تفارقها ويذهب نور عينها.

ألجم الموقف جاسون ورفاقه وعندما هموا بمنع ميديا من ارتكاب هذا الجرم حدجتهم بنظرة تتراقص حولها الشياطين، وتذكر جاسون الحجر الأسود الذى أهلك جيشا والأثير الذى أسكن عجلى فلكان وأخمد العنفوان والسوط فعرف فيها قدرتها على السحر والتعاويذ فآثر السلامة.

اقتربت الأرجو من مضيق سملجين القاتل وصخرتيه اللتين ترفان بالمنايا . كانت ميديا تقف على السطح فى مقدمة السفينة وطلبت من جاسون والبحارة أن يطلقوا الشراع ويدقوا الطبول متزامنة مع إيقاع المجاديف وستمرق السفينة بعونها بسلام.

السحب تتجرع من كل صوب والرياح عاتية والبرق والرعد يقصفان الأذن والعيون اتسعت ودوامات المياه تجذب الأرجو التى أخذت تدور معها وأصبحت السفينة ريشة فى مهب الريح وتنجذب نحو المضيق بسرعة.

اضطرب البحارة وكان خوفهم من الدوامة أشد من خوفهم من المضيق والسفينة تترنح تحت وطأة الأمواج العالية والدوامة الهائلة جعلت الأرجو تدور حول نفسها وصارت على بعد أذرع وانفرجت الصخرتان وعادتا لتطبق على الأرجو فتسحقها.

مدت ميديا يديها نحو السماء تتمتم بصوت عال، بسيد إله البحر والمحيطات يبرز برأسه من الأعماق يمنع الصخرتين أن يتلاقيا وتوقفت الدوامة عن الدوران فأشارت ميديا أن يقوم البحارة بسرعة التجديف إلى أن عبرت السفينة المضيق بسلام.

سكنت الرياح واستوت لجة البحر وسطعت الشمس فارتمى البحارة على سطح الأرجوفى باطنها بعد أن ظنوا قاع البحر أقرب إليهم من أطرافهم وكان الموت مد بصرهم ويد المنية تتلقفهم.

كانت ميديا الوحيدة رابطة الجأش ولم يعترها الفزع والخوف. . يالبرودة القلب وجمود المشاعر وصلابة العود وسعة القدرة والمقدرة. فعرف جاسون ماذا يحول بينه وبينها ويفتر عاطفته نحوها وهى التى تبدى له السمع والطاعة ومدت له يد العون فى أحلك الأوقات وساعدته فى اجتياز العقبات ومكنته من الحصول على الفروة الذهبية وملكته كنوز أبيها.

وصلت الأرجو إلى مملكة تساليا وقام بتوزيع المغانم والكنز على رفاقه وأجزل لهم العطاءوسط الدموع والأشجان صار كل فى طريق.

دخل جاسون قصر الملك فوجد عمه بلياس وسط حاشيته فى استقباله وأبدى إعجابه ودهشته من الفروة الذهبية ومسحها بيده ليطمئن قلبه لصدق حديث ابن أخيه وما حمله من قصص أغرب من الخيال ومجازفات لا يقدر عليها إلا خوارق الرجال، وساق جاسون إلى مسامع عمه بعض المجازف التى تذهب العقل وتلقى فى القلوب الروع ولكنه لم يذكر لعمه قصته مع ميديا سكنت إحدى القصور البعيدة عن العمران فى انتظار ما ينتهى به أمر جاسون ودعوة الملك إليه.

طلب جاسون من عمه أن يتنازل له عن العرش وكان بلياس قد أعد خطة ليشغل ابن أخيه عن المطالبة بالعرش والاستيلاء على الفروة الذهبية.

تلطف بلياس فى حديثه مع جاسون فقال له: هناك أشياء الآن أهم من العرش ويجب أن تستغل هذه الفروة الذهبية للبحث عن أبيك وأمك ليكتمل شملنا ويعز شأننا ونفرح جميعا. . عندئذ يكون الملك قد اكتمل لك إنك لم تخبرنى عن تلك الفتاة الغريبة التى جلبتها معك من رحلة العجائب.

عاد الفتى الذى ظن أن حبه لأبيه وأمه قد خمد لطول البعاد، لقد أثار عمه شجونه فألحت عليه فكرة البحث عن أبيه وأمه . . دخل أرجوس غرفته مهموماً بهذا الهاجس الجديد . . اقتحمت ميديا على جاسون غرفته فلم يشعربها إلا وهى أمامه فى ردائها الأسود الشفاف الذى يكشف ما تحته من جسد ملفوف ومفاتن ناهدة وسيقان ممشوقة وشعر فاحم يصل رأسها بكعبيها، افتتن جاسون بهذا الجسد وانتشى بعبيرها الفواح، عندما فتحت عيناها ورنى جفنها كانت عينيها كعيون الدرغام أو القط البرى ولكن سرعان ما عادتا إلى طبيعتها .

اقتربت منه ووضعت رأسه على صدرها وغمرته بقبلات لاهفة شرهة فتفجرت بداخله طبيعته الإنسانية، فطفق ينهلان من نبع الحب ويرتويان من نشوة الشباب وذهب عن كاهله كل هم وحزن وفرج عن نفسه ما تكبدته سنين لم يعرف خلالها معنى المتعه الجسدية التى أغرته بها تلك الساحره ميديا وطارحها الغرام .

ما كانت من عادات جاسون أن يظل بمرقده حتى ينتصف النهار، مالت الشمس للمغيب وكان جاسون مازال يتمرغ فى الحرير ويتدثر بالديباج وبجانبه ميديا تتلوى كالحية الرقطاء ناعمة الملمس سريعة الغدر تتحين الفرصة لتصيب فريستها فتشل حركتها وتعجزها وترسل إليها السم الزعاف ، ثم تلتف حوله تلف عظامه وتسوقها ثم تبتلعها .

نظر جاسون إليها وهى تلاصقه بجسدها فتخيلها تلك الأفعى التى تنتظرفرصتها ليكون هو ضحيتها وفريستها المنتظرة، لقد فعلت بأخيها ما فعلت ولم تكن دموع والدها لها وازع أو رادع فلم تسمع له توسلات . . . إنها الشر وقدتجسد فى ذلك البدن .

فتحت ميديا عينها فنظرت جاسون ينظرإليها . . تبسمت ابتسامه تراقصت على شفتيها عرائس الجان والشياطين .

ماذا بك ياحبيبى أراك مهموماً فقد حاولت أن أبتعد بك عن هذا الهم إلا أنه مسيطر عليك .

- أبى وأمى أريد أن أعرف مصيرهما ، هل ماتا أم أنهما على قيد الحياة؟

- ما أيسر ذلك. . إذا ماحل المساء وغابت الشمس أنبؤك بمكانهما!!

- سويعات قليلة وأعرف مكان أسرتى. . أعرف لديها القدرة على ذلك!

قضى جاسون مـا تبقى من النهار فى شرفته التى لم يغـادرها إلا مع أنسحاب آخر خيط من الشمس وهل القمر كالعرجون وبـرقت فى السماء النجوم متلألئة . . كانت ميديا قد غابت عن النظر فترة لم يهتم جاسون لمعرفة إلى أين ذهبت.

أقبلت مـيديا على جـاسون تحـمل بين يديها وشـاحاً حيـرياً ناعمـا مكور الشكل وافترشت الأرض وسط الحجرة اقـترب جاسون من مجلسها يسألهـا عما بيدها الذى تحمله بحرص شديد.

بلورة شفـافة لامعة على قاعـدة ذهبية. . جلس جاسـون قبال ميـديا وبينها تلك البلورة السحرية.

- ما أسم أبيك واسم أمك.

- أبى هو الملك أيسون ملك تساليا وأمى الملكة الصالحة السميدية.

أشعلت ميديا الشموع وأطلقت البخور الذى عبق المكان، انقبض قلب جاسون من هذا الجو السحرى الغامض.

بدأت ميديا فى تعويذها وزادت كـثافة الدخان فلم يعد ظاهرأمن متاع الغـرفة غير البلورة وأيدى ميديا تلوح عليها.

رويداً رويداً ظهر وجه رجل عـجوز أكل منه الزمان وشرب وشب الشـيب فحول رأسه إلى غابة من الشعـر الأبيض المتصل بلحية كثيفة كـالثلج وقد انحنى ظهره حتى كادت هامتـه تلامس قدميه وعمـر وجهه بأخاديد غائرة وثيـاب رثة بالية. . ثم غابت الصورة من البلورة وظهرت غابة كثيفة وعلى أطرافها نتئت صخرة وكأنها شاهد لمقبرة يضم رفاته.

قالت ميـديا هذا هو أبوك قد وصل إلى أرذل العمر وأقعده المرض وأعـجزه الكبر وأذله الفقر أما أمك فقد كان باطن الأرض أرحم بها من ظاهرها.

- أيتها العزيزة ميديا أين أجد أبى، هلم بنا نحضره.

- نظرت ميديا إلى جـاسون نظرة خبيثـة ثم قالت له أسرع ياجاسون لقـدأقسمت وعاهدت واستوثقت بأن أكون لك زوجة وتكون لى متاعاً.

- لقد أقسمت على عكس ذلك وأنا على عهدى ووعدى ما استطعت وعندما أجد أبى سأبر بوعدى وأفى بعهدى.

- لم يعد أمر الزواج يـهمنى فإن حشاى يحـوى ابنك وهذا مرادى منك أن يكون ابنى من نسل بطل وسليل ملوك وبما تملك من قـوه سحرية وعـجائب الفروة الذهبـية ستكون له ممـلكة عظيمة تحكم العـالم. ولذلك سأسـاعدك على أن تعثـر على أبيك وتعيد مملكته التى ستصير مملكتى وابنى.

- ولكنه أصبح عجوزاً غير قادر على الحراك ويعجز عن الكلام.

- لا تخشى شيى سأعيده إلى معية الشبـاب وريعان الصبا ولكن سنين عمره ستمر سريعاً فتـحت مملكه تساليا أبوابها واحتشـد الشعب والرعية يتقدمهم جـاسون وميديا لاستقـبال الملك أيسون وقد عاد يمـتطى صهوة حصان أشـهب وقد عادت به السنون كثيراً فصار يكبر جاسون بأعوام قليلة.

خشى بليـاس انتقـام أخيه فـاختفى عـن الأنظار وتخفى وأنرس بين الرعـية التى تستقـبل الملك أيـسون عند أبواب المدينة وأثناء دخول أيسون كـان بلياس يغادر المملكة هو وزوجته وابنته وعلى ظهره حمل كيس من الكتان وضع فيه الفروة الذهبية.

طاف ايسون أرجـاء المملكة يميـزه كل عجوز ويتـعجب ويرمقـه كل شاب ويتندر ويجاوره ابنه جاسون.

مرت الأيام سريعاً وقد تزوج جاسون ميديا وفاء بالعهد ولكنه اعتزلها لتظل حبيسة سحرها عازمة على إنقاذ نبوءتها.

وضعت ميديا حملها وانشغلت به تعلمه فنون السحر وانشغل جاسون بأمور الحكم ولم يدوم حزنه على فقدانه الفروة الذهبية.

لم تتمكن ميديا بكل ما تملك من سحر أن تستميل قلب جاسون نحوها أو نحو ابنها الذى شب غليظ القلب فاقد الحس شغوفاً بالقتل ولم يتعد طور الفتوة والشباب وبرع فى السحر الأسود وصاحب المردة والشياطين فكانوا هم أصحابه وندماءه وكثيراً ما كان ينفر إلى الغابة يلاعب الغيلان حتى أصبحت ميديا تخشى عليه تماديه فى ذلك بعد أن أصبح أكثر منها قدرة وأعظم منها سحراً.

تعرف ميراث ابن ميديا على أحد جنيات العالم السفلى فأحبها وأحبته وأراد أن يتزوج بها فعرضت الأمر على أبيها فطلب أن يكون ثمن زواجه من ابنته عينى ميديا الساحرة، لم يتوان الأبن فى أن يقتلع عينى أمه ويقدمهما هدية زواجه الذى تم فى العالم السفلى وأصبح ميراث أحد أمراء هذا العالم.

فقدت ميديا قدرتها على السحر وهى تعرف مقداركراهية جاسون لها فهجرت القصر وهامت فى الوديان وشعاب الجبال وذات يوم لا تعرف فيه الليل من النهار سمعت صوت أخيها الفتى أبستروس يناديها فتتبعت الصوت حتى وصلت إلى قمة الجبل فهوت وصوت والدها يطن فى أذنيها يلعنها.

كان جاسون يودع أباه إلى مثواه الأخير ويواريه الثرى وتقدمت له فتاة من بين المشيعين وقدمت له كيسا من الكتان فسألها من أنت وماذا بداخل هذاالكيس.

- إنه كنزك الذى فقدته منذ سنوات وسبب هلاك أبى وأمى وهو الذى أنجانى وقد عهدت نفسى منذ أن فقدت أسرتى أن أعيده إليك.

- أنت ابنه عمى بلياس.

- أنا هى.

أخذ جاسون بيد ابنه عمه لونا وعقـد عليها ورفعها بجواره على العرش ونظر إلى الفروة الذهبية كنز الكنوز ثم تمتم: كنز الكنوز هو الرضا والقناعة وملك عادل وزوجة نقية وذرية صالحة.

* * * *

ديدالوس
الأب البائس

بدأ الناس يتغنون باسم الفتى بروكس ورسمه وعرفوا عن أستاذه ومعلمه ديدالوس الذى ضاق به وهو ابن أخيه الذى سلبه مجده وشهرته وحظوته، وهو الذى كان كشعاع الشمس التى لا تنطفئ ولا تأفل فدبر له مكيدة ودعاه للصعود إلى قمة جبل شاهق يشرف على البحر العظيم وعندما وصلا إلى القمة المشرفة على اللج الجياش فى اليم، انتهز منه غرة ودفعه حيث يستقر فى الأعماق.

ديدالوس
الأب البائس

اشتهر ديدالوس فى أرض هيلاس بروعة الفن والنحت وصناعة التماثيل وهندسة المبانى الضخمة والمعابد العظيمة، وانتقل بفنه بين كريت وقبرص وأثينا، شيد هنا وبنى هناك وأشرف على بناء المعابد والقصور ونال حظه بين الملوك وشهرته بين الرعية.

ظهر فى جزيرة كريت المنطور وهو وحش ضارء ضخم عاث فى البلاد فساداً، نصفه الأعلى رأس رجل ضخم له أيدى ونصفه الأسفل جسد تنين بذيله الطويل، لا يعرف أحد من أين أتى، وقد حسبه بعضهم أنه لعنة الآلهة على أهل كريت وسكن وادى الهلاك فما كان أحد يقربه إلا كان فريسة له، طلب مينوس ملك كريت من ديدالوس أن يشيد بناء يجعل منه محبساً لذلك المنطور لاتقاء شروره.

هم ديدالوس بأن جعل سوراً عظيما حول الوادى وشيد الأبيرنت (التيه) ذا المتعرجات والمنحنيات والحفر السحيقة بحيث إذا ما دخله أحد لا يخرج منه وتترصده المنايا كل خطوة يخطوها، وبذلك حبس المنطور واتقاء لشروره كان يقدم له الماشيه والأغنام طعاماً له.

كان هذا العمل ضمن الأعمال التى جعلت شهرة ديدالوس تملأ الخافقين وأصبح حديث الناس فى أرض هيلاس والذين اعتبروا من أكثر الفنانين عظمة وأكبرهم موهبة رغم ما كانت تتمتع به هذه البلاد من كثرة الفنانين والنحاتين والمثالين، ظل الناس يتهافتون على فنون ذلك الشاب اليانع الذى زهد الزواج فى سبيل الفن والعمل، واكتفى بتربيه ابن أخيه وتلقينه كل فنون العمارة شب الفتى بروكس فى كنف عمه وتمرس العمل معه فاجتهد وتعلم واتقن حتى فاق عمه وأستاذه وزاد عليه بأن برع فى الشعر والموسيقى فتجمعت عنده كل الفنون، كان شديد الملاحظة فنحت وبرع، كان

رقيق المشاعر فأطفى على فنونه بهاء ورونقاً، كان بديع القسمات مفتول العضلات فألهب قلوب بنات أثينا وفتن نساءها.

بدأ الناس يتغنون باسم الفتى ورسمه وعزفوا عن أستاذه ومعلمه ضاق ديدالوس بابن أخيه الذى سلبه مجده وشهرته وحظوته وهو الذى كان كشعاع الشمس التى لا تنطفئ ولا تأفل. ظل نجم بردكس يتصاعد ويسمو بفنه فى حين انزوى العم يتجرع مرارة ابتعاد الناس عنه وعزوفهم عن فنه وعبقريته، ولم يعد يحتمل ذلك وزين له خياله المريض التخلص من ذلك الفتى الذى صنعه فدمره ورعاه فأفناه.

دبر ديدالوس مكيدة لابن أخيه، فقد دعاه إلى الصعود إلى قمة جبل يشرف على البحر العظيم ليستلهما من غروب الشمس ما يثرى خيالهما، ويشحذ فيهما الهمة.

صعد الفتى مع عمه ولم يثاوره شك فى نوايا هذا العم الغادر الماكر.. وعندما وصلا إلى قمة المشرفة على اللج الجياش فى اليم، نهز منه غره ودفعه إلى حيث يستقرفى الأعماق.

كانت منيرفا سيدة الأولمب وإحدى رباته قد عشقت فن ذلك الفتى بردكس الذى برع فى صنع تماثيل زينت المعابد، فكانت تترصده تعرف أخباره وتعينه عند الحاجة وهو لا يدرى وعرفت عن عمه ديدالوس الغدر وما هو مقبل عليه فانتظرت حتى دفعه إلى اليم وأصبح من الموت قاب قوسين أو أدنى فهبطت من عليائها وتلقفته قبل أن يصل إلى اليم ونفثت فيه فتحول إلى فرخ حزين وصار يرف بجناحيه الرقيقتين وطار فى السماء.

وقعت الواقعة وأرسل ديدالوس ابن أخيه إلى قاع اليم وقد شق له قبراً ليطويه النسيان، وعاد أدراجه وقد تثاقلت قدماه يبكى ندما على ما اقترفت يداه من جرم لن تغفره له الآلهة ولابد أن يلقى عقابه وأيقن أن هذا العقاب لن يفلت منه وأن الآلهة سوف تترصده حتى تنزله به غير ظالمة ولا متجنية، وعندما نظر إلى السماء يستعطفها ويطلب التوبة لاحظ طائراً أبيض يحوم حوله .

مرت سنوات تزوج فيها ديدالوس وماتت زوجته بعد أن تركت له طفلا جميلا، لم يكن زواجه فيه الأنس والمودة ولم يكن طفلة لينسيه فعلته الشنعاء، مادام هذا الطائر يلازمه، في غدوه ورواحه وكان يقتحم عليه نومه فيوقظه هلعاً وخوفا.

لم يمر يوم دون أن يتذكر بردكس فقد كان الناس يسألونه عنه كلما قابله أحد وهويتذرع بوسائل شتى ويختلق أسباب غيابه وهجرته ويحاول تضليلهم.

الطائر يذكره والناس تلح سؤالها فضاق ذرعاً بعد أن ضج مضجعه وتزلزل كيانه فقرر البعد عن البلاد وأريقط ابنه ايكاروس وشد الرحال إلى كريت عسى أن يجد عند ملكها مينوس السلوى والنسيان.

أحسن مينوس استقبال ديدالوس وابنه وهيأ لهم إقامة طيبة وأغدق عليهم من الأموال الكثير وطلب من ديدالوس أن يعود إلى عمله وسابق عهده.

انخرط ديدالوس فى العمل وشب إيكاروس ونهل من أبيه وتعلم وفرح ديدالوس بابنه يرى فيه امتداداً لحياته وحسب أن الآلهة قد غفلت عنه وأن يديه قد برئت من دم ابن أخيه ونسى ما كان.

عاد الشبح إلى فنه وبرع كما برع ابنه وبدأت السعادة تعرف طريقها إلى قلب ديدالوس وغرته الأماني، وشعر أن دماء الصبا عادت تتدفق فى عروقه وطغت عليه نزواته وطاش عقله وأوغل فى عرض الملك مينوس وأهل بيته ولاك دون وازع ولا رهبة.

كثر الكلام عن نزق العجوز العربيد حتى وصل إلى مسامع الملك مينوس فثار وأزبد أمر بحبس العجوز وابنه فى أحد الدور النائية والقريبة من الأبيرنت وأن يكونا تحت حراسة شديدة حتى يقضى فيه أمراً ويوقع به العقاب المناسب.

أنشغل الملك مينوس عن ذلك العجوز النزق وأبنه وطال اعتقاله وعزله حتى أصيب ديدالوس بالكآبة بعد أن أخذته العزة بالإثم وخان الأمانة فولغ فى إناء الملك.

طالت العزلة وضاق الفتى ايكاروس بهذا الاحتفالمدون جريرة أو ذنب سوى أنه ابن ديدالوس فقال لوالده ما عدت أطيق هذا المكان الذى كتب علينا أن نحبس فيه حتى نقضى نحبنا أو نصاب بالجنون نظر ديدالوس إلى ابنه وقد صام عن الكلام وما عاد منه إلا شبح تابع ذليل لا طعام يغنيه ولا شراب يرويه.

كان محبسهما يطل على البحر من شرفة ضيقة يجلس الفتى أمامها ساعات يرقب السفن التى تجوب البحر من الشرق إلى الغرب تمخر عباب البحر والطيور سابحات فى السماء ترف بجناحيها حرة طليقة تثير فى نفس الفتى شجون الأسر والاعتقال الذى لا يعرف منتهاه.

قفزت من ذهن الفتى فكرة مجنونة، فإذا لو أن لنا أجنحة مثل هذه الطير الصافات فى السماء حرة. .نحلق بها هربا من ذلك السجن!!

توجه إيكاروس إلى العجوز القابع فى ركن مظلم يتجرع الصبر ويذرف دموع الندم. . أبى هل نعجز عن صنع أجنحة نطير بها ونحلق بعيداً عن هذا المعتقل.

لمعت عين الأب ببريق الأمل، ولكنه ابتسم ابتسامة ساخره أجنحة مثل الطيور أتسخر منى يافتى.

يا أبى كم صنعت من عجائب وهندست من مبانٍ أنعجز معاً عن صنع أجنحة تحملنا خارج هذا السجن الكئيب، وما الأجنحة إلا ريش متراص بحكام.

-ومن أين لنا الريش وكيف نثبته.

- أما عن الريش فقد عقدت صداقة مع الحارس وسنعده بأمانى كثيره إذا ساعدنا ولن نقول له الغرض الحقيقى وفيما سيستخدم.

- ولدى فكرة كيف نثبت الريش ونرصه بعضا إلى بعض.

- كيف يا والدى.

- سنقتصد فى استخدامنا للشمع الذى نستخدمه فى الإضاءة وما سنوفره سنستخدمه فى لصق الريش ببعضه.

- إذا هان كل شئ فلنشرع فى عمل هذه الأجنحة.

امهل مينوس ديدالوس وابنه الوقت بأن غفل عنهما وطالت غفلته وانشغاله ، وهكذا التقت الهموم والرغبة والعبقرية الشابة والجهد الوفير مع الخبره والحنكة والصنعة.

أيام وأسابيع والأب والابن عاكفان على صنع الأجنحة، وكلما أتاهم الحارس ببعض الريش، يستغرب الرجل مما يعملان وقد أوهماه بأنهما يستغلان الوقت فى صنع لباس له كلباس الملوك، فينشط الحارس وينتقى أكبر الريش وأنظفه ثم يعيد تنظيفه ويناوله للفتى والعجوز حتى صنعا زوجين من الأجنحة الزوج منها إذا طارتا فإنهما قادرات على حمل حصان.

جلس الأب يجرب وضع الجناحين حيث جعل لهما مقابض قوية وتأكد من تثبيت الريش ثم قال لأبنه ينصحه يابنى إذا كنت لنا الخلاص والخروج من هذا المحبس ، فلازمنى أثناء الطيران وكن بجوارى ولا تعلو وتقترب من شعاع الشمس فيذيب الشمع وينفرط الجناح ولا تنخفض فى طيرانك وتقترب من الماء فيبس الشمع بفعل الرطوبة فيحدث مالا يحمد عقباه.

لا تخش شيئا يا والدى والآن لتقم بتوسيع مدخل الشرفة لنتمكن من الخروج بهذه الأجنحة الكبيرة.

مع بشائر فجر يوم جديد سمع الحارس جلبة داخل الغرفة وبينما هو يفتح الباب كان ديدالوس وابنه ايكادروس على حافة الشرفه يرفان بالأجنحة ويهبطان شاهق الجبل فأخذ يراقبهما وهما يستويان يحملهما الريح بعيداً عن القصر ويغادران شواطئ كريت بسلام.

كان الفتى يسبح فى السماء كعصفور يغرد مرحاً سعيداً بالخلاص يداعب الرياح وتداعبه يرف بجناحيه فيعلو ويبسطهما فيهبط كسهم انطلق من القوس على غير هدى، في حين كان الأب يجاهد بقوة للمحافظة على مستوى طيران يبعده عن الخطر

ويوفر جهده ويختلس النظر إلى ابنه ليطمئن عليه، فـجأة عبس وجهه فقد تذكر الفتى بروكس وذلك عندما رأى الطائر الأبيض الحزين يقترب منه .

السماء ممتـدة والأرض منبسطة والبحار واسـعة والبلاد كثيـرة وكلما مرا برهط من الناس وجدوهم ذاهلين مـن أولئك الطيور التى هى على شكل بشـر، فمنهم من ظن أنهما آلهة هبطا من العلياء ياركون البشر فيركـعون متبتلين ومنهم من يسألهما حاجته بالدعاء والتوسل.

غلبت النشوة والزهو عـلى طابع الفتى الذى أخذ يرف بجناحـيه وكلما ابتـعد فى السماء سـغرت الأرض وغاب فى زرقة السـماء وأراد أن يمتطى سحـابة عابرة ونسى وصيـة أبيه وكـانت الشمس قـدوصلت إلى كبـد السمـاء وزاد سعـيرها ولم يشـعر ايكاروس وحرارة الـشمس تذيب الشـمع وبدأت الأجنحة تتـفكك أوصالهـا وانفرط ريشـها وهوى الفـتى كأنه حـجـر قد وقع من أعلى يتـرنح تتـلاعب به الرياح، نظر ديدالوس فوجده يسرع نحوى الردى ليسكن قاع اليم وهو عاجز أن يلحق به وينقذه.

ارتطم الجسد الفـتى بلجة البحر يشق لنفـسه قبراً يبتلعـه مرة ويلفظه مرة . . ظل الأب المكلوم الملتاع يحوم حـول الجسد الذى فارقته الحيـاة وقد أصابه الجنون وهم أن يخلع عنه جناحيه ليشارك ابنه المصير وأخذ ينظر إلى السماء يستحثها ويتوسل إليها أن تعيد له جثته ليواريها الثرى ويقيم له قبراً.

انشقـت الـسماء عن ذلـك الطائر الصغـير الواهن هبط الطائرالمرهف وقـبض على جـسد الفتى وطار به وسط ذهول الأب. . حط به على شاطئ جزيرة نائية وصل الأب بعد جهد جهيد إلى حيث جسدالفتى ونزع عنه جناحيه ، وكب على ابنه يذرف الدمع واختلطت شـجونه بين الحـزن على فراق ابنه وحيـده والندم على ما اقـترف فى حق الفتى بروكس. . وعلم حينها أن الإنسان لابد شارب من نفس الكأس ويجنى ثمار ما زرع ويتعذب بما قدمت يداه.

* * * *

ثيذيوس
الفتى الجسور قاهر المنطور

لم يكن الأثينيون يعلمـون أن لملكهم ولداً وأنه يتفوق على ابن ميوس فى الألعاب الرياضية والمنافسة ، ولم يكن الملك نفسه يعلم عن ولده شيئا، ولو كان يعرف لما سولت له نفـسه الأثيمـة أن يدبر مقـتل ابن فينوس لتـصبح أثينا وفلذات أكـبـادها طعامـاً لذلك الوحش الضارى الذى هو برأس إنسان ونصفه الأسفل جسد تنين بذيله الرهيب.

ثيذيوس
الفتى الجسور قاهر المنطور

خرج إيجوس الملك الأثينى متخفيا متفرداً يتفقد حال البلاد وأحوال الرعية وكان فى شرخ الصبا وعنفوان الشباب، امتطى حصانه البهيم وانطلق إلى أقاصى ملكه.

ارتعد الجو واشتد البرد وفتحت السماء مزاريب المياة فانطلق أيجوس يبحث عن مأوى يقيه لسعة البرد ومياه المطر . . الحقول واسعة ولا ملجأ إلا كوخ ينبعث منه ضوء خافت كان له دليلا فتوجه إليه وربط الحصان بجذع ناتئ وسط ظلام دامس.

طرق أيجوس الباب، وهو يرتجف وأخذ ينادى من بالكوخ. . صوت رقيق يجيب،ويد تمسك شمعة تكاد تظهر الجزء الأعلى من جسد املها. . لم يتبين أيجوس الوجه الملثم ولكنه أطال النظر لذاك الذراع العاجى اللدن والأنامل المدببة الناعمة، فساح بخياله فيما تبقى من الجسد.

رحبت صاحبه الكوخ بضيفها وهى لا تعرف من هو . . أحضرت بعض الحطب المشتعل ووصعته فى وسط الكوخ وزادت عليه من الحطب الجاف، ازداد الضوء وبدأ أيجوس يشعر بالدفء والسكينة.

ماذا . . خرجت الكلمة من الضيف والمضيفة.

سكنت الفتاة. . وقال أيجوس . . أراك وحيدة فى هذا المكان الموحش المقفر ألا تخشين شيئا. . قالها وهو ينزع عنه ثيابه المبتل وتدثر بخرقة بالية كانت بجواره.

يرعانا زيوس العظيم فأبعد عنا الضوارى ويحمينا أيجوس الملك فيمنع عنا اللصوص وقطاع الطريق بعد أن نشر العدل وعم الرخاء مملكة أثينا صحاريها وريفها.

تقولين نحن. . من يعيش معك.

والدى الذى ذهب يجمع الحطب ويذهب به إلى سوق المدينة فيبيعه ثم يعود بمئونة شهر توقف المطر وهب نسيم وامتزجت رائحة الياسمين بشجيرات الزيتون المزروعة حول الكوح، فكانا عبقا يشعل القلوب ويلهب المشاعر.

انحصر الثوب الفضفاض فأظهر سيقان في بياض الثلج ونعومة الحرير.. قال ايجوس اكشفى وجهك ولا تخافى منى غدراً أو أذى.

كشفت الفتاة عن وجه فيه ضوء القمر بدرا وعيون المها تسبى وشفاه تسكر وتستر لؤلؤاً كالنجوم تبرق.

لقد جمعت جمال فينوس ودلال أفروديت وبهاء عرائس الأنهار والبحار .. ما اسمك يامليكة بلا عرش؟

ما كان لك أن ترى وجهى أو تعرف اسمى بدوان أذن والدى بذلك، ومن والدك رجل من فقراء وضعافهم. .ولا نرتجى من الإله شيئا سوى أن نحيا بأمان بعيداً عن الجاه والسلطان والمال والعمران.

هذا الجمال خلق ليكرم ويعيش فى القصور ويلبس التيجان وينعم بالسلطان .. اقترب أيجوس من الفتاة التى ما زال لا يعرف اسمها من أبوها وأمها وأمسك بيدها ففزعت وتراجعت إلى ركن مظلم وقالت بحق جميع الآلهة ألا تفض الخاتم إلا بحقه وكانت هذه الكلمات بمثابه غشاء ذهب بأيجوس فى نعاس طويل لم يفق منه إلا على يد خشنة تهدهده وضوء الشمس يغمر الكوخ.

رجل عجوز جاوز زمن الصبا منذ عقود ورسم الزمان على وجهه علامات الشيب والعجز ولكنه متماسك القوة عريض المنكبين.

من أنت أيها الغريب وعليك أمارات الملك والعظمة ظاهرة على ملابسك والحصان الواقف عند الباب؟

عابر سبيل مار بدياركم ولى عليكم حق الضيافة دون أن تسألونى عن اسمى وبلدى.

الكريم يكرم ثلاث وبعدها يكون رحيله واجباً.

مرت ثلاثة أيام وأيجوس يكد ويعمل فى توسيع الكوخ يساعد العجوز فى جمع الحطب ويذهب إلى السوق فيبيع ويشترى.

وفي اليوم الثالث طلب من الرجل أن يزوجه ابنته فوافق الرجل لما رأى فيه من كريم الطبع وحسن الخلق.

مر شهر على زواج أيجوس فى هناء ومتعة . . ثم أستأذن العجوز والفتاة بالرحيل وكتب وصية وضعها تحت صخرة طلب منها ألا يفتحا هذه الوصية إلا بعد حول . . فإما أن يعود إليهم أو يذهبوا هم إليه.

مر عام ولم يعد الرجل إلى زوجته . . فذهبت وفتحت الوصية التى حوت هذه الكلمات . . إذا كان لى عندكم وديعة تركتها فى يد أمينة فضعيها بسلام وإذا كان غلام فسميه ثيذيوس وليشب فارساً وإذا ما صلب عوده وقويت سواعده فلينتعل حذائى الذى تركت وليمتشق سيفى الذى أهديت وليشد الرجال إلى أثينا ليكون ولى عهدى وصاحب التاج من بعدى.

عرضت المرأة الوصية على أبيها فيكون ثيذيورس عرضة للهلاك أو الموت.

أرسل الجد ابنته وابنها إلى جبال الأنديز عند أخواته وكانوا يعيشون فى قبيلة تشتهر بالفروسية والصلابة والقوة فنشأ ثيذيورس فارساً مغواراً لا يهاب الموت ولا يخشى الأهوال وتعلم فنون القتال ثم عاد وكان جده قد فارق الحياة فعرضت أمه عليه الوصية وعرف ما بها ولبس النعال وامتشق الحسام وسلك طريقه إلى أثينا.

استعدت أثينا لعيدها الرياضى السنوى وفيه يفد على أثينا أبطال من جميع البلاد والممالك المجاورة للمصارعة والمنافسة فى الألعاب الرياضية، ويتبعهم أفواج وحشود للمتابعة والفرجة. . وعندها تلبس أثينا ثوب البهجة والأنس والفرحة.

كان رينوس ابن مينوس ملك كريت فتى يانعاً وشاباً مفتول العضلات بهى الطلعة، يحضر كل عام إلى أثينا يشترك فى الألعاب والمنافسات الرياضية ، وكان دائم

الانتصار على شباب أثينا وبعد انتهاء دورة الألعاب، يلف دروب أثينا يحمل الميداليات الذهبية تزين صدره وسط الأثينيين من أهل البلاد والحشود الأخرى بعد أن يفوز فى المصارعة والملاكمة والعدو ورمى القرص والمبارزة والصيد والفروسية.

كان أيجوس يقلد رينوس الميداليات الذهبية وسط هتافات الأثينيين وقلبه يتمزق وحقده يتقد فى صدره فكم كان يتمنى أن يكون له ابن من قوة رينوس وهيبته، يرث عرشه ويحمى ملكه ويهتف له الأثينيون بدلا من أن يهتفوا لهذا الفتى الغريب الذى يخلب لبهم ويؤثر عقولهم.

خشى أيجوس من هذا الفتى الذى تزداد شعبيته ويعلو نجمه أن يطمع فى ملك أثينا فيزيله عن العرش، فدبر له مكيدة وأرسل بعض زبانيته يترصدونه ليلا فى إحدى الطرق، انقضوا عليه وما تركوا فى جسده موضع إلا ونهشوه ولا عضواً إلا بتروه وتركوه تنهشه الضوارى والجوارح.

عرف مينوس ما حدث لابنه من بقايا جسده التى وصلت إليه وأخذ يلملم أشلاءه ووارها الثرى وسط أحزان الأب المكلوم والرعية الثائرة لمصرع خير شبابهم وولى عهدهم.

جيش مينوس جيشاً كثيفا وأسطولاً عظيماً لا تنقصه الحماسة والرغبة فى الانتقام، وصلت أخبارالحشود إلى إيجوس فأغلق البوابات وخفر الأسوار واعتصم الأهالى والرعية خلف أسوار القلاع واستعد الجميع للدفاع عن بلادهم.

لاحت فى الأفق أشرعة السفن العملاقة، وارتعدت أثينا تحت وطأة صيحات الأنتقام وطبول الحرب وموجات الجند التى أخذت تحتل الشواطئ والسهل الواسع، وطوقت الأسوار ونصبت الخيام إيذانا بحصار طويل بجيش كالجراد لا أول له ولا آخر فألقت الرعب فى قلوب الأثينيين .

أثينا المدينة الزاهرة وهدية الآلهة إلى فينوس وعروس البحور وسيدة البلاد، صارت محاصرة وقد نهبت حقولها وخربت ضياعها واقتلعت ثمارها وأصبحت تحت إمرة مينوس الملك الغاضب.

طال الحصار وقلت الأقوات وضجت الرعيـة وانتشرت الأمراض والأوبئة وما كان أمام أيجوس إلا أحـد أمرين، إما الموت جوعـاً ورعباً قابعاً ذليـلا خلف الأسوار هو ورعاياه، وإمـا الخروج إلى سـاحة الموت فـهو يعلم أنه لا قـبل له ولا يملك جنوداً يمكنهم دفع هذا البلاء الذى جلبـه على نفسه وشعـبه بفعلته الشنعاء الـتى جعلته لا يمكنه الاستنصار بأى قوى خارجية.

استشار كبـير كهنة معبد فينوس الذى أخبره بضـرورة تقديم القرابين ونحر الذبائح حتى يمكنهم سماع قضاء الآلهة فى رفع هذا البلاء عن أثينا.

كان قضاء الآلهـة مرًا كالعلقم، فقد أشار بضرورة الانصـياع لما يريد مينوس ليكفر به أيجوس عن فعلته والويل لأ يجوس إذا فكر فى محاربته.

أرسل أيجوس رسولاً إلى مـينوس للوقوف على مطالب الكريتيـون ويعرض عليه الصلح، وفك الحصار.

كان قتل رينوس ابن الملك مـينوس غيلة وغدراً وفى دروب أثينا وتحت جنح الليل وبتدبير أيجوس الملك الأمر الذى جعل من مطالب الكريتيون وملكهم قاسية مذلة.

فقال مينوس لرسـول أيجوس، لقد قتل الفتى الأعز والأمـير الأغر والبطل الأشم الذى لا يعد له شبـاب أثينا ورجالها. . أما وقد ضـربتكم الذلة والمسكنة وندمتم على فعلتكم فلتكن فديتكم عشرة من شباب أثينا وعشرةً من فتياتها ليكونوا طعاماً للمنطور وألفاً من الأنعام وألفاً من الخيول النـواصب وربع محصول الحبوب . . على أن تكون ذلك جزية تدفع كل عام فإذا أذعن الملك لمطالبنا رحلنا عنكم رفعنا عنكم الحصار.

كاد أيجوس أن يرفض هذه الشروط القاسية المهـينة، ولكنه عجز عن مواجهة ثورة الشعب الجائع المريض، فطلبـوا منه أن يرضخ لمطالب مينوس أو يسلم المدينة أو يكون دمه فداء هذا الشعب المنكوب.

قبل أيجوس صاغراً شروط مينوس ورحل الكريتيون عن البلاد بعد أن زخرت سفنهم بالغداء المطلوب وبينهم عشر فتيات من أجمل الأبكار الأثينيات وعشرة فتيان فى ريعان الشباب على موعد فى العام القادم للوفاء بالجزية المتفق عليها.

باتت أثينا تتشح بالسواد زمنا وهى خاضعة وكل بيت يخشى على أبنائه وبناته الذين سيأتى عليهم يوماً يكونون فيه طعاماً لذلك المنطور الذى لا يعرفون له هوية ولا شكل غير أنه غول من الغوابر أووحش من الضوارى.

كان ثيندوس فى طريقه إلى أثينا قد قابل كثيراً من المخاطر والمجازفات تمكن من خلالها من القضاء على بعض الضوارى الشرسة والمجنحات القاتلة وخلص إحدى الأميرات من أسر عصابة من قطاع الطرق ورافقها حتى عادت إلى أبيها عزيزة مكرمة فطلب منه أبيها أن يزوجه ابنته على أن يبقى معهم يزود عن بلادهم ويدفع عنهم الشرور، إلا أنه أبى ذلك ورحل فى اتجاه أثينا، وبلغ هذه المغامرات رسول سبقه إلى أثينا الأمر الذى جعل المدينة كلها فى استقباله عندما وطأت قدماه البلاد.

دخل ثيذوس أثينا والحزن يخيم على البلاد والوجوم على كل الوجوه والبؤس والشقاء يخيم على كل بيت.

دخل ثيذوس قصرالملك فوجد الملك مهموماً يفكرفى الجزية التى حان أوانها، شعر أيجوس بوقع أقدام حراس القصر فرفع بصره ينظر مليا فى الفتى الذى يتوسطهم.

شاب مفتول العضلات ممشوق القوام وسواعد فتية ووجه صارم وعيون تقدح شجاعة وعزم. . أمعن أيجوس النظر فعرف فعاله وتعرف على سيفه، فقفز عن عرشه يضم الفتى ويقبله.

ابنى العزيز لماذا تأخرت بك الأقدار ولم ترسلك الآلهة قبل أن أقدم على فعلتى الحمقاء وكنت رفعت على كاهلى هذا الهوان وتلك المذلة.

لقد عرفت مـا حل بك والجزية المفروضة على أثينا وأعـرف أن ليس لديكم القدرة على مواجهة الكريتيون ولكنى مستعدلأن أكون أحد الفتيان الذين هم طعمة للمنطور.

- لا يابنى لن تحمل عنى لعنتى وتكون ضحية حمقى وعبثى ،فقد أمضيت سنوات لأراك وليكون لى ولى عهـد يرث ملكى ويجلس على عرشى وقـد وهن العظم منى وصرت إلى الموت.

- أى ملك يكون مخـضباً بدمـاء الأبرياء وأى عرش يكون بالمذلة والهـوان وكيف يكون الحكم والرعيـة يضربهم سوط الجوع وتـنتشر فيـهم العلل.. وقد يكون ذهاب معهم والتضحية بى فيه بعض العزاء لهذا الشعب البائس الذليل.

رفض الملك طلب والده فزاد ذلك من إصرار الفتى الذى قال: إن لم أذهب معهم فسيكون الموت لى شرفاً وقبل أن ترحل السفن حاملة ضحايا قسوتنا واستبدادنا لأكون قربانا عن عليها لمن أهلى وعشيرتى.

ذرف الأب دموع الأسى والحزن على فـراق ابنه الذى طالما انتظره ، وها هو يفقده ويبعث به إلى ساحة الموت والردى دون رجعة.

كان ثيذيوس مؤمنا بما وهبته الآلهة من قوة وجلد وعزم شديدوشجاعة فى مواجهة الأخطار ومصـارعة الموت، وقد صمم فى قـرارة نفسه أن يواجه هذا المنطـور فإما أن يصرعه ويقتله ويعود مرفوع الرأس وينقذ أثينا من هذا الهوان يكون جديراً بالملك وإما أن يموت فداءً له.

كان الملك ورهط كبير من الرعية فى وداع السـفينة وهى تغادر شواطئ أثينا محملة بالجزية وفلذات الأكباد من خيرة شباب أثينا الذين سيصبحون بعد أيام طعاماً للمنطور الخبيث.

وكان الفتية والفتيات وقد أصابهم سهم الموت يرتجفون والسفن تلاطم الأمواج وهم يتمنون أن يبتلعـهم البحر الذى سيكون بهم أرحم من الموت نحراً وذبحـاً ونهشاً، إلا ثيذيوس الذى كان قد عبر البحار بخياله وقد صرع المنطور وقضى عليه.

على شوطئ كنسوس كانت جموع غفيرة فى انتظار الغنام والجزية، ولترى أولئك الشباب الذين سيقدمون للمنطور بدلاً من أبنائهم وكانوا مع ذلك يشعرون نحوهم بالأسى والحزن.

وكانت بينهم فتاة غضة الإهاب، يفور فى وجهها دم الشباب وعلى جسدها أمارات الفتنة الطاغية نظرت إلى الفتيات البائسات والفتية المرتعدين، فعرفت فيهم الشاب ثيذيوس ذلك الفتى الذى أنقذها من الأسر وفداها بنفسه وروحه، فغشى عليها وما أفاقت إلا فى قصر الملك الذى أخذ يسألها عن السبب وعلى وجهه الذعر والخوف.

أخبرت الفتاة أباها عن الفتى الذى أنقذها ورعاها حتى وصلت إلى خدرها آمنة مطمئنة والذى بعد سويعات سيكون طعماً للمنطور.

أرسل الملك فى طلب الفتى ثيذيوس فمثل بين يديه وفى حضور الغادة الهيفاء وطلبا منه البقاء معهم وذكره بعهده بأن يكون زوجاً لابنته وأنه سيرسل بدلاً منه فتى آخر.

رفض ثيذيوس طلب الملك وابنته وصمم أن يكون بين رفاقه ولابد له من مواجهة هذا المنطور ليخلص البلاد والعباد من شره وتركهم وعاد إلى حيث رفاقه.

ذهبت الفتاة إلى غرفتها تبكى وتولول على هذا الحبيب الذى يساق إلى نحره وهى غير قادرة على إنقاذه.

هرعت الوصيفة نحو أميرتها تكفكف دمعها وتهدئ من روعها.

- أرأيت ذلك الفتى الذى بت أحلم به ليالى يؤرقنى السهاد ويضنينى العذاب أرأيته وهو مقدم على الردى بقلب جسور وقد استحيت صغرة الموت أن تعلو وجهه أرأيت عينيه وقد ملأتها زرقة السماء وشعره المسترسل على منكبيه كشعاع الشمس مضيئا ولا لن يكون هذا الفتى طعاماً لذلك المنطور .. ولكن كيف؟ كيف أنقذه وأبعد عنه الشرور.

- قالت الوصيفة وقـدعرفت أن الأميرة قد شغفها حب الفتى: ياسـيدى إنه متفتح كالزهره وإنه الجدير بحبك وخليق بك ويحتاج منك العون والمساعدة.

- كيف وأنا أقف مكتوفة الأيدى لا حول لى ولا قوه.

- إنه بادى الشجاعة موفور القوة وقـد رأيت سيفه الذى لم أر مثله من قبل ، فلا يجرده والدك الملك منه وأنا أعرف حارس اللابيرنت الدهليز المؤدى إلى وادى المنطور، فلتذهبى إليه وتأمـريه بأن يفلت الفتى فيذهب إليه فى جـوف الليل ويأخذه على غرة ويتمكن منه.

- ولكن دهاليـز اللابيـرنت إذا ذهب منها فلن يعـرف طريق العـودة وإن لم يمت صريع المنطور سـيموت صـريع متاهات ذلك الـدهليز الذى يمتلئ بهـوات سحيـقة ومنعرجات كثيرة وشعاب خطيرة.

- لاأهون من ذلك ولا أسـهل.. فما علينا إلاصـنع حبل من الكتان يـمسك هو بطرفه ونحن بالطرف الآخر فيكون فى ذلك عوناً له فى ذهابه وإيابه.

طارت الأميرة من الفـرحة لما سمعتـه من حسن تدبير وصيفتـها فقبلتهـا ووعدتها بسخاء إذا نجحت فى خطتها وعاد إليها حبيبها سالماً.

عرف الملك ما دبرته ابنته ووصـيفتها فأقرهما على ذلك واسـتدعى الفتى ثيذيوس ودحجه بالسلاح وأمسك هو بطرف الحبل.

سلك ثيذيوس طـريق اللابيرنت ودهاليزه مـحترزاً مـوطئ أقدامـه حتى وصل إلى فوهة مـغطاة بالعشب فـتخللها فـإذا بالمنطور يغط فى نومه مطمـئناً فعـرج على أحد الكهوف يصدر منه أنين فوجـد بعض الفتية والفتيات مقيـدين بسلاسل أسرع ثيذيوس وفك قيدهم وطلب منهم الفرار.

فر بعضهم وطلب آخرون الانتظار معه لمواجهة هذا الوحش الضارى.

نظر ثيذيــوس فوجد المنطور برأس إنســان ويداه ونصفــه الأسفل جســد تنين بذيله الطويل يتوسد صخرة ويتكئ أخرى.

اقترب ثيذيوس ورفاقه فأحكموا قيد قـدميه الخلفية وشدوا الوثاق على ذيله، فشعر المنطور وهب ليقف على قدمـيه المقيدتين فاختل توازنه وسـقط على الأرض فما كان من ثيذيوس إلا أنه اتشق سـيفه بسرعـة وهوى على عنقه ففصل الرأس عـن الجسد، وترك المنطور جثة هامدة ودماؤه تسيل تشرب منها الرمال وترتوى.

قطع ثيذيوس الحبل الذى يربطه بالملك فما عاد فى حاجـة إليه وعاد ورفاقه جميعاً من الفتية والفتيات من دروب الغابة التى عرف مسالكها.

أقيــمت الأفراح فــى كريت وأثينا وقـدمت القرابين للآلهـة وعمت الـبهـجة وزاد الســرور حين تزوج ثيـذيوس من ابنه الملك مينـوس وحل الوئام بين المملكتيــن وكان المنطور فداء لهما.



بيرام وتسيبه
وشجرة التوت الأحمر

كالكوكب الدرى لاحت تسيبه تتواثب كالقط البرى فى ثوبها الأبيض الشفاف يلاحقها خمارها الذى استسلم نسيم الليل يرف حولها محملاً بعبق الورود وأريج الرياحين وعند شجرة التوت الأبيض جلست تجتر الذكريات وتخيلت بيرام يتسلق فروعها ويهزها بقوه فيتساقط ثمارها فتشم رحيقه وتلقم غسله وهى لا تدرى أن قبرها عند موطئ قدمها.

بيرام وتسيبه
شجره التوت الأحمر

بيرام وتسيبة طفلان ما أن تطلق الشمس شعاعها الذهبى فتوقظ الأنام من سباتهم وتتفتح الأزهار وتصدح الطيور ونسيم الصباح يعزف الألحان على أوتار الأشجار الباسقة.

يخرج الطفلان يلعبان على العشب الأخضر ويجولان داخل البساتين والحقول يطاردان فراشة جميلة رقيقة بألوانها الزاهية، يتمرغان.. فى ندى الصبح الذى علق بالأغصان ويظلان يلهوان إلى أن يصيبهما رهق، فيذهبان إلى الغدير يغسلان الوجه واليدين ويتسلق بيرام شجرة التوت الأبيض فيهز الأغصان ليتساقط الثمار الشهى على سندس العشب الذى تجمعه تسيبة ويأكلا منه ما طاب لهما وما لذ ثم يعودا وقد علقت الشمس بكبد السماء.

وفى المساء تجتمع الأسر ويتقارب الجيران تحت ضوءالقمر فى سحر ومحبه ووداد بعد يوماً مرهقاً من العمل فيتسامر الكبار ويلعب الأطفال.

مرت سنوات وقد شب بيرام فكان زينة شباب بابل وكانت تسيبة أجمل فتياتها امتشق العود وغض الجسد وبدت مظاهر الفحولة عن بيرام ومفاتن الأنوثة عند تسيبة تبرز وتفجرت فيهما مشاعر الحب وتأججت.

صارت تسيبة فاتنة القريه ومرام شبابها وأشتعل بينهم الصراع من يفوز بقربه ويملك قلبها وكل منهم يمنى نفسه بصاحبة العينين النجلاوين والقد المياس والشعر المسترسل الذى يفترش ظهرها العاجى وصدرها الناهد المرمرى.. من الذى يفوز بقلبة من ذلك الفم الباسم وتلك الشفتين اللثين أخذتا من النعمان شقائقه ومن البنفسج ريحه وصارت حلم كل فتى وحسد كل فتاة.

رفضت تسيبة كل من تقدم لخطبتها فثار الغنى منهم والفقير وترصدتها الأعين وصار أبوها يعد عليها أنفاسها بعد أن رفضت خطبة ابن حاكم البلاد.. ومنعها من مغادرة المنزل.

حلت الفرقة والشقاق بين أهل القرية ودب بينها الخلاف وتناصبوا العداء.. وأصبح لقاء الأحبة مستحيلا وهما الجاران،وألهب الفراق جذوة الحب فصار بيرام يتغنى باسمها، ليل نهار هائما يقضى يومه بين الغدير وشجرة التوت يدعو الآلهة فى النهار ويناجى القمر فى المساء وهى حبيسة غرفتها تمنى نفسها بزوال الغمة ولقاء الحبيب الذى لا يفصله عنها إلا جدار، وراحت تبكى وهى ملقاة وتذرف الدموع وترسل الآهات تتوسل الآلهة والأرباب أن يرحموها من هذا الغرام المقيم الذى حرمها النوم وجعل الموت والحياة عندها سواء.

كانت فينوس إلهة الحب والجمال أرحم بالحبيبن المظلومين من أهلهما فضرب الأرض بزلزال صدع الجدار الذى يفصل بينهما، فصار بيرام يسمع شكواها وتسبيه تسمع نجواه.

- تسبيه .. تسبيه هل تسرعين.

- نعم يامنى القلب وبهجه الروح.

- لقد استمعت الآلهة لدعائى بأن جعلت هذا الجدار ينشق لأسمع صوتك وأتنفس هواك.

- أن شكواى ومناجاتى للآلهة هى التى أرسلت إلينا ملاك الرحمة، فإن فى صوتك عزاء لعينى التى تتمنى أن تراك.

- لقد رقت الآلهة لنا واستجابت دعاءنا ورقت لدموع ذرفناها وأشعار تلوناها وشجون بثثناها وأغانى رددناها وأريد أن أسمعك بعضها.

- بيرام.. أريد أن أسمع عسى أن تخمد لظى قلبى ونار فؤادى وتروى ظمأى.

- سأغنى لك وللآلهة التى أنعمت على بحبك وطمأنتنى بسماع صوتك المحبب إلى قلبى.

وهكذا كان العاشقان يقضيان لياليهم فى نجوى كالبلابل ووشوشة كخريف أوراق الشجر.

- تسبيه.. لقد جزع قلبى وذهب عقلى واعتل فؤادى ولم أعد قادراً على بعادك وأنت القريبة وحرمانى وأنت الحبيبة.

- بيرام.. ما عدت أرغب من الدنيا إلا رؤية عينيك ودفء قلبك وضمة ذراعك واختلاط أنفاسى بأنفاسك.

- لقد أوشك القمر أن يصير بدراً.. وعندما يسكب لجينه يرسل أشعته الفضية فيغمر الكون بضيائه الذى يسحر العيون ويشغف القلوب ويسبح بالعاشقين فى فراغ لا نهائى مشبع بطيب العطور وتغريد الطير وتصير الأرواح نسائم تهيم بين الجنان، ألا تشتاقين لأن نسبح فى ضوء القمر ننهل من أغادير الحب نطفئ الشوق ونكسر الطوق.

- كيف يكون ذلك وحق الآلهة فأنا أكثر منك ولهاً ورغبة.

- غداً عندما يرخى الليل سدوله تتسللين إذا نام الأهل وتلاقيننى.

- أين.

- عند مقبرة فينوس عند أطراف الغابة.

- ذلك مكان موحش.

- ولكنه بعيد عن أعين الرقباء والحاسدين، وإن لم يكن فعند الغدير بالقرب من شجرة التوت الأبيض التى تحمل ذكريات جميلة منذ كنا أطفالا نلهو ونلعب وكانت قلوبنا مثل الفراشات التى تعدو خلفها.

- ما أجمل هذه الذكريات التى أصبحت ملاذى فى وحدتى ووحشتى.

- ألقاك غداً نتغنى بأيام الطفولة والصبا والشباب.

- غداً ياحبيبي سيرتوى قلبى بحنانك وترهف مشاعرك بصوتك وأرى الدنيا فى عينك.

مع خيوط الفجر كان بيرام يسابق الخطى إلى مقبرة فينوس ويتوسل للشمس بأن تسرع بالمغيب وكانت تسبيه تستعجل قدوم الليل ونوم الأهل لتخلو إلى الحبيب.

ما أحلى سكون الليل فى قلوب العاشقين فلا يسمعون إلا همس الأحبة، وما أجمل ضوء البدر حين يرسل ضياءه فتتحول صفائح النهر إلى لجين مذاب رقراق وتومض أوراق الشجر تعكس اللون الفضه الذى يهدهد النفس ويبعث فى الكون النشوة والجلال.

كالكوكب الدرى لاحت تسبيه تتواثب كالقط البرى فى ثوبها الأبيض الشفاف يلاحقها خمارها الذى استسلم لنسيم الليل يرف حولها محملا بعبق الورود وأريج الرياحين.

أسرعت تسبيه تطوى الأرض تكاد لا تلمسها فى خفة ورشاقة إلى أن بلغت مقبرة فينوس وهى تتصبب عرقاً خوفا من عين تلمحها، وقدم تلحقها وأخذت تتلفت حولها تبحث عن حبيبها الذى ظنت أنه سيلقاها بزراع ممدوده لتلقى بنفسها على صدره ويذوبان فى لهيب الحب وينهلان من نبع الصفا.

مرت برهه وكأنها دهر توحشت تسبيه المكان وعادت يدها تتلمس رخام المقبرة الذى يعكس ضوء القمر، سرت برودته إلى جسدها فأصابتها قشعريرة فارتجفت وخافت حفيف الشجر وبدا لها ضوءالقمر أشباحاً تتراقص فوق الشاخص الرخامى، وتوهمت عفاريت الليل، ولكنها حاولت أن تطرد هذه الهواجس وتسخر من الخوف الذى اعتراها وتذكرت شجرة التوت الأبيض والنبع الرقراق فانطلقت نحوهما دون خوف أو وجل.

عند شجرة التوت جلست تجتر الذكريات وتخيلت بيرام يتسلق فروعها وبهزها بقوة فيسقط عليها ثمار التوت الأبيض فتشم رحيقه وتلقم ثماره.

طال انتظارها وهى تنتظر ذلك الحبيب الذى تأخر عن موعده عسى ألا يكون قد أصابه مكروه وفى سكون الليل سمعت تسيبه دبيبا اختلط بصوب العشب النامى عند حافة النبع، فأرسلت بصرها تستكشف موقع الدبيب فلم تر شيئا ، وطلت الهواجس ترجف قلبها وتتراقص حولها عفاريت الليل ولكنها جاهدت فى أن تبعد عن رأسها هذه الأوهام وأخذت تتخيل كيف ستلاقى بيرام، أتلاقيه خجلة وتكتم مشاعرها وتئد عواطفها، أم ستلاقيه بالرغبة الجامحة والمشاعر المتدفقة.

ارتفع صوت الدبيب واقترب وإذا بشبح لبؤة تخترق العشب فى اتجاه النبع لتروى ظمأ قد أصابها بعد أن نهشت ظبيا ولاغت فى دمه.

أيقنت الفتاة وجود اللبؤة فأطلقت ساقيها للرياح تبحث عن مكان يقيها شر هذه الضارية الشرسة وتركت وراءها الخمار الأبيض والتى كانت تتلفع به.

ارتوت اللبؤة من الماء وعادت أدراجها فوطأت الخمار الأبيض وعاثت فيه بقدميها وفمها فتركت عليه آثارالأقدام والدماءالتى علقت بجسدها وفمها فتخضب الخمار الأبيض بالدماء، وبعد أن انتهت اللبؤة من تنظيف فمها وجسدها دلفت إلى الدغل وقد شبعت وارتوت وتطهرت.

كانت الفتاة قد وجدت مكمنها فى جوف شجرة احتمت بها فى انتظار حبيبها أو بزوغ الفجر وقد ارتعدت فرائصها خوفاً وفزعاً.

عند قبر فينوس بيرام يبحث عن محبوبته يندب حظه العاثر ويلعن أسباب تأخره فقد هاجمته سنة من نوم بعد قضاء يوم قضاه بين شجرة التوت والمقبرة حتى أرهقه المسير فافترش العشب وتلحف السماء وغاب عن الدنيا.

هرول بيرام نحو شجرة التوت عند النبع عسى أن يجد محبوبته وهو يمنى نفسه بحرارة اللقاء بعد طول العناء.

اقترب الفتى من النبع فلم يجد أحداً وجال ببصره نحو الشجرة فلم ير شيئا فهرول هنا وهناك وقد ذهل عقله فقد تأخرت محبوبته . . لا أنا الذى تأخرت . . اضطرب فكره وزاغ بصره فأسرع نحو الدغل يتبين وشاحاً أبيض يرف فوق العشب.

ما هذا . . إنه خمار مخضب بلون الدم وتلك آثار وحش ضارى . . تفرس الفتى الوشاح الأبيض . . جحظت عيناه ونفرت عروقه وانقبض صدره وشهق شهقة عظيمة وأتبعها بصرخة شقت السكون وأفزعت الطيور وأيقظت الموتى . . إنه خمار تسيبه وهذه دماؤها الذكية . . لقد قتلتها . . لقد دعوتها لتلقى حتفها صريعة أفكارى . . ليتنى لم أدعها إلى هذا اللقاء الذى جلب على نفسى الشقاء آواه ياحبيبتى أى الوحوش الضارية قد نهشت جسدك الطاهر . . كان صوتك يكفينى ولكنى طلبت أن أراك وها أنا قد حرمت صوتك ورؤياك . . ليتى مت قبل أن أدعوك إلى الموت ليتنى قد فقدت سمعى وبصرى وكان يكفينى أن أشم عبق ريحك.

امسك الفتى الخمار وأخذ يمرغ فيه وجهه ويقبله ويشمه . . لا شئ بعدك يستحق أن أحيا له . . وأنت أيها القمر الصامت الساكن ما عادت عينى تطيق رؤياك . . أنت سبب موتها . . أنت الذى ألهمتنى أن أطلب رؤياها وكان يشجينى صوتها ويحيينى . . ليتشح وجهك بصفره الموت، لقد أمضيت ليالى أبث لك شجونى وآلامى فما كانت منك إلا ابتسامة باهتة . . لقد قتلت تسيبه تحت سمعك وبصرك ولم يمنع عنها الردى وتحفظها . . فأى شر تحمله بين ثنايا ضيائك . . لقد ماتت وحرمت نسمة الهواء . . ولن تنظر إليك بعد ذلك ولم يعد لى شئ أحيا من أجله إن باطن الأرض أولى بى من ظاهره وأنت أيها الحسام الذى صنعت لتحيى من أحب ما عاد لك ضرورة إلا أن ترسلنى لمن أحببت.

أغمد بيرام السيف فى صدره فتدفقت الدماء حارة وانسلت روحه تفارق الجسد الذى تهاوى على الأرض يلفظ أنفاسه الأخيرة ودمعة ذرفتها العين قبل أن يذهب عنها نور الحياة فسالت على وجنته فتجمدت.

خرجت تسبيه من مكمنها بعد أن هدأ روعهـا وسمعت الصرخة التى أطلقها بيرام وأخـذت تنظر حولهـا وشبح اللبـؤة يطادها ولكنهـا اختـارت أن تذهب إلى مصـدر الصوت الذى عرفت منه حبيبها.

تحت شـجرة التـوت الأبيض كان جـسد بيـرام بلا حراك وقـد تشبـثت يداه على الخمار. . اقتربت تسبيه نحو الجسد الساجى تطاردها الظنون. . من هذا المستلقى على العشب مخضب الدمـاء يعلوه شاهد يبرق. . سبقتها عينـاها فرأت وجهه. . إنه بيرام جسد بلا روح. . ثم تعد ساقيها قادرة على حمها . .فهوت على ركبتيها وقد تحجرت العبرات من مـقلتيها وانحبست الصـرخة فى صدرها وعجزلسانهـا أن ينطق إلا اسمه بيرام. . بيرام.

سمعت تسبيـه اسمها يتردد بصوت خافت، فرفعت رأسهـا لتتأكد من أن الصوت قادم من جهة الجسـد الهامد.

- تسبيه . . تسبيه.

طار الأمل بالفتـاة التى قفزت فاسـتقرت بجوار الجسـد، ورفعت رأسه وأوسـدتها صدرها .

- بيرام حبيبى ماذاحدث؟

فتح بيـرام عينيه ونظر إليهـا وسالت دمعـة كانت قد تجمـدت ثم تبـسم ابتسامـة فاترة وأغمض عينيه إلى الأبد.

مات بيرام، ولم يستمع لندائها بأن يبقى معـها، مات وأخذ معه طعم الحياة. . لمن تتركنى وكان يكفـينى منك أن أسمع اسمي. . لقد قتلتك ياويلتى ليـتنى صرت طعمة لتلك اللبـؤة الضارية، تنهش لحمـى وتفتت عظمى وتمزق أوصـالى وكان ذلك أرحم عندى من فراقك.

اشهد يانبع الماء يارمز الحياة فلا حياة لى بعده وأنت ياشجرة التوت الأبيض يامن كنت شاهدة على حبنا العذرى، أخبرى أهلينا أولئك القساة العتاة الظالمين بأنهم لن يقدروا على تفريقنا بعد اليوم. . لقد جمعتنا المنايا وزوجنا الحسام سحبت تسيبه السيف من صدرحبيبها ومالت عليه وقبلته وأسالت على وجهه دمعة، ثم أغمدت السيف فى صدرها وسقطت لتمتزج دماؤهما وقد أراحت رأسها على صدره ولفظت أنفاسها الأخيرة.

مع ضوء الشمس طفق أهل القرية يبحثون عن الفتى والفتاة فهداهم طائر أبيض حزين إلى مرقدهما فوجدوا الجسدين وقد تواريا تحت كومة من التوت الذى ارتوت شجرة من دمائهما فتحول من التوت الأبيض إلى التوت الأحمر.

عند حفاف النبع وتحت شجرة التوت الأحمر أقام أهل القرية قبرا ضم رفات الحبيبين وسط دموع الندم والحسرة.

* * * *

أوديب
وآلهة جهنم

فوق قـمة الأولمب وفى مجـمع الآلهة، جلس زيوس وهيـرا وحـولهم الأرباب والآلهـة يعـاقـرون الخـمـر ويضحكون ملء أشـداقهم وهم يسـمعون صـرخات البـشر المسـاكين الضعـفاء، يئنون تحت وطأة الأقـدار الساخرة.

لقـد تخلص لايوس ملك طـيبـه من ولده الذى سيـقتله، ولكنه ذهب إلى حيث شب وترعـرع،هاجر أوديب الابن كـرونثا حتى لا يـقتل أباه ويتـزوج أمه، وما كان يدرى أنه رحل إلى طيبة ليحقق نبوءة دلفى، فيقتل أباه ويتزوج أمه وينجب منها وتتحقق النبوءة.

أويب
وآلهة جهنم

فوق قمه الأولمب وفى مجمع الآلهة، جلس زيوس كـبير الآلهة وهيرا زوجته وقد تجمعت الآلهة والأرباب يعـاقرون الخمر، وقد بدا لهم البشر هذه المخلوقات الـضعيفه دمى يتلاعبون بهم وبمصـائرهم وأقدراهم، فأحلوا القتل واستباحـوه والفسق فروجوه وزنا المحارم وأقروه.

وكانت طيـبة وهى واحـدة من المدن الإغريقـية ذات التاريخ والشـهرة الواسـعة، مسرحاً لهذه الأسطورة التى وإن دلت فأنما تدل على عبثـية الآلهة التى لجأ إليها البشر لتقيـهم غضب الطبيعة وقـواها العاتية وشرور الضوارى القـاتلة والهواجس من الجان والغيلان.

تداول حكم طيبة أسرات وعائلات أشـهرها أسرة لبداكوس ذلك الملك الذى أنجب لايوس الذى لم يهنأ بعرش طـيبة وقضى شـبابه منفيـا بعيداً عن بلاده فـترة طويلة، تعرف خلالها بلويس ونشأت بينهم صـداقة وطيدة ولكنها لم تدم بعد أن ل لايوس فى عرض صديقه يلويس واغتصب أبنه، غضـبت الآلهة غضباً شديداً وأنزلت به لعنة أبدية.

بدأ لايوس يخطو أولى خطوة على طريق اللعنة، بأن عاد إلى طيبـة ليستولى على الحكم ويستـعيد عرش أبيه وتزوج مـن يوكاستى وهى البريئـة من تلك اللعنة ولكنها مشيئة الآلهة أن تشاركه تلك الأقدار القاسية.

عاش لايوس حياة سـعيدة بعد أن أستقر له الحكم وتنعم بزوجـة حسناء مخلصة، فظن أن الآلهة قد غفرت له فعلته وغفلت عنه.

كان الملك يرجـو أن يرى له ذرية ترث ملكه وتحمل اسمـه وكانت الملكة تأمل بأن تقر عيناها بطفل جميل يعلن عن كمالها ويؤمن حياتها.

طال انتظار الملك والملكة لمولود يكمل سعادتهما ويزين حياتهما ويشيع فى المملكة البهجة والفرحة، كان الملك يكتم شوقه والملكة توارى رغبتها وحاول كل منهما أن يعوض الآخر بأن أغدقا من الحب الكثير، ولكن هيهات أن تشفى عبارات الغزل وليالى الأنس والسحر تلك الرغبة المحمومة فى صدر لايوس لوجود سليل له.

ذهب لايوس إلى دلفى دون أن يعلم زوجته وقصد معبد أبوللون ليعرف ما تخبئه لهالأقدار ويستطلع نبوءة الآلهة.. قدم القرابين وأخلص فى الدعاء ولان بالحراب المقدس يأمل فى بشرى تشرح صدره وتحيى أمله بعد أن مرت أعوام ولم تمن عليه الآلهة بذرية.

قهقهة عالية ورنين كرنين الذهب صادر من كؤوس الهوى وصوت أجش يأتى من خلف المحراب يقول.. ياللك من تعس أما كان حرمانك من الذرية أفضل لك من طفل ذكر يقتل أباه ويتزوج أمه.

أما كان لك أن تقنع بالعقم على أن تحيى نقمة عليك ولعنة.

ارتعد لايوس واضطرب وتاه عقله واختلج وأسرع يغادر المعبد، وتذكر لعنة قد نساها ونقمة ظن أن الزمان قد طواها.

أخذ لايوس طريقه إلى طيبة وهو يفكر كيف يتحاشى هذه النقمة ويفلت من هذه اللعنة وأخذ يلعن القدر الذى جعله بلا ذرية، وكيف سيتخلص من قدره المحتوم إذا صار له ولد.

لا لن يكون لى ولد وتتحقق تلك النبوءة الظالمة سأطلق زوجتى يوكاستى وإذا طلقتها هل يهنأ لى العيش دون وينس، إنها لعنة أخرى أن أعيش وحيداً.. ليتنى ألقى أحد الوحوش الضارية تنهش جسدى وتزهق رحى بدلاً من هذا العذاب. ما أقساك من آلهة أين رحمتك وعطفك، لن أقدم إليك القرابين بعد اليوم، لن أذهب إلى معابدك.

وصل لايوس إلى طيبة وقد قتلته الحيرة وأضناه الفكر، فوجد زوجته تستقبله بالحب واللهفة ولم تسأله إلى أين ذهب ومن أين جاء؟

مرت أيام ولايوس يتحاشى زوجته ويبتعد عنها لاحظت الملكة ما طرأ على حال زوجها منذ عودته فلم يعد يسامرها ويسهر معها ويتعلل بأسباب لعدم مشاركتها الفراش بدأ الشك يتسلل لقلب يوكاستى ويساورها القلق لفقد حظوتها عند الملك.

تزينت الملكة وتعطرت وألحت على الملك لمشاركتها السمر لتزيل عنه همومه وتذهب عنه وجومه الذى لازمه منذ عودته، وسط الموسيقى والقانيات وكؤوس الخمر شرب الملك حتى الثمالة وأظهرت الملكة جمالها واشتعلت فيه الرغبة وصاحبها إلى الفراش فاقداً وعيه ناسياً عهده الذى قطعه على نفسه بألا يقربها.

استيقظ الملك لايوس فوجد نفسه فى فراش يوكاستى فهلع وكأنه ارتكب فعلة شنعاء فلامها ولام نفسه وزجرها زجراً شديداً ولكن بما يفيد الندم وقد أنفذت الآلهة قضاءها.

مرت شهور والملك والملكة كل فى فراش إلى أن جاء اليوم الذى يخشاه لايوس حين جاءت الملكة تزف إليه بخبر الجنين الذى بدأ يتحرك فى أحشائها، ذلك المولود الذى طال أنتظرها له، كانت سعادتها غامرة وكان حزنه قاسيا كانت تمنى نفسها بيوم مولده وكان يهيئ نفسه ليوم موته ولكنه ملك نفسه ولم يفصح عما ينوى حتى أن وضعت الملكة مولودها.

حضر الملك ومعه بعض حاشيته فأخذ المولود وناوله أحدهم فأخذوه وانصرفوا، صرخت الملكة تريد وليدها هدأ الملك من روعها وأخبرها بنبوءة دلفى ولعنة الآلهة التى تلاحقهم فى هذا المولود. وحاولت أن تكذب هذه النبوءة ولكنها لم تتمكن من أن تثنى الملك عن رغبته فى التخلص من المولود فطلبت منه عدم قتله وأن يترأف به وهو الذى لا ذنب له.

تردد الملك كثيـراً فى التخلص من فلذة كبدة الذى ظل أعـواما ينتظره، ولكن ماذا يفعل ومازالت قهقهة الآلهة تصم أذنه والصوت الأجش الذى نبأه يقلب فؤاده ويذهب عقله، وفى النهـاية طلب من أحد المخلصين من أتباعـه بأن يوثق قدمى الطفل ويلقى به فى العـراء فإمـا يموت عطشـاً أو جوعـاً وإما يكون طعـاماً لإحدى الـضوارى أو الجوارح.

حمل الرجل الرضيع الباكى موثق القدمين وذهب به إلى أقصى حدود طيبة وصعد قمة جبل يفصل طيبة عن كورنثـا وهم أن يلقيه فى إحدى شعاب هذا الجبل وقبل أن يفعل كانت منه لفـتة أخيرة على هذا الملاك الجاثى بين يديه، فوجـد أن البرد القارص قد فعل أفاعيله، فذهبت حمرة الوجه وحلت محلها زرقة وكادت أنفاسه تتوقف، رق قلب الرجل وأخذ يلتـفت حوله يبحث عن مكان يدفـئه فيه، فـوجد راعى أغنام من أهل كورنثا فأسرع نحوه وأخذا يعملان على تدفئة المولود وإعادته إلى الحياة.

عرض تابع الملك علـى الراعى أن يأخذ الطفل ويرعاه، رفض الراعـى ولكنه قبل عندما وهبه التابع بعض المال يعينه على تربية الطفل.

كانت الملكة يريبويا زوجة المـلك يوليبوس ملك كورنثا عاقراً وتتـمنى مولوداً يسعد قلبها ويوطد مكانتها عند الملك.

حـملت زوجة الراعى ذلك المولود الرائـع الحسن البـاهى الوجه إلى سـوق المدينة فرأته إحدى وصـيفات الملكة، فبهرهاحـسنه وعرفت منها قصته فـعرضت الأمر على الملكة فطلبت منها أن تحضره.

وفى مقابل دراهم مـعدودات وصل الطفل إلى الملكه التى فرحت به فـرحاً شديداً وكذلك فرح به الملك واتخذه ابناً لهما وأسموه أوديب (متورم الساقين) وذلك من أثر الوثاق الذى أوثق به.

أحسنت الملكة رعايتـه وأحسن الملك تربيته وأصبح الطفل اللقـيط ولى عهد مملكة كورنثا وشب يانعاً وسيماً يزهـو بين أقرانه بأنه الأمير وولى العهد وينعم بحب والديه الملك والملكة.

لبست كورنثا ثوب العيد وانطلق الشباب فتية وفتيات والشيوخ ورجالا ونساء يلهون ويفرحون ومدت الموائد وأقيمت حفلات الزواج وقدمت القرابين للآلهة والكل سعيد وفرحان.

ذهب أوديب مع بعض أقرانه إلى المعبد الكبير يقدمون القرابين ويعرفون من سدنته حظوظهم ومستقبلهم وراح كل منهم يقول للكاهن اسمه ويسمع منه ما يشرح صدره يزيل همه إلى أن سمع الكاهن اسم أوديب (تورم القدمين) حتى أكفهر وجهه واختلجت أعطافه وسكت عن الكلام، أخذ أوديب يحثه على الكلام فأشار له أن يذهب إلى كبير كهنة المعبد وليكن بمفرده فتراجع أوديب ولم يذهب وعاد مع أقرانه وهم مازالوا على لهوهم ومزاحهم.

ذهب أوديب إلى فراشه ولم يعر اهتماماً لما قاله الكاهن وراح فى سبات عميق، إلى أن هاجمته هواجس وأحلام مزعجة، فهب من نومه فزعاً مرعوباً، وطال انتظاره لبزوغ الشمس وانطلق إلى المعبد يسأل عن كبير الكهنة الذى كان يتعبد فى قدس الأقداس.

سمح للفتى أن يدخل المحراب ووقف أمام الكاهن الأكبر، يخبره عن الأحلام، وبعد أن انتهى ساد الصمت بينهم وطال، حدقت عيون الكاهن ثم طأطأ رأسه فزادت حيرة الفتى، طلب الكاهن من الشاب أن يقدم القرابين وينتظر نبوءة الآلهة، قدم الفتى القرابين وقضى نهاره فى المعبد وفى الهزيع الأخير من الليل والنعاس يداعب الجفون، سمع الفتى صوتاً كالأنين يخبره بكلمات ثقيلة وقعت عليه كالصاعقة «كتب عليك أن تقتل أباك وتتزوج أمك».

بهت الفتى وأخذ يتمتم . . أقتل والدى وأتزوج أمى. . ما هذه اللعنة وأى قدر هذا الذى تقدره آلهة ظالمة لا ترعى حرمة من قتل وزنا. . لا . . لا يمكن أن أستسلم لهذا القدر. . أحب والدى ووالدتى وأجلهم. . لا . . لا . . سأبتعد عن هذه الديار لن أكون لعبة قذرة فى يد القدر اللعين. قدرى بيدى ومصيرى أنا القادر على تحديده.

خرج أوديب من المعبد وقد قرر الرحيل وأنه لن يسمح لهذه النبوءة بأن تتحقق، وركب جواده وانطلق بعيداً نحو طيبة المدينة المجاورة حتى دخل أراضيها.

أصاب الفتى النصب والجوع وعلى حافة النهر وتحت شجرة وارقة جلس الفتى ليأخذ قسطا من الراحة ويتدبرقوته فرأى غزالا يتراقص فى رشاقة بين الأشجار، فأوتر قوسه بسهم ورماه فى مقتل وذبحه وسلخه وأشعل ناراً لشيه، وغاب يتذكر ماضيه وما كان أكثر سماره وأصدقائه وهو اليوم وحيداً فى هذه الأرض الشاسعة ترى ماذا يحمل له مستقبل الأيام؟

صوت قادم من بين الأحراش المعتمة لعلها أصوات وحوش ضارية، جاءت تشاركه الوليمة أو ليكون هو وليمه لها، الاغصان تهتز وبصوت يقترب السهم يمرق من قوس أوديب نحو مصدر الصوت .

آهة مكتومة وجلبة وأصوات رجال. . .إنهم قطاع طريق ولابد أن يبادرهم قبل أن يتمكنوا منه ويصرعوه، سهم آخر ينطلق ليستقر فى رقبة رجل مسن يرديه قتيلا ورجلا آخر أطلق ساقيه للرياح ليبتعدعن هذا الصياد الماهر.

ألقى أوديب نظرة على الرجلين الذين صرعا من فورهما، فلم يجد فيهما هيئة قطاع الطرق، فقد كان العجوز فى أبهى ثيابه وظهرعلى الآخر أنه تابعه، فخشى أوديب العاقبة فأسرع بالفرار من المكان، وتوجه إلى جبل ليختفى بعض الوقت، وكمن فى إحدى الكهوف.

يومان قضاهما أوديب بين شعاب الجبل ومع فجر اليوم الثالث وبعد نفاذ الطعام والشراب أخذ أوديب طريقه إلى سطح الجبل على طيبة، وقبل أن يصل إلى الوادى سمع صوتا لا هو بزئير أسد ولا عواء ذئب ولا نباح كلب، وإذا به يوجه وحشا هائلا لم يعرف له مثيل.

لقد سمع عن السنتور ذلك المسخ الذى هو نصفه الأعلى رجل ونصفه الأسفل حصان، أما هذا المسخ فهو على هيئة أنثى عابثة الوجه شاعثة الشعر، ناهدة الصدر

ولكن جسدهـا جسد لبؤة مكسو بالـشعر الجاعد، لهـا أقدام قصيـرة وذيل أفعى سام ونابان بارزان يقذفان الرعب فى قلب من يراها، ورائحتها المنتنة تصيب بالغثيان.

تلك هى سفنكس أو الـهولة أو أبو الهول، لعنة هيـرآ ربة الأرباب وزوجة زيوس كبير الآلهة جاءت بها من أحراش أفريقيا وأسكنتـها فوق جبل فيكيوم انتقاماً من طيبة وأهلها ربضت هذه الهولة فوق قمه الجـبل وتسلطت على أهالى طيبة، فما كان يسلم منها غادٍ أو رائح من هذه الجهة، فقطعت السبل على التجار وقطعت قوافلهم وخربت الحقول والبساتين والضياع.

لم يكن أوديب يعلم عن هذه الهولة شيئا ولا عن خطرهـا ولكنه فجأة وجد نفسه وجهاً لوجه أمامها، هلع الحصان الذى كـان يمتطيه فألقاه أرضا وانطلق كالرمح بعيداً عن الأنياب الناهشة والذيل السام.

رغم ضخامة الهولة إلا أنها كانت تتحرك برشاقة أذهلت الفتى الذى خفت حركته وتتابعـت سهامـه ترشقـها فى كل موضع دون تأثـير وهى تلوح بذيلهـا فى كل اتجاه ولكنها لم تتمكن منه فتوقفت عن الحركة.

سكن أوديب محتميـاً بصخرة كبيرة وقد حوصـر وظل ينظر إليها وتنظر إليه، إلى أن سمـعها تنطق بلسان فـصيح قائلة لن تـتمكن من الرجوع ولن أتركك تمر دون أن تخبرنى من هو المخلوق ذو الصوت الواحد، الذى يكون له قـدمان أحياناً ثم يصير ذا ثلاثة وأحياناً يكون له أربع وكلما زادت عدد أقدامه زاد ضعفه وهوانه.

بدت على أوديب الدهشة ولكنه لم يـكن يملك إلا سرعة التفكيـر والإجابة على هذه الأحجية فقال: إنه الإنسان يحـبو على أربع وهو طفل ثم يسير على قدمين وهو شاب رجل وعندما يشيب يتوكأ على عصـى فيسير على ثلاث وهو فى طفولته واهن وفى شيخوخته واهن.

- قاتل الملك لايوس يعيش فى طيبة منعماً كيف؟

- لقد حكمناعلى القاتل بالقتل أو النفى وعلى من يأويه مثله.

- ولكن كيف نعرف هذا القاتل؟ ألم تخبرك الآلهة عنه لنوقع به الجزاء.

تلعثم الرجل فى إجابته وخرجت الكلمات تتساقط من فمه.. لا لم تخبرنى الآلهة، ثار الملك وقد شعر أن الحكيم الضرير إما أنه يعرف شيئا ولا يريد أن يخبر عنه، أم أنه قد قصر فى أداء مهمته ولم يتمها على الوجه الأكمل. وأغلظ له فى القول واتهمه بالإهمال وأنه لا يصلح أن يكون حكيم البلاد.

كانت كلمات أوديب الملك قاسية فأثارت الحكيم الذى قال: لقد أخبرتنى الآلهة أنه أنت ياسيدى القادر على معرفة القاتل بنفسك، فابحث عنه إنه قريب منك.

- كنت أحسبك مهملاً ولكنى أراك جاهلاً، كيف يكون القاتل قريبا منى ولا أعرفه.

- القاتل قريب منك ويسكن قصرك ويشاركك الطعام.

أسرع أوديب بأن عقد محاكمه يسأل كل سكان قصره وأتباعه حتى زوجته وظل أياماً يسأل ويستقصى فأتى على كل رجال القصر إلا واحداً وهو الذى كان قد حمل الرضيع موثوق القدمين ليتخلص منه.

مازالت البلاد تسودها الفوضى والاضطراب ومازال الملك يجرى التحقيقات وفى أثناء ذلك قدم إلى البلاد رسول من كورنثا يخبر أوديب بأن الملك بوليبوس ملك كورنثا قدمات وعلى أوديب أن يتولى حكم كورنثا خلفا لأبيه.

بهت الحاضرون لما رأوا أوديب قد انزعج فى أول الأمر لنبأ وفاة والده، ثم عاد ليضحك ويقول: يالسخرية القدر وما أهون الآلهة التى أنبأتنى بأننى سأقتل والدى وأتزوج أمى، وها هو والدى الملك بوليبوس قد مات دون أن أقترب منه، ولكنه عاد ووجم وقال: ولكن تبقى نصف النبوءة.. لن أذهب إلى كورنثا ولن ألتقى بأمى

وبذلك تكون النبوءة غير صحيحة ولتقف الآلهة عاجزة فلن أسمح لهذه النبوءة بأن تتحقق.

قال الرسول: أى نبوءة تقصد، إن يريدويا ملكة كورنثا ليست أمك كما أن يوليبوس ليس بأبيك وأنا الوحيد الشاهد على ذلك، لقد أخذتك وأنت طفل موثوق القدمين من راعٍ من أهل طيبه.

المجلس يسوده التوتر والقلق وقصص وحكايات غير مفهومة وفى هذه الأثناء يدخل التابع الطيب الذى أخذ الطفل من القصر ليجد نفسه وجهاً لوجه أمام الراعى الذى يتعرف عليه وتنجلى الحقيقة بأن أوديب هوالطفل موثوق القدمين ابن الملك لايوس وابن زوجته يوكاستى وأخ لأبنائه الأربع .

كادت يوكاستى تصاب بالجنون وتفكر فى النبوءة فأرسلت فى طلب التابع الذى نجى يوم مقتل الملك لايوس. . فأتى وتعرف على أوديب الذى قتل الملك فأقدمت يوكاستى على الانتحار فراراً من سخرية القدر واعتزل أوديب الناس وأبناءه والملك إلى حيث لا يعرفه أحد، يتجرع وحده أحزانه وآلامه.

* * * *

الفهرس

الموضوع | الصفحات

من إصدارات دار مشارق

أشهر الأساطير الفرعونية

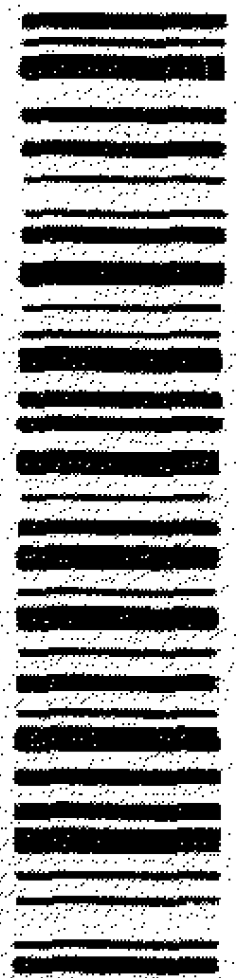
د. أيمن عادل



أشهر الأساطير الفارسية

د. أحمد حسين بكر







دار مشارق